أيقتل ضمآناً ؟!

الشيخ صالح بن العرندس •

وقفتُ على الدار التي كنتُم بها ... فمغناكُمُ من بَعد معناكُمُ فقرُ
وقد دُرست منها الدروس وطالما ... بها درس العلم الآلهي والذكر
وسالت عليها من دموعي سحائبٌ ... إلى أن تروّى البانُ بالدمع والسدر
فَراق فِراقُ الروح لي بعد بُعدكم ... و دار برسم الدار في خاطري الفكر
وقد أقلعتْ عنها السحاب ولم يُجد ... ولا درّ من بعد الحسين لها درّ
إمام الهدى سبط النبوّة والد الأئمّـ ... ـة ربّ النهي مولىً له الأمر
إمامٌ أبوه المرتضى علم الهدى ... وصيّ رسول الله والصنو والصهر
إمامٌ بكته الإنس والجنّ والسما ... ووحش الفلا والطير والبرّ والبحر
له القبّة البيضاء بالطفّ لم تزل ... تطوف بها طوعاً ملائكه غُرّ
وفيه رسول الله قال وقوله ... صحيح صريح ليس في ذلكم ذكر
حُبي بثلاث ما أحاط بمثلها ... وليّ فمن زيد هناك ومن عمرو
له تربة فيها الشفاء وقبّة ... يجاب بها الداعي إذا مسّه الضرّ
وذريّة دريّة منه تسعة ... أئمّة حقّ لا ثمان ولا عشر
أيقتل ظمآناً حسين بكربلا ... وفي كلّ عضو من أنامله بحر

ووالـده الساقي على الحوض في غد ... وفاطمةٌ ماء الفرات لها مهر
فوالهف نفسي للحسين وما جنى ... عليه غداة الطفّ في حربه الشمر
رماه بجيش كالظلام قِسيّة الأ ... هلّة والخِرصان أنجمه الزُّهر
لراياتهم نصبٌ وأسيافهم جزم ... وللنقع رفعٌ والرماح لها جرّ
تجمّع فيها من طغاة أميّة ... عصابة غدر لا يقوم لها عذر
وأرسلها الطاغي يزيد ليملك الـ ... ـعراق وما أغنته شام ولا مصر
وشدّ لهم أزراً سليل زيادها ... فحلّ به من شرّ أزرهم الوزر
وأمّر فيهم نجل سعد لنحسه ... فما طال في الريّ اللعينُ له عُمر
فلمّا التقى الجمعان في أرض كربلا ... تباعد فعل الخير واقترب الشرّ
فحاطوا به في عشر شهر محرّم ... وبيض المواضي في الأكفّ لها شَمر
فقام الفتى لمّا تشاجرت القنا ... وصال وقد أودى بمهجته الحَرّ
وجال بطرف في المجال كأنّه ... دُجى الليل في لألاء غُرّته الفجر
له أربع للريح فيهنّ أربع ... لقد زانه كرٌّ وما شانه الفرّ
ففرّق جمع القوم حتّى كأنّهم ... طيور بُغاث شتّ شملهم الصقر
فأذكرهم ليلَ الهرير فأجمع الكلا ... بُ على الليث الهزبر وقد هرّوا
هناك فدته الصالحون بأنفس ... يُضاعف في يوم الحساب لها الأجر
وحادوا عن الكفّار طوعاً لنصره ... وجاد له بالنفس مِن سعده الحُرّ
ومدّوا إليه ذُبّلاً سمهريّة ... لطول حياة السبط في مدّها جزر
فغادره في مارق الحرب مارقٌ ... بسهم لنحر السبط مِن وَقعه نحر
فمال عن الطرف الجواد أخو الندى ... الجواد قتيلاً حوله يصهل المهر

سَنان سِنان خارق منه في الحشا ... وصارم شمر في الوريد له شَمر
تجرّ عليه العاصفات ذيولها ... ومِن نسج أيدي الصافنات له طُمر
فرجّت له السبع الطباق وزُلزلت ... رواسي جبال الأرض والتطم البحر
فيالك مقتولاً بكته السماء دماً ... فمغبّر وجه الأرض بالدم محمرّ
ملابسه في الحرب حمر من الدما ... وهنّ غداة الحشر من سندس خضر
ولهفي لزين العابدين وقد سرى ... أسيراً عليلاً لا يُفكّ له أسر
وآل رسول الله تُسبى نساؤهم ... ومن حولهنّ الستر يُهتك والخدر
سبايا بأكوار المطايا حواسراً ... يلاحظُهنّ العبد في الناس والحرّ
أيُقرع جهلاً ثغر سبط محمّد ... وصاحب ذاك الثغر يحمى له الثغر
فليس لأخذ الثار إلاّ خليفة ... يكون لكسر الدين من عدله جبر
تحفّ به الأملاك من كل جانب ... ويقدمه الإقبال والعزّ والنصر
عوامله في الدار عين شوارعٌ ... وحاجبه عيسى وناظره الخضر
تظلّله حقاً عمامة جدّه ... إذا ما ملوك الصيد ظلّلها الجبر
محيط على علم النبوّة صدره ... فطوبى لعلم ضمّه ذلك الصدر
هو ابن الإمام العسكريّ محمّد الـ ... ـتقيُّ النقيّ الطاهر العلم الحَبر
مصابكُمُ يا آل طه مصيبة ... ورزء على الإسلام أحدثه الكفر
سأندبكم يا عدّتي عند شدّتي ... وأبكيكُمُ حزناً إذا أقبل العشر
وأبكيكُمُ ما دمت حيّاً فإن أمت ... ستبكيكُمُ بعدي المرانيَ والشعر
عرائس فكر الصالح بن عرندس ... قبولكُمُ يا آل طه لها مهر
جعلتكُمُ يوم المعاد وسيلتي ... فطوبى لمن أمسى وأنتم له ذخر

من أعلام المنبر في كربلاء..

السيد جواد الهندي

(ت١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م)

سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

قصر التاريخ في ضبط مولد الشاعر، إلا أننا علمنا أنه ولد في كربلاء في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، ونشأ وترعرع في ظل أسرة علوية شريفة المحتد، طاهرة الغرس، تنتسب إلى الإمام الحسين بن علي عليهما السلام. فهو السيد جواد بن السيد محمد علي الحسيني الأصفهاني الحائري الشهير بالهندي أحد أولئك الأعلام المجتهدين والعلماء المحققين الذي يصطفيهم الله من خلقه لنصرة الحق والدين. بدأ تحصيله العلمي بدراسة الفقه على العالم الكبير الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري المتوفى سنة ١٣٠٩هـ وغيرهما من الأعلام، حتى نال من العلم أسمى مكانة، ووجد في نفسه الكفاءة والقدرة على ارتياد أندية الأدب ومجالس الخطابة وأهل الفضل، فشب خطيباً مصقعاً، وورث الجرأة وقوة الجنان والشجاعة وسحر البيان، وفصاحة الكلم وسلاسة التعبير، وكان ذا صوت جهوري أخاذ ينتزع إعجاب المستمعين[1].

وكان شاعر الدوحة الهاشمية وفخر السلاسة العلوية، قد شهدت له قصائده بشاعرية فياضة تميزت برصانة الأسلوب ووضوح العبارة، وتتجلى في مراثيه أمارات الحزن والأسى، وكان زاهداً شديد التقوى، ذاع صيته في الآفاق وأشغل مجالس كربلاء خطيباً ذاكراً للإمام الحسين عليه السلام، وكانت مجالسه مكتظة بالناس، فقد أخذ يتفنن في فن الخطابة ويحسن الرواية ويجيد الإلقاء. ويروي من عاصره أن المجالس

الحسينية التي ارتادها هي ديوان السادة آل الرشدي ودار السيد عبد الحسين آل طعمة سادن الروضة الحسينية ودار الحاج عبد الصراف وديوان السادة آل الشهرستاني وديوان السيد عبد الوهاب آل طعمة رئيس بلدية كربلاء وديوان العلامة الشيخ حسين بن زيد العابدين الحائري. وشاع ذكره في الأمصار، ودون له من الكلام البهي ما تناثرت درره وتكاثرت غرره.

ذكره الشيخ محمد السماوي في أرجوزته قائلاً:

وكالخطيب السيد الجواد
والصارم الهندي في النجاد
فكم له شعر رثى الحسينا
أروى الحشا فيه وأبكى العينا
بكى وأبكى وحوى الصفات
فأرخوه: (أكمل الخيرات)[٢]
١٣٣٣هـ

وذكره العلامة السيد محسن الأمين فقال: السيد جواد بن محمد علي الحسيني الأصفهاني الحائري الشهير بالهندي الخطيب، توفي بعد مجيئه من الحج في كربلاء سنة ١٣٣٣هـ ودفن فيها. كان فاضلاً تتلمذ على الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري في الفقه وكان ذاكراً لمصاب الحسين عليه السلام من مشاهير الذاكرين خطيباً طلق اللسان أديباً شاعراً رأيته في كربلاء وحضرت مجالس ذكره وجاء إلى دمشق ونحن فيها في طريقه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ومن شعره قوله:

ألا هل ليلة فيها اجتمعنا
وما أن جاءنا فيها ثقال
ثقال حيثما جلسوا تراهم
جبالاً بل ودونهم الجبال[٣]

وترجم له الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي في حاشية ديوان أبي المحاسن قائلاً: (حسيني النسب حائري المولد والنشأة والمدفن درس على جماعة من مجتهدي كربلاء كالشيخ زين العابدين والسيد محمد حسين الشهرستاني والشيخ

محمد باقر الواعظ وما رأيت ولا سمعت أحداً من الخطباء أملك منه لعنان الفنون المنبرية على كثرة ما رأيت منهم وسمعت فقد حاز قصب السبق بطول الباع وسعة الإطلاع في التفسير والحديث والأدب واللغة والأخلاق والتاريخ إلى غير ذلك، وكان من أصدقاء صاحب الديوان، وتوفي ليلة الأحد ١٠ ربيع الأول ١٣٣٣هـ المصادف لسنة ١٩١٥م وعمره يربو على الستين له ترجمة وجيزة في الجزء (ج١٧) من أعيان الشيعة[٤]. وحين أجاب داعي ربه، رثاه الشاعر الكبير الحاج محمد حسن أبو المحاسن بقصيدة مطلعها:

ليومك في الأحشاء وجد مبرح
برحت ولكن الأسى ليس يبرح[٥]

نصوص من شعره

للشاعر السيد جواد ديوان شعر يضم بين دفتيه مختلف الأغراض بأسلوب واضح ونهج مقبول، رثى أهل البيت عليهم السلام ورثى شيوخ عصره لاسيما أساتذته وأصحابه الذين أخذ عنهم الخطابة، وله في المديح والتهاني قصائد كثيرة. وعن ديوانه هذا قال صاحب الذريعة: ديوان السيد جواد الهندي الحائري الخطيب بكربلاء يشتمل على قصائد منها في رثاء المولى أبي الحسن المازندراني المتوفى عام ١٣٠٦هـ[٦]. فشعره على العموم يزخر بالصورة الشعرية التي يغلب عليها الخشوع والجلال والعواطف المتقدة التي يسود أغلبها الحزن العميق.

وقد حاولت منذ أمد قصير أن أجمع قصائد الشاعر من المجاميع الخطية والمطبوعة في ديوان صغير، انتخبت منه للقارئ هذه المجموعة التي بين يديه.

ومما قاله في رثاء الحسين عليه السلام:

أقاسي من الدهر الخؤون الدواهيا
ولم ترني يوماً من الدهر شاكيا
لمن أظهر الشكوى ولم أر في الورى
صديقاً يواسي أو حميماً محامياً؟
وإني لأن أغض الجفون على القذى
وأمسى وجيش الهم يغزو فؤاديا
لأجدر من أن أشتكي الدهر ضارعاً
لقوم بهم يشتد في القلب دائيا
ويا ليت شعري أي يومي أشتكي
أيوماً مضي أم ما يكون اماميا؟
تغالبني أيامه بصروفها
وسوف أرى أيامه والليالي
إباءً به أسمو على كل شاهق
وعزماً يدك الشامخات الرواسيا
وإني من الأمجاد أبناء غالب
سلالة فهر قد ورثت إبائيا
أباة أبوا للضيم تلوى رقابهم
وقد صافحوا بيض الظبى والعواليا
غداة حسين حاربته عبيده
ورب عبيد قد أعقت مواليا
لقد سيرتها آل حرب كتائباً
بقسطلها تحكي الليالي الدياجيا

فنـــاجزها خلف المنايا بفتـــية
كرام يعـــدون المنـــايـــا أمـــانيـــا
فثـــاروا لهـــا شم الأنوف تخالهم
غداة جثوا للموت شمـــــاً رواســـيا
ولفـــوا صفـــوفاً للعـــدو بمثـــلها
بحد ظبى تثني الخيـول العـواديا
بحيث غدت بيض الظبى في أكفهم
بقاني دم الأبطـــــال حمراً قوانيا
وأعطوا رماح الخـــط ما تستحقه
فتشكر حتى الحشر منهم مساعيا
ومـاتوا كراماً بالطـــفوف وخلفوا
مكـــارم ترويها الورى ومعـالـــيا
وراح أخوا الهيـــجا وقطب رجائها
بأبيض ماضي الحد يلقى الأعاديا
وصال عليهم ثابت الجأش ظامياً
كما صال ليث في البهـــائم ضاريا
فردت على أعقـــابها منه خيـفة
وقد بلغت منها النفوس التراقيا
وأورد في ماء الطـلى حد سيـفه
وأحشاه من حر الظمـــا كما هـيا
إلى أن رمى سهماً فـأظمى فؤاده
ويا ليت ذاك السهم أضمى فؤاديا

حدثنـــي المرحوم الحاج عبـد العباس الحلاق ـ كان في السادســة والتســعين من عمـــره ـ وهو شـــاهد عيان، فقـــال: ارتقى المنبر الحســيني خطيب كربلاء الشـــاعر السيد جواد الهندي في مجلس تعزية يقيمه الســيد عيســى البزاز في داره بمحلة باب الطاق، وسأل الحاضرين مسألة نحوية في سـياق حديثه وهي: ما الفـرق بين الضاد والظاء؟ فأجابه فلاح معمر قائلاً: يا سـيد نحن فلاحون لا نعرف، فقال السيد جواد: أنا أســأل أهل العلم، فلم ينبس أحد ببنت شفة، ثم أعاد السؤال ثانية وثالثة فنهض له رجل يرتدي الكوفيـة والعقال قائلاً: الظاء تخرج من حافة اللسان (المضحك)، والضاء تخرج من اللهاة (اللسان الصغير) والرحاء، فدهش الخطيب لهذا الجواب، وسأل من هذا الرجل المتكلـم؟ فأجابه الحاضرون أنـه (حسـين الكربلائي)، فقـال: هذا من أهـل العلـم، بـارك الله فيك يـا رجل[٧].

وهكذا نأتي على نهاية سيرة هذا العالم والشـاعر والخطيب، ولا نقصد من وراء ذلـك إلا تخليد السـلف الصالح والله من وراء القصد ■

---

(١) معجم الخطباء، السـيد داخل السيد حسن، ج١ ص١٥٨.
(٢) مجالـي الطف بـأرض الطف، الشـيخ محمد السماوي، ص٧٩.
(٣) أعيان الشـيعة، السـيد محسـن الأمين، ج١٧ ص٢٢٣.
(٤) ديوان أبي المحاسن الكربلائي، تحقيق: الشيخ محمد علي اليعقوبي، حاشية ص٣٤.
(٥) المصدر نفسه: ص٣٤.
(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آغا بزرك الطهراني، ج٩ القسم الأول ص١٩٧.
(٧) دراسـات حـول كربلاء ودورهـا الحضاري، مركـز كربلاء للبحوث والدراسـات، ص٣٩٩ وص٤٠٠، بيروت، ١٩٩٦م.

هاشميون.. لم يدركوا الفتح!

مقاربة تاريخية

حيدر المالكي •

ينابيع

لم يشأ سيد الشهداء عليه السلام أن يغادر مكة متجهاً إلى كربلاء دون أن يبين للرأي العام الغرض من نهضته وسبب تعجيل خروجه من بلاده، وكان عليه السلام يهدف من وراء ذلك إلقاء الحجة على من سيقول: (لم يخبرنا بما انطوت عليه سريرته، أو لم يعلمنا بنهضته ولو أعلمنا لخرجنا معه) ومثل هذا الكلام الكثير مما يجلب العذر للمتخلفين عن الخروج مع الحسين عند مسيره إلى كربلاء حيث أرض البطولة والمجد والفداء.

والظاهر أن سيد الشهداء عليه السلام لم يدخر وسعاً في تعبئة الهاشميين خصوصاً، وغيرهم فكرياً وعقائدياً للانخراط في عداد من سينالون الشهادة يوم تسطير الملاحم على أرض كربلاء، ولكنه عليه السلام وبعد أن أدى دوره الإعلامي الممهد في استنهاض للناس لم يترك الباب مفتوحاً لتقولات أو لافتراضات الآخرين الذين سيحللون نهضته عليه السلام من ألفها إلى يائها ويحاولون مجدين تعليل عدم خروج الهاشميين مع سيدهم الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما صرح به الإمام الصادق عليه السلام لحمزة بن حمران عندما سأله عن خروج الحسين عليه السلام وتخلف ابن الحنفية عنه، فقال عليه السلام: (يا حمزة إني سأحدثك في هذا الحديث ولا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا، إن الحسين عليه السلام لما فصل ـ أي خرج ـ متوجهاً دعا بقرطاس وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى بني هاشم، أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح والسلام)[1].

والغرض من هذا الكتاب يسير في اتجاه من الاتجاهين والله أعلم:

إن الإمام الحسين عليه السلام كان يتوقع التحاق عدد من الهاشميين بركبه، أثناء الطريق، فبيّن لمن سيلتحق حقيقة الأمر، فالطريق لا يفضي إلى المناصب الدنيوية، بل إلى الاستشهاد وهو الفتح بعينه حيث خلود الذكر في الدنيا والدرجات العالية لمن سوف يلتحق فيستشهد.

أنه عليه السلام أراد أن يعلن لبني هاشم عن نيته في الخروج لإقامة الحجة عليهم، فأصحابه كانوا معلومين لديه لاينقصون رجلاً ولا يزيدون رجلاً.

على أن الشيخ المجلسي علق على (لم يبلغ الفتح) تعليقتين[٢]:

الأولى: أي لم يبلغ ما يتمناه من فتوح الدنيا والتمتع بها.

الثانية: أي لا يتيسر له فتح وفلاح في الدنيا والآخرة.

مواقف الهاشميين من نهضة الحسين عليه السلام

انقسم الهاشميون أنفسهم تجاه دعوة الإمام الحسين عليه السلام للتوجه معه إلى العراق بين مؤيد ومعارض، فالمعارض اتكأ على حجة عدم استطاعته عليه السلام بإمكاناته المادية المتواضعة من مقارعة الجيش الأموي الذي يمثل رسمياً القوة الضاربة لدولة واسعة الأطراف، ونسي تكليفه الديني الذي يلزمه طاعة الحسين عليه السلام خصوصاً في الجهاد، هذا إن كان يعتقد بأن الحسين عليه السلام إمام، مفترض الطاعة إضافة لكونه الحفيد الثاني والأخير للنبي الأكرم عنوان فخر

الهاشميين جميعاً.

أما المؤيد الذي لم يلتحق بسيد الشهداء عليه السلام، فلم يعط التاريخ صورة واضحة عن أسباب تخلفه، فأصبح الوضع محيراً لمن يتحرى ذلك باعتماد آراء المؤرخين، الذين برر بعضهم هذا التخلف، والبعض الآخر لم يقتنع بما قدمه المتخلفون، وإن كانت بعض هذه التبريرات صائبة كما سنبين ذلك.

لنلقي الضوء على ذرية عبد المطلب دون باقي الهاشميين، باعتبارهم الأقرب من الحسين عليه السلام، فقد تخلفوا عنه عليه السلام بالرغم من قابليتهم على حمل السلاح والدفاع عن ثقل النبوة.

أولاً: ذرية أبي طالب عليه السلام

عقيل، وقد استشهد أولاده، مسلم وعبد الرحمن وجعفر وعبد الله في كربلاء، فلم يبق سوى ولد من ذرية ولده محمد ومنه كان النسل: (وكان ـ علي بن الحسين عليهما السلام ـ يعطف عليهم ويقدمهم على غيرهم من آل عقيل، فقيل له في ذلك، فقال: إني لأذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فأرق لهم)[٣].

جعفر: أختلف المؤرخون في عون ومحمد ولدي جعفر فمنهم من قال قتلوا مع ابن عمهم الحسين في كربلاء، ومنهم من قالوا قتلوا بتستر قبل واقعة كربلاء.

أما عبد الله بن جعفر، زوج السيدة زينب عليها السلام (فقد كتب إلى الحسين بن علي مع ابنيه عون ومحمد، أما بعد فإني أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر كتابي، فإني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير فإني في أثر الكتاب والسلام)[٤].

نلمح في النص طلب عبد الله من الحسين عليه السلام أن لا يعجل بالسير إلى العراق، وأنه سوف يلتحق به كما في قوله (فإني في أثر الكتاب) والواقع أن عبد الله لم يلتحق بالحسين عليه السلام، (ولما بلغه مقتل ولديه، دخل عليه بعض مواليه يعزيه والناس يعزونه فقال مولاه: هذا ما لقيناه من الحسين فحذفه ابن جعفر بنعله وقال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه لمما يسخي بنفسي عنهما ويهون المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه ثم قال: إن لم أكن آسيت الحسين يداي فقد آساه ولدي)[٥]، وقد برر عدم خروجه الشيخ نجم الدين الطبسي قائلاً: (إن من يواسي الإمام بأعز ما عنده من أهل بيته لابد وأن يكون تخلفه عن الإمام عليه السلام على كره منه بسبب عذر قاهر)[٦]، ولم يشر المؤرخون لذلك العذر عدا ما ذكره الشيخ جعفر النقدي: (أما عدم خروجه مع

الحسين إلى كربلاء فقد قيل إنه مكفوف البصر)[٧]، عموماً فقد توفي عبد الله سنة ٨٠هـ، على أن هناك من ولده من شهد كربلاء ولم يقتل واسمه القاسم، ومنهم من كان بالمدينة كمعاوية الذي ولد في فترة حكم معاوية بن أبي سفيان.

عليعليه السلام: لم يتخلف من ذريته عليه السلام سوى أولاده: محمد بن الحنفية، عمر الأطرف، عبيد الله، وزيد بن الإمام الحسن عليه السلام، أما محمد بن الحنفية فقد كان من أشد المناصحين للحسين عليه السلام، حيث بينت محاوراته المتكررة معه عليه السلام شدة حرصه على حياة أخيه، بل تكشف عن رؤية محمد للمنهج الذي يراه مناسباً لحركة الإمام الحسين عليه السلام، وليس فيه أدنى اعتراض على الحركة وشرعيتها وتوقيتها، ويذكر جمال الدين الشامي: (ثم دخل ـ الحسين ـ على ابن الحنفية فودعه حتى أخضلت لحاهما، وتهيأ ابن الحنفية للخروج معه، فأمره بالتخلف لينظر ما يرد عليه من أمره)[٨]، نفهم من النص إن محمد استعد للخروج مع الحسين ولم يتخلف إلا إن الحسين منعه، على أن السيد ابن طاووس رجح مرض ابن الحنفية فقال: (كان موكوعاً ـ الوكع: ميل في الأصابع ما قبل السبابة فتصبح المعقوفة ـ بسبب سرده للدرع والنظرة التي أصابت يديه)[٩]، فإذا كان معذوراً في خروجه فلماذا لم يخرج أبناءه مع عمهم الحسين؟ ، وقد كان له ثمانية أولاد، القاسم وعون وإبراهيم والحسن وعبد الله وعمر وجعفر(قتيل واقعة الحرة) وعلي، وأغلبهم كان ممن يستطيع حمل السلاح والنزال في ساحة المعركة، وهذا ما لم نجد له جواب!.

أما عمر الأطرف ابن الإمام علي عليه السلام، فقد رجح المؤرخون، عدم خروجه مع أخيه الحسين عليه السلام حيث ذكر ولده محمد قال سمعت أبي عمر يحدث أخوالي آل عقيل قال: (لما امتنع أخي الحسين عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلت عليه فوجدته خالياً، فقلت له: جعلت فداك يا أبا عبد الله، حدثني أخوك أبو محمد الحسن، عن أبيه ثم سبقتني الدمعة، وعلا شهيقي، فضمني إليه وقال: حدثك إني مقتول،

فقلت: حوشيت يا بن رسول الله ، فقال: سألتك بحق أبيك، بقتلي أخبرك؟ ، فقلت: نعم، فلولا تأولت وبايعت...)[10]، من النص المتقدم نلاحظ، عدم دعوة الإمام الحسين عليه السلام لأخيه شخصياً للانضمام إليه في رحلته، كما نلمح فيه دعوة عمر أخاه الحسين لمبايعة يزيد والقبول بالوضع، ولكن الحسين عليه السلام أجابه: (لا أعطي الدنية عن نفسي أبداً)، وكأن عمر رفض فكرة النهضة بداعي خوفه على أخيه مما حدا بالحسين ليخبره (حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بقتله وقتلي).

يقول ابن عنبة: (وتخلف عمر عن أخيه الحسين عليه السلام، ولم يسر معه إلى الكوفة، وقد دعاه إلى الخروج معه فلم يخرج، ويقال إنه لما بلغه قتل أخيه الحسين عليه السلام خرج في معصفرات له وقال: أنا الفتى الحازم ولو اخرج معهم لذهبت في المعركة وقتلت)[11].

في النص المتقدم نلحظ عبارة: (وقد دعاه إلى الخروج فلم يخرج) ولم نجد في محاورته مع الحسين المتقدمة ما يشعر بدعوة الحسين إياه لنصرته، ولعل هناك محاورة أخرى لم تصلنا والله أعلم، أما المقطع الأخير، فيجب دراسته ومحاولة فهم ظرف عمر الأطرف الذي جعله يتكلم بهذه الكلمات التي يشم منها رائحة الشماتة، إن صحت الرواية، وإلا ما الذي جعل عمر يتكلم بمثل ما تقدم وهو الذي سبقته الدمعة وعلا شهيقه عند وداعه للحسين عليه السلام؟!، عموماً فقد عاش عمر سبع وسبعين سنة، ويمكن تخمين عمره يوم الطف بثماني وأربعين سنة.

أما عبيد الله بن علي فلم يحضر كربلاء، ولم يعلل لنا التاريخ سبب ذلك، وقتل سنة ٦٨هـ في الحرب التي وقعت بين المختار وابن الزبير.

في حين يذكر ابن عنبة أن زيد بن الحسن عليه السلام تخلف عن عمه الحسين فلم يخرج معه إلى العراق، توفي زيد سنة ١٢٠هـ، عن عمر ناهز خمساً وتسعين سنة [12].

ثانياً: ذرية العباس

للعباس عشرة أولاد، منهم من مات قبل يوم كربلاء ومنهم من بقي وسنذكر من بقي،ولم يسجل لنا التاريخ حضوراً لهم في واقعة كربلاء من قريب أو بعيد.

عبد الله: حبر الأمة الذي لم يدخر وسعاً في نصرة الإمام علي عليه السلام والحسنين عليهما السلام من بعده، ولكن لماذا لم يلتحق بالحسين؟ ، تشير أغلب الروايات إلى أن ابن عباس كان مكفوفاً حيث قال ابن قتيبة: (ثلاثة مكافيف في نسق، عبد الله وأبوه العباس وجده عبد المطلب بن هاشم)[13]، ولكن لم يوضح لنا التاريخ متى فقد بصره؟ فبعض النصوص تشعرنا بفقدانه البصر بعد الطف لبكائه على علي والحسن والحسين عليهم السلام، كما أن أغلب الحوارات التي دارت بينه وبين سيد الشهداء عليه السلام لم يتذرع بفقدان بصره، بل

راح يبين للإمـام بأنه طوع أمره، ومنها ما رواه ابن عساكر في جواب الحسين عليه السلام: (يا أبا العباس إنك شـيخ قد كبرت، فقال ابن عباس لولا أن يزري ذلك بي وبك لنشـبت يدي في رأسـك)[١٣]، وفـي نص آخر نجد ابن عباس يقول للحسـين: (جعلت فداك يا ابن رسول الله، كأنك تريدني إلى نفسك، وتريد مني أن أنصرك والله الذي لا إله إلا هـو أن لو ضربت بين يديك بسـيفي حتى انخلع جميعاً مـن كفي لما كنت ممن أوفى من حقك عشـر العشر، وها أنا بين يديك مرني بأمرك)[١٤]، وكما نرى لم يشـر ابن عباس لفقدان بصره لامـن قريب ولا من بعيد، ولعل في تأخره ما لم يكشف التاريخ عن سـببه والله اعلـم، ولو سـلمنا بكونه مكفـوف البصر فلماذا لم يواس الحسـين بأولاده كما فعل عبد الله بن جعفر؟، فقد كان ولـداه، العباس وعلـي مؤهلان لحمل السلاح، حيث كان سن علي يومها يقارب العشرين سنة.

عبيـد الله: كان عمره يـوم الطف ٦٠ سـنة لأنه ولد سنة ١ هـ وقد مات بالمدينة سـنة ٨٧هـ، وهو الذي ترك قيادة جيش الإمام الحسن عليه السلام والتحق بمعسكر معاوية مقابـل حفنة مـن الأمـوال، وكان له من الأولاد عبـد الله والعبـاس، وكلاهما كانا مؤهلين ليجاهدا بين يدي الحسين عليه السلام.

كثيـر: كان عمره يوم الطف ٥١ سـنة، باعتبـاره ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولكنه لم يلتحق بابن عمه الحسين عليه السلام.

الحارث: لم نسـتطع تحديـد فيما إذا كان موجـوداً يومها أم لا، ولكن ولده عبد الله كان في عمر يؤهله للقتال، كذلك ابنه السـري بن عبد الله فقد عـده الرجاليون من أصحاب الإمام السـجاد عليه السلام[١٤] أي كان شاباً يوم الطف.

تمام: فقد اسـتخلفه الإمـام علي عليه السلام على المدينة عندما خرج إلى حرب الجمل وهذا يعني أنه كان موجود سنة ٣٦هـ ولم يذكـر لنا التاريخ هل كان حياً سـنة ٦١هـ أم توفـي وإذا كان ميتاً فإن ابنه جعفر كان موجوداً لكنه لم يلتحق بالحسين عليه السلام.

عـون، ليس له ذكر يمكن الاسـتدلال به، يفيد بوجوده يوم الطف أو عدمه.

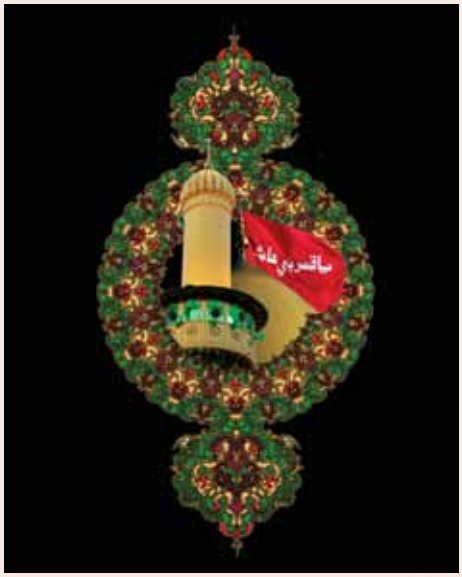

ثالثاً: ذرية الحارث

نوفل: فمن ولده المغيرة، الذي استخلفه الإمام الحسن عليه السلام على الكوفة عندما أراد السير إلى معاوية، وكان مع الحسين بن علي عليهما السلام، فأصابه مرض في الطريق فعزم عليه الحسين عليه السلام أن يرجع فرجع فلما بلغه قتله عليه السلام رثاه[15] ومن ولده، عبد الملك الذي توفي في زمن عمر بن عبد العزيز، وعبد الله، الذي مات بالأبواء سنة ٧٩هـ وقيل سنة ٨٤هـ وكان قاض المدينة، وقيل بل قتل سنة ٦٣هـ في يوم الحرة، ولعبد الله ولد، يدعى الصلت زوج رملة بنت أمير المؤمنين، أما سعد، لم يذكر التاريخ حاله، وإن لم يدرك الحسين عليه السلام فقد أدركه ولده يعقوب ولكن هؤلاء لم يلتحقوا به عليه السلام.

أما عبد الله بن الحارث بن نوفل: توفي سنة ٨٤هـ أو ٧٩هـ في عمان كانت أمه هند بنت أبي سفيان وكان قد حبسه ابن زياد مع المختار وميثم التمار[16] ولا نعلم سبب الحبس هل كان يدعو للحسين عليه السلام أو كان الحبس على أثر قضية خاصة، وورد في موضع آخر أنه كان بالبصرة يوم كربلاء وكان يحاول أن يؤخر ابن زياد رجاء أن يقدم الحسين عليه السلام إلى الكوفة قبله[17].

ربيعة: وكان لربيعة من الأولاد، العباس ومحمد وعبد المطلب، أما العباس، فقد كان ولده الفضل من الذين تخلفوا عن الحسين، ولكنه قتل يوم الحرة سنة ٦٣هـ، كما إن أخوته عبد الرحمن وعون لم يلتحقا بالحسين عليه السلام، وكان للعباس ولد أخر أسمه عبد الله، شهد هو وابنه أبو بكر خروج الحسين ولم يلتحقا به، وقد قتل ولده أبو بكر في واقعة الحرة.

أبو سفيان (المغيرة): أخو الرسول في الرضاعة توفي سنة ١٦هـ، وقيل سنة ٢٠هـ أولاده: عبد الله بن أبي سفيان: وأمه جمانة بنت أبي طالب، أما زوجته فهي رملة بنت أمير المؤمنين عليه السلام انفرد الواقدي في كتابه (مقتل الحسين) في إدراج عبد الله ضمن شهداء كربلاء ولقبه بـ(أبي الهياج)[18]، ولم نجد في المصادر ما يدعم رأي الواقدي هذا.

رابعاً: ذرية نوفل

فمن ذريته عبد الله بن الحارث بن نوفل، مات بعد الثمانين هجرية ولم يشهد كربلاء، محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، مات في خلافة سليمان بن عبد الملك على رأس المائة، نافع بن جبير بن مطعم: مات سنة ٩٩هـ.

خامساً: ذرية أبي لهب

فمن ذريته العباس بن عتبة بن أبي لهب: قتل في واقعة الحرة سنة ٦٣هـ والفضل بن العباس بن عتبة، توفي سنة ٩٠ هـ، وقيل بل سنة٩٥هـ، وكان شاعراً

مجيـداً رثى الحسـين عليه السلام وشـهداء بني هاشـم، المستشهدين بين يديه بقوله[19]:

أعـيني ألا تبكـيا لمصـيبتي
وكل عيون النـاس عني أصـبر
أعيـني جـودا من دموع غزيـرة
فقد حق إشفاقي وما كنت أحذر

كما شـهد نهضة الحسين مسـلم بن معتب بن أبي لهـب وأخيه محمد لكن التاريخ لم يحدثنا عن حياتهم شـيء، وخلاصة القول، فقد استشهد مع الحسـين الصفوة من بني هاشم، ونرى من تخلف عـن نصرته لـم يعش بعده أكثر مـن أربعين عام، مستبدلاً مجدا وخلوداً لا نظير لهما بهذه الأعوام ■

(١) ابن طاووس، اللهوف، ص٤٠.
(٢) بحار الأنوار، ٨١/٤٢.
(٣) كامل الزيارات، ص٢١٤.
(٤) الطبري، تاريخ، ٢٩١/٤.
(٥) الأربلي، كشف الغمة، ٢٨٠/٢.
(٦) الأيام المكية من عمر النهضة الحسينية، ٢٧٥.
(٧) زينب الكبرى، ص٥٧.
(٨) ابن حاتم العاملي، الدر النظيم، ص٥٤١.
(٩) ابن طاووس، اللهوف، ص١٦٤.
(١٠) العسكري، معالم المدرستين، ٤٨/٣.
(١١) عمدة الطالب، ٣٦٢.
(١٢) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٨٩.
(١٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٨/٨.
(١٤) الخوئي، معجم رجال الحديث، ٤٤/٩.
(١٥) النمازي، مستدركات رجال الحديث، ٤٧٢/٧.
(١٦) ابن نما، ذوب النضار، ص٦٨.
(١٧) الطبري، تاريخ، ٣٥٩/٥.
(١٨) مقتل الحسين، ص٢٢٦.
(١٩) الأربلي، كشف الغمة، ٢٧١/٢.

ليـل عاشـوراء

الشيخ محمد نصّار •

يـا لَيـل عاشُـوراء ليتـكَ لَـم تكُـنْ ... فعَظيـمُ خطـبٍ حَـلَّ فيـكَ جَليـلُ
فـإذا حَلَلـتَ فَليـتَ تَبقـى سَـرمَداً ... وَظـلامُ لَيـلٍ منـكَ لَيـسَ يَـزُولُ
إذْ فِـي صَبـاحٍ عَـن ظَلامِـكَ يَنجَلـي ... لشُـموسِ خيـرِ الأنبيـاءِ أفـولُ
يـا ليـل قـدْ أسـهرتَ عَيـن بنـي الهُـدى ... وَبـكَ اشـتَفى للظالميـنَ قَبيـلُ
اللّـه يـا ليـل الـوداع لِمـا جَـرى ... فـوداعُ آلِ اللّـهِ فيـكَ مَهـولُ
سَـلْ مـا جَـرى جمـلاً وَدعْ تفصيلَـهُ ... فقليلُـه لـمْ يحصِـهِ التَفصيـلُ
حيـثُ الحسـين يَـروحُ فيـكَ مُودِّعـاً ... آلَ الرسـولِ بِلَوعـةٍ وَيَقـولُ
هـذا الـوداعُ أَحبتـي وَالمُلتَقـى ... بِجنـانِ خُلـدٍ ظِلُهُـنَّ ظَليـلُ
فغَـدَتْ بَنـاتُ المُصطفـى فِـي عَولـةٍ ... وَعراهـا مِـن هَـولِ ذاك ذهـولُ
ناداهُـم صَبـراً فقـدْ نَـزلَ القَضـا ... وبُكاكُـمُ بَعـدي غَـداً سَـيَطولُ

* * * * *

يـا لَيـل عاشُـوراء أيُّ مصائـبٍ ... وَقعَـتْ بِصحبـكَ وَقعُهـنَّ وَبيـلُ
ضاقـتْ بـهِ الأرضُ الفضـاءُ بِرَحبهـا ... وَلَـم يَبـقَ فيهـا لِلحُسـينِ مقيـلُ

أَمسى يُعاتبُ دَهرهُ بخيامِهِ ... وَالدهرُ لا يُرضيهِ عَنهُ بَديلُ
لَم تَرعَ يَوماً ذمةً لابنِ حُرَّة ... هذا خليلُكَ يا زمانُ قَتيلُ
تَسمَعه أختٌ ما تكَرّرَ مثلها ... فتكادُ مِن هولِ العِتابِ تَميلُ
وَتقولُ قدْ قَطَّعتَ قَلبي يا أَخي ... حُزناً فَيا ليتَ الجبالَ تَزُولُ

قصيدة: ليل عاشوراء

الإمام الحسين عليه السلام..

صورة أخرى

السيد مضر الحلو •
باحث وكاتب إسلامي/ لندن

ينابيع

إن صورة الشخصية التاريخية التي تتبوأ مكانة مميزة في المجتمع الإنساني، وكذلك صورة الحدث التاريخي المفصلي في تاريخ المجتمعات البشرية، تتشكل من مجموعة رموز كل واحد منها يضع خطا في تلك الصورة حتى تكتمل ملامحها. فلو أخذنا صورة الإسلام مثلا فهي ترسمها مجموعة رموز منها المفاهيم التي يدعو إليها الإسلام ومنها سيرة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله ومنها الطقوس والشعائر والعادات التي يمارسها المسلمون فهي تضيف الكثير من الخطوط لتلك الصورة. بل أحيانا تكون تلك العادات والطقوس هي وحدها من يرسم صورة الإسلام كما هو حاصل الآن عند الكثير من الغربيين فان تصورهم عن الإسلام مقتصر على ممارسات المسلمين ولذا كانت صورة الإسلام في الغالب مشوشة، مرتبكة، وأحيانا قاتمة. مما ولد انطباعات سلبية عندهم عن الإسلام.

وكذلك هو الإمام الحسين عليه السلام وحركته الإصلاحية المباركة، فان من العناصر الهامة التي شكلت صورته في الأذهان وخلقت تصوراً عنه وعن حركته ـ فضلا عما ورد في حقه من نصوص في القران الكريم أو عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله ـ هو الطقوس والشعائر والعادات والتقاليد التي تمارس باسم الحسين وهي لا تقل أهمية عن نصوص القران والسنة الشريفة ان لم تزد عليها أهمية أحيانا. خصوصا وان الناس في الغالب لا تمارس عملية البحث العلمي لترسم صورة للإمام عليه السلام من خلال الغور في أعماق النصوص وتنقيحها

وغربلتها لتصل إلى الصورة الحقيقية لتلك الشخصية العملاقة، بل الغالب من الناس يكتفون بما يسمعون أو يشاهدون ليكتمل عندهم التصور عن حدث عاشوراء وصانع ذلك الحدث الإمام الحسين عليه السلام. وغير خاف على احد إن أوضح اللوحات التي رسمناها للإمام الحسين عليه السلام وقدمناها لأجيالنا وللشعوب كافة من خلال ما نمارسه من طقوس وشعائر وعادات وتقاليد باسم الحسين عليه السلام تشكلت خطوط تلك اللوحة من مشهد أحمر اللون عناصره السيوف والدماء وبذلك رسمنا صورة نمطية.. مبتورة.. مزيفة لأبي الأحرار وسيد شباب أهل الجنة. صورة الإنسان الذي لا يفارقه مشهد الدم، الإنسان الذي يقدم السيف على الكلمة والقتل على الحوار والعنف على السلم. رسمنا مائزاً بين صورته وصورة أخيه الإمام الحسن عليه السلام أن صورته حمراء تجللها الدماء وصورة أخيه بيضاء تعبر عن الشخصية المسالمة والمتسامحة ويالها من مفارقة فيها الكثير من التجاوز على شخصية الإمام الحسين عليه السلام المسالمة والمفعمة بالقيم الإنسانية وعلى مشروعه الإصلاحي.

نظرة سريعة في سيرة هذا الإمام العظيم تكفينا لنقف على ملامحها الإنسانية ومشروعها التسامحي، يروي لنا أنس بن مالك فيقول: كنت عند

الحسين فدخلت جارية فحيته بطاقة ريحان فقال عليه السلام: أنت حرة لوجه الله فقلت: تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها؟ قال عليه السلام: كذا أدبنا الله قال الله تعالى: (**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**) وكان أحسن منها عتقها[1].

فأي نفس مفعمة بحب الخير هذه وأي شعور إنساني راق هذا الذي واجه به الإمام جاريته، وبهذا الحس الإنساني النبيل كان يتعامل الإمام الحسين عليه السلام مع من يسيء إليه فضلاً عمن يحسن له مما شجع بعض خصومه لاستغلاله، روى المؤرخون أن مروان بن الحكم وهو عدوه وعدو آبائه اللدود فزع للإمام الحسين ولأخيه الحسن عليهما السلام بعد هزيمة معركة الجمل وطلب منهما أن يشفعا له عند أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يترددا في الاستجابة فخفا للإمام وكلماه بشأنه وقالا: يبايعك يا أمير المؤمنين، ومازالا يلطفان به حتى عفا عنه[2]، فلا يمكن أن يصدر مثل هذا الموقف إلا من قلب لا يعرف الحقد والكراهية قلب لا يحمل إلا الحب والرأفة لبني الإنسان.. يجير من استجار به.. يمد يده لكل ذي حاجة... يرد لهفة كل ملهوف. والشواهد على ذلك كثيرة في حياته المباركة بل ان الحلم والرأفة والعطف والتواضع هي الأسس التي كان ينفتح الإمام من خلالها على أبناء المجتمع مهما كان لونهم الثقافي أو الديني أو العرقي والأمثلة على ذلك أكثر من ان تستوعبها مقالة مبنية على الاختصار.

ثم لابد أن تكون لنا وقفة ـ ونحن في معرض الحديث عن التسامح في شخصية الإمام الحسين عليه السلام ـ على حركته المباركة وما تضمنته من مواجهات دامية كانت حصيلتها عشرات الشهداء من أهل بيته وأصحابه وضعفهم من القتلى في الجيش الأموي .إذ قد يقول قائل كيف يتفق هذا مع من نهجه التسامح ونبذ العنف ان تكون معارضته للنظام السياسي القائم بالمواجهة المسلحة؟ ولم لم يختار المعارضة السلمية ضد الأمويين؟ وجوابا على ذلك نقول إن خيار المواجه المسلحة لم يكن هو الخيار الأول الذي لجأ إليه الإمام بل كان هو الخيار الأخير بعد إن لم يبق الأمويون أي فرصة للكلمة أن تأخذ دورها وللحوار ان يستمر، فهم الذين ألجأوا الإمام إلى الخيار المسلح، إذ من الثابت تاريخيا أن الحسين عليه السلام عاش بصفته إماماً عشر سنوات مع أخيه الحسن من شهادة الإمام علي سنة ٤٠ هـ إلى شهادة الإمام الحسن سنة ٥٠ هـ، ثم تفرد بإمامة المسلمين بعد أخيه الحسن سنة ٥٠هـ إلى سنة ٦٠ هـ فالملاحظ طيلة هذه العشرين سنة كان الإمام يرفع لواء المعارضة السلمية ضد النظام الأموي ولم يعرف عن الإمام عليه السلام انه دعا إلى ممارسة العنف أو الحرب أو غير ذلك، وللأسف الشديد اننا أغفلنا مشروع الإمام السلمي هذا في معارضة النظام الأموي الجائر رغم

إن عمر هذا المشروع يمتد لعقدين من الزمن إما جهلا أو تعمدا حيث كان الإمام طيلة هذه الفترة يعلن معارضته ويحتج على الظلم الأموي والتلاعب بمقدرات المجتمع بالخطاب والكتب التي كان يبعثها إلى رئس النظام معاوية بن أبي سفيان كالكتاب الذي أرسله احتجاجا على قتله حجرا واستلحاقه زياداً كما أن الإمام كان يعقد مؤتمرا سنويا بعرفات في موسم الحج للإعلان عن موقفه من سياسات السلطة الأموية. هذه هي ملامح منهج الإمام في المعارضة. وما حصل أن الأمويين هم الذين زجوا الإمام في موقف حرج إذ لم يتركوا أمامه أكثر من خيارين إما النزول على حكمهم وغض الطرف عما يتعرض له الإسلام من تزوير وتلاعب وما يمارس مع المجتمع من غصب للحقوق وتعسف وقتل أو أن يقتل هو ويراق دمه الطاهر وكيف لربيب العزة والكرامة أن يختار الذل والخنوع.

لقد كانت رسالة طلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام التي بعث بها يزيد بن معاوية إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تشكل بداية التحول في موقف الإمام في معارضته للنظام الأموي بعد أن خيره يزيد بن معاوية بين البيعة له أو أن يضرب عنقه، فيقرر الإمام الهجرة إلى مكة بحثا عن مقر بديل ينطلق منه لأداء واجبه في كشف زيف الأمويين وسلب شرعيتهم ويستمر

مسلسل التهديدات لاغتيال الإمام عليه السلام فقد أنفذ يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر وأمَّره على الحاج وولاه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين عليه السلام أينما وجد[٣].

وقد علم الإمام عليه السلام بتصميم الأمويين على قتله وهو بمكة وانه مهدد بالاغتيال في أي لحظة كما جاء في جوابه لابن الزبير ويقال لابن عباس حين طلب منه أن يتريث في الخروج من مكة فقال: إن أبي حدثني ان بمكة كبشا ـ الكبش يعني الضحية ـ به تستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش ولئن اقتل خارجا منها بشبر أحب إلي من ان اقتل فيها وأيم الله لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم والله ليعتدن علي كما اعتدت اليهود في السبت[٤].

ومثله ما ورد في جوابه لمحمد بن الحنفية حين اقترح عليه عدم الخروج من مكة فقال عليه السلام: أخاف أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت[٥]. ومرة أخرى في جوابه لابن عباس بنفس الصدد قال: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يذلهم[٦]. وقد صور الإمام الموقف الذي كان يواجهه لأبي هرة الأسدي حين قال له: ان بني أمية اخذوا مالي فصبرت وشتموا عرضي فصبرت وطلبوا دمي فهربت[٧].

من كل ذلك يتبين أن الإمام لم يلجأ إلى خيار العنف والقتال إلا بعد أن ألجأه إليه يزيد بن معاوية وفرضه عليه فرضا. فحينها أطلق كلمته (ألا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة...). واختار أن يواجههم مواجهة الواثق من حق قضيته ..مواجهة البطل الشجاع الذي لا يعرف الخوف إلى قلبه مسربا.

وقد رأينا أن الإمام قضى زمناً ليس بالقليل كان فيه ثائراً في أسلوب داعية في خط التغيير. من هنا ينبغي على كل من يلتزم بالإمام الحسين عليه السلام رائداً له في مواجهة الظلم والانحراف أن لا يكون خياره الأول العنف بل يبقى هذا الخيار هو أخر الخيارات المطروحة يلجأ إليه بعد أن يستنفد كل الخيارات السلمية الأخرى ■

---

(١) كشف الغمة ٣١/٢.
(٢) حياة الإمام الحسين للقرشي ١٢٦/١.
(٣) مقتل الحسين للمقرم ص ١٦٥.
(٤) ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ص٣٠٨، تاريخ الطبري:ج٤ ص٢٨٩.
(٥) بحار الأنوار: ج٤٤ ص٣٦٤، اللهوف: ص٨٢، لواعج الأشجان: ٧٢
(٦) ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص ٣٠٩، البداية والنهاية:ج٨ ص١٨٣، إرشاد المفيد:ج٢ ص٧٦، إعلام الورى باعلام الهدى:ج١ ص٤٤٨.
(٧) مقتل الحسين للمقرم: ١٧٠ عن الخصائص الحسينية للششتري، بحار الانوار:ج٤٤ ص٣٦٨، لواعج الاشجان:٨٤، الفتوح: ج٥ ص٧٩، اللهوف: ٩٢.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين

التأثير والتأثر

الحسين عليه السلام أنموذجاً

د. حيدر كريم الجمالي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

هي من قضايا الإبداع الفني التي تتصل بالخطاب ومؤثراته الإبداعية المؤثرة، وهي قضية العلاقة بين المبدع والمتلقي من جهة التأثر والتأثير، أي الموقف المقابل للنص، هذا وتتحكم هذه العلاقة بجودة النص الإبداعي، فالإسقاطات كثيرة، وقليل منها رحل إلى ذروة الإبداع من أدبيات القرن الحالي، وهذه النظرية تحدَّث عنها القدماء العرب ولعلهم لم يصلوا إلى المنهجية والتنظير فيها فقد بدع البلاغيون العرب أيما إبداع في هذا الجانب، وسطروا آراءهم قبل الغربيين في هذا الصدد.

فالمسألة لا تكون اعتباطية أبداً بل يسبقها شيء من الإحساس المعنوي الذي يرافق النص الإبداعي بكل لحاظه وصولاً إلى المعنى العام المراد من النص، والذي سيلقي ظلاله على النص، فالعلاقة بين النص والمبدع علاقة تلازم تؤطرها مناسبة النص. التي تأخذ مجالها في الحكم عليه تأثيراً وتأثراً.

ولسنا هنا في باب التنظير لهذه القضية النقدية ولكن بقدر ما يتعلق الموضوع بقضية أثارت الرأي العام وقلبت العروش وحولت ليل الظالمين إلى جحيم يستعرون فيه.

لقد مر التاريخ العربي والإسلامي والعالمي بكثير من الإرهاصات التي تمثلت بتصدي قوى الخير لقوى الشر والجريمة، الذين تسوروا رقاب الناس ظلماً وعدواناً، فأحلوا دماؤهم وقتلوا أبناؤهم واستحيوا نساؤهم. والإسلام

بصفته ديناً سماوياً خالداً، اختاره الله (جل وعلا) للبشر قاطبة ينير لهم به الحلكة ويخرجهم من الظلمات إلى النور، إذ قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ) آل عمران/١٩، وقال تعالى: (وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) المائدة/١٦، حيث الطاعة الإلهية والخلاص الأبدي من ذلّ معصية الخالق.

وبهذه التعاليم القيمة السمحة حارب الإسلام قوى الشرك والكفر والفساد والانحلال والعبودية، فأرسل رسله مبلغين ومبشرين ومنذرين، حيث قال عز وجل: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) الحديد/٩، فحينما تتغير الرسالة التي أرادتها السماء، وينحرف من انحرف عن مسارها القويم، ويأخذ من أخذ حقوق الناس ظلماً وعدواناً لاسيما حق آل البيت عليهم السلام ويعملون في عباد الله المنكر والظلم والجور مخالفين بذلك سنة رسوله صلى الله عليه وآله فحينئذ لابد للصوت الإنساني أن يشق عباب السماء ويقول كلمته، ولابد للأحرار أن تتصدى لدورها التاريخي الإيماني كما قال الشاعر عبد الحسين الأزري البغدادي:

عش في زمانك ما استطعت نبيلاً
واترك حديثك للرواة جميلا
ولعزك استرخص حياتك أنه
أغلى، وإلا غادرتك ذليلاً
فالعز مقياس الحياة وضل من
قد عد مقياس الحياة الطولا
ما كان للأحرار إلا قدوة
بطل توسد في الطفوف قتيلا

ولقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام ومنذ هلاك الطاغية معاوية موقفه من الحكم الأموي الجائر، وهذا الإعلان قد أخذ بُعده المدوي في آفاق الإنسانية بصريح عبارة الإمام عليه السلام حيث يقول: (إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف

الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)[1].

وقد تكرر هذا الصوت الإنساني مراراً في كربلاء، وقد ملئت جيوش العدى الفضاء، وقد ملئت بطونها حراماً وقد دار في خلدها إذعان الإمام الحسين عليه السلام ولكنه يخرج عليهم بنص يثبت إيمانه وعزمه ويؤكد المسيرة المحمدية التي اختطها الإمام الحسين عليه السلام: (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة. يأبى الله لنا ذلك ورسوله وجدود طابت وحجور طهرت، وأنوف حمية أبية لا نؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام)[2].

وهذا كان له بالغ الأثر في الجيش الكوفي الذي أخذه الهرج والمرج، وكان هذا مدعاة لأن يتوجه الحر بن يزيد الرياحي إلى عمر بن سعد فيسأله: (أمقاتل أنت هذا الرجل؟)[3] ثم رأى بعد أن استيقن الأمر، بالعدول إلى معسكر الحسين عليه السلام ليكون بين أوائل المستشهدين بين يديه.

ولنا في وهب الكلبي النصراني خير مثال إذ رافق أمه إلى نجران ليتزوج فلما عاد وزوجه وأمه إلى مفترق الطرق بانتظار القوافل المتجهة إلى الكوفة ليسير في ركابها، فشاهد قافلة الحسين عليه السلام وسار معها بعد أن استأذن من الحسين عليه السلام فحول رحل النساء مع النساء. ولما طوق الحر بجيشه رحل الحسين عليه السلام دعته زوجته إلى مفارقة القافلة فأشارت عليه أمه بعدم تركه للحسين عليه السلام ونصرته.

فما أعظم هذا الموقف الأخلاقي الرائع، الذي يدل على الوفاء والقيم الإنسانية النبيلة لهذه المرأة والتي مثلت صورة نادرة للشيم العربية، وإذا ما لاحظنا أن زوجته تنزل إلى الميدان وكانت تأمره قبل الواقعة بالرحيل فتجاهد معه، فيسألها عن السبب لتجيبه إن واعية الحسين كسرت قلبها وهي النصرانية من دين غير ديننا ولكنها تأثرت بأهل البيت عليهم السلام، وشغف الحب قلبها بسلالة الطيبين لتنادي وهب حيث تقول له: (فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين)[4]. فما أجمل هذا الموقف الذي انبرى له صوت الحسين عليه السلام قائلاً: (جزيتم من أهل بيت خيراً)[5].

فالوعي والبصيرة أحد أركان الاختيار الحسيني وخطابه، وهي من المعاني السامية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، فقد رأيناه عليه السلام يوضح لأصحابه غاياتهم وينير لهم مقاصدهم فيقول عليه السلام: (أما بعد فقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغير بفعل

ولا قـول، كان حقيقاً علـى الله أن يدخله مدخلـه)[٦]، ثم قال مشـيراً إلى بني أمية: (ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشـيطان وتولـوا عـن طاعـة الرحمـن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واستحلوا حرام الله...)[٧].

هذا الخطاب الإسـلامي المحمدي قد أخذ فعله في غير أبناء المذهب فمنهم من كان عثمانـي الهوى وخيـر مثال على ذلك زهير بن القين البجلـي الكوفي، وهذا له قصة مشـهورة في فتح سـمرقند فحينما حصلـوا على الغنائـم فأخبرهم سـلمان المحمدي بموقف الحسـين عليه السلام يوم الطف وكانـوا جماعـة فعاهدوه علـى النصرة، وماتـوا ولم يبق سـوى زهير الـذي كان يتحاشى اللقاء مع الحسين عليه السلام الذي أرسل رسـوله له مرتين، وفي الأخيرة كان يأكل فأشارت عليه زوجه بأن يكلم الحسين عليه السلام، ـ وهذا هو دور المرأة الكريمة حيث تبدي الـرأي والمشـورة والنصح ـ فلمـا التقى بالحسين عليه السلام أخبره بقصة سمرقند فتحول زهير إلى الركب الحسيني واستشهد فيمن أستشهد وهو عثماني الهوى.

لقد جسـد الإمـام عليه السلام قيم الإسـلام والإنسانية السمحاء التي حولت الفاجعة إلى نصر تاريخي خالـد فيقول أحد الباحثين: (وإن كنا نتذكر ثـورة أطاحت بفكر ونهج الطواغيت، فإننا نتوقف في مضامين تلك الثورة التي لم يسـمها المؤرخون بالثورة الانقلابية على الطاغوت، وإنما أسـموها بالثـورة الفكريـة والجهادية والإنسـانية)[٨]، حيـث اعتصـر فيها طرحـان الموت والإنسـانية، فتولدت فكراً ومنهجاً يشير للآخرين طريقهم من أجل الخلاص. فقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام بأبيات يصف فيها مسيره إلى الحرية:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى
إذا مـا نوى خيـراً وجـاهد مسلما
وواسى الرجال الصـالحين بنفسه
وفـارق مثبـوراً وخـالف مجرما
فإن مت لـم أندم وإن عشت لم ألـم
كفى بـك ذلاً أن تعيش فتـرغـما[٩]

حيث امتزجـا بين دفاع عـن المبادئ وانقـلاب على الواقـع المرير وقد صرح أيضـاً بخلـو التضحيـات الجسـام التي سيقدمها من شوائب اللذات وحب الدنيا ومضامينها، ويحدد اتجاهه البطولي حيث يقول: (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسـداً، وإنما خرجـت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسـير بسـيرة جدي وأبي...)[١٠].

فهو يقـدم الآخرة علـى الدنيا، وهذا الخطاب موجه إلى الصحب الذين اختاروا الفوز بالجنة بـدل الخنوع للظالمين وهذا النص وغيره قد أسـهم فـي علو هممهم وسمو رفعتهم، وقال بعض رجال عمر بن سعد يصف أصحاب الحسين عليه السلام: (أتعلمون

من تقاتلون إنما تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين)[11].

نعم فالمبادئ السامية لا تُنظر بالبصر وإنما تدركها الحواس والبصيرة، فهذه المآثر والتضحيات والإيثار والإخلاص والعقيدة تجدد في كل زمان ومكان، مهما اختلفت المسميات والأمكنة والأزمنة، فالإمام الحسين عليه السلام يمثل الامتداد الروحي والجسدي للسلالة المحمدية الطاهرة.

فالإمام الحسين عليه السلام مدرسة فلا يعد كونه ثائراً، وإنما منار للمستضعفين والمحرومين والمظلومين، ينهلون من نهجه ودمائه الإباء والتضحية والعطاء، والحياة الحرة الكريمة فها هو صوته يدوي في الآفاق يوم العاشر: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد)[12].

فأي كلمة أبلغ في النفس من هذه، وقد رأى تكالب الجيوش عليه فحري عليه أن يداهن أو يصانع لعدم تكافؤ الفرص ولكنه يزداد عنفواناً وقوة حيث يقول أحد الباحثين: (إن مبادئ عاشوراء هي التي تعطي العنفوان والأمثولة للمقاومين لمواجهة الطواغيت).

فهو يعطي صبغة إنسانية رائعة يجمع فيها كل الأديان والمذاهب فقدم عليه السلام وآله وأصحابه الغر الميامين دروساً وعبراً ستظل الأجيال تتذاكرها على مر الدهور إلى ما شاء الله فيقول باحث: (إن هجرة الإمام الحسين عليه السلام الثانية إلى العراق كتب أحرفها الحسين عليه السلام بدمائه ودماء طفله الرضيع، ودماء أهل بيته وأصحابه، وكانت نتيجة هذه الهجرة العظيمة إكمال رسالة الهجرة الأولى، وانتصار الكلمة والدم على السيف والنار، وسقوط عرش يزيد بن معاوية، وعروش طغاة العالم الإسلامي الذين اقتدوا بيزيد خلال أربعة عشر قرناً تحت أقدام المجاهدين الأبطال، طالبي الثار لدماء الحسين عليه السلام).

ويقول المحامي إلياس مطران في كتابه في رحاب سيد الشهداء عليه السلام: (نقف اليوم في حضرة سيد الشهداء الإمام الحسين بخضوع نحي ذكرى انتصار الدم على السيف، وذكرى العين التي كسرت المخارز، وذكرى القلب النابض الذي كسر سهام الموت الذليلة، ذكرى أشرف أهل الدنيا، وسيد شباب الجنة، شهادة طاهر، رفض أن تكون أمة جده كبقية الأمم (فخرج يطلب الإصلاح) رفض أن يعبث فيها الفساد والجهل والظلم، فقام يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، أبى أن تعود القبلية المقيتة لتبث الفرقة، وتولد الفساد والإفساد، وتشرع أبواب الأمة للأعداء الذين اندحروا عنها أمام نور الرسالة).

ويقول أيضاً: (إن قضية الحسين هي قضية الحق والعدالة والشرف والأخلاق، هذه عناوين معركة كربلاء، وهي عناويننا

اليوم، فكل محق يسير على الدرب الذي رسمه الإمام الحسين، وكل باغ يقف في صفوف الذين شهروا سيوفهم لقتله، وتستمر المعركة والعناوين هي ذاتها، وإن تغيرت الإرادات، فالتغير شكلي والجواهر واحدة).

فهذا أثر واضح لما أشار إليه الإمام عليه السلام من قوله: (ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه)[١٣]. وهو الذي ميَّز من ركب هواه في معصية الخالق، فقال: (الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قَلَّ الديانون)[١٤].

وإذا انتقلنا إلى غير العرب يبرز إلينا قول المهاتما غاندي للعيان إذ يقول: (علمني الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر). ويقول غاندي في موضع آخر: (إذا أردنا أن ننتصر على أعدائنا فيجب علينا أن نتعلم من فداء الإمام الحسين).

فقتلة الإمام الحسين عليه السلام لا ينتمون إلى الإسلام والإنسانية إنما هم عصابة مرتزقة عصوا خالقهم برضا المخلوق فباؤوا بسخط ربهم دنياً وآخرة، وهؤلاء الذئاب البشرية هم في كل زمان ومكان لا يختلفون باختلاف الزمن والمكان والوظيفة.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام ولازال رمزاً وعنواناً للمدافعين عن حقوقهم والمستضعفين والمؤمنين الذين يقارعون قوى التجبر والظلم والطاغوت، بكل عزيمة لا تفلّ ولا تلين، وإرادة لا تقهر، وإيماناً لا يضعف، فالإرادة والإيمان هما السلاح القوي في مجابهة الطغيان والتجبر.

فالإمام عليه السلام كان قلباً للمفاهيم الإنسانية، وهذه ما أفرزته كربلاء، بكل تفاصيلها، إنها معركة كل الساحات، ثورة للرفض، والفرقان بين الحق والباطل، والفاصل بين العز والخنوع.

فكربلاء لم تكن متكافئة بالإمكانات العسكرية بين الجانبين وقد ظنها من ظن أنها وقعة عسكرية انتصر فيها عبيد الله بن زياد وزبانيته ولكنها في الحقيقة ولادة للحياة الإنسانية، وانتصار للدم

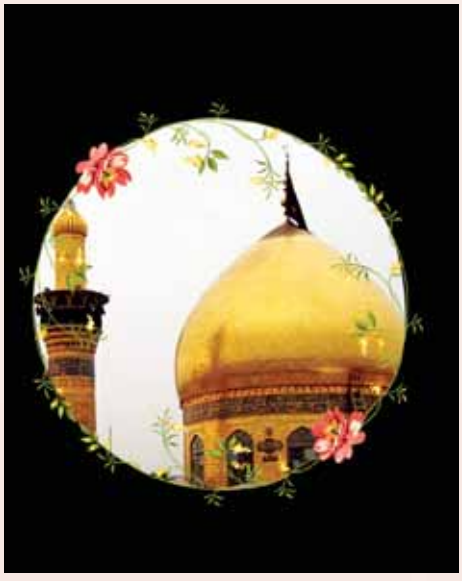

على السيف، والفضيلة على الرذيلة، والإنسانية جمعاء على الهمجية والوحشية، وهؤلاء الذين تأثروا بالإمام الحسين عليه السلام فكراً ومنهجاً في كل الأزمان اتخذوا منه أنموذجاً أسمى فيقول بعض الباحثين: (إن تلك الصفوة المميزة مع الإمام الحسين تجاوزت الحدود الجغرافية لكربلاء لتحول كل بقعة من بقاع الدنيا إلى كربلاء، وتجاوزت حدود العاشر من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة إلى تاريخ تضيق به الدنيا ليدخل آفاق السماء، ويحول كل يوم عاشوراء).

فقد ولدت كربلاء في نفوس المؤمنين والأحرار الحقد والكراهية والسخط لأولئك المجرمين والأمويين، وهذا التاريخ يحدثنا بمزيد من الثورات التي اتخذت من (ثارات الحسين) شعاراً. توالت على حكم الظالمين فأطاحت بهم. فجاءت ثورة التوابين في الكوفة، ثم وقعة الحرة في المدينة المنورة، وثورة المختار الثقفي في العراق، وثورة مطرف بن المغيرة على الحجاج، وثورة ابن الأشعث على الحجاج، وثورة زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وغيرها. التي حفل بها التاريخ الإسلامي كلها تأثرت بالروح الثورية التي أججتها كربلاء في نفوس الأحرار والمسلمين، فيقول الشيخ مرسل نصر متحدثاً عن الحسين عليه السلام: (وأصبحت ذكرا تعبئة للجماهير بحب الاستشهاد اقتداء بسيد الشهداء، ونحن كموحدين نعمل بوصية الإمام الحاكم الذي قال: (لا إكراه في الدين، مضى أمس بما فيه وجاء اليوم بما يقتضيه الإصلاح بين الناس أصلح والفساد والإفساد بينهم مستقبح إلا من شهد الشهادتين أحق أن لا تنفك عروة ولا ترهق له قوة...). ونستلهم من الإمام الحسين عليه السلام أن لا رابطة تربطنا بالظلم الذي لا يجب عدم السكوت عليه، والمعتقد هو الذي يوحدنا لا المذهب فالإمام عليه السلام خرج معارضاً للظلم والطاغوت الذي سنه الجائرون من الحكام، وفي الوقت ذاته يقاتل مع مسيحي وعثماني الهوى.

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً ■

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٤ ص٣٢٥.
(٢) نفس المصدر، ج٤٥ ص٩.
(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص٩٩.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٥ ص١٧.
(٥) نفس المصدر.
(٦) نفس المصدر، ج٤٤ ص٣٨٢.
(٧) نفس المصدر، ج٤٤ ص٣٠٤.
(٨) رؤية معاصرة للثورة الحسينية، ماجد الكعبي.
(٩) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٢١٩.
(١٠) العوالم للإمام الحسين عليه السلام، ص١٧٩.
(١١) تاريخ الطبري، ج٥ ص٤٣٥.
(١٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص٩٨.
(١٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب، ج٣ ص٢٢٤.
(١٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٤ ص١٩٥.

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

دراسة وتحليل

محمد دعيبل •
كاتب وإعلامي

ينابيع

من الملاحظ ان الكثير من الكتاب والباحثين قد الفوا وحققوا العديد من الكتب التي تناولت ثورة الامام الحسين عليه السلام وعلاقتها بأرض الطف المقدسة وكيف احتوى ذلك الثرى المقدس على الاجساد الطاهرة التي ما ان امسى مساء عاشوراء الخالدة حتى باتت قرابين لله عز وجل انتصارا للحق على الباطل، وبأسمى ايات الجهاد والتضحية والفداء، فقد عرف التاريخُ كربلاءَ، لانها دخَلَته مِن أوسع أبوابه، وخلَّدَتها أعظمَ ملحمة بطوليّة بين الخير والشرّ، فإذا حقّق أهلُ الشرّ نصراً مزعوماً موهوماً فقد تَلاشى بعد فترةٍ قصيرة، فإنّ الدماء الزكيّة التي سالت على ذلكم الثرى المعطاء ظلّت مناراً للحق هادياً يؤتي ثمرَه كلّ حين..

وما انقراض دولة الامويين (دولة الظلم والفجور) إلاّ أثر من آثارها. وهكذا يبقى سيد الشهداء عليه السلام منارا يهتدي به أصحاب الفضيلة وسالكو العدل والحريّة، وقوة تقضّ مضاجع المجرمين والطغاة وتنغّض حياتهم في كل زمان ومكان، فتارةً يهرعون إلى قبره الشريف بالهدم والتخريب، واخرى يضيّقون على زائريه بالإرعاب والتنكيل، لكنّ تلك المواقف كلّها ذهبت أدراجَ الرياح، فلم يجن أصحابها إلاّ الخيبة والخسران والذل والهوان، .بيد ان الروايات المستفيضة والتي ذكرتها كتب الخاصة والعامة اشارت وبقوة الى الاستحباب الاكيد في زيارة قبور الائمة المعصومين بأجمعهم عليهم السلام وخاصة قبر سيد الشهداء وأبي الاحرار الحسين بن

علي عليه السلام في كربلاء المقدسة والثواب المنقطع النظير الذي يتلقاه الزائر لقبره الشريف، اذ لاريب ان تلك الروايات تناولت زيارة مرقد أبي عبد الله عليه السلام، اذ تتعدد المناسبات التي حددها الشارع المقدس لزيارته عليه السلام على مدار السنة، فقد ورد استحباب الزيارة في يوم عاشوراء والاربعين والاول من رجب والنصف منه والنصف من شعبان وليالي القدر وليالي الجمعة وغيرها، كما افرد العلماء الاعلام لكل منها مقاما خاصا وفق ما روي عن اهل بيت العصمة عليهم السلام، وبذلك فان عددها يفوق عدد الزيارات الاخرى للائمة المعصومين عليهم السلام، كما ان الاثر المترتب على ذلك امتاز عن الأثر المترتب على الزيارات الاخرى للمعصومين عليهم السلام.

ومن الطاقات التي وظفها أئمة آل البيت عليهم السلام في تأبين وتخليد واقعة الطف هي طاقة التجمع أو الحشد الجمعي كون تلك الواقعة غير عادية وليست مأساة مرت وذهبت بل هي نزاع وصراع دائمين ودائبين بين الحق والباطل ومعسكر الخير والشر، ومن هنا فقد جرى قلم القضاء ان تبقى هذه الجذوة العاشورائية حية ومتحركة في قلوب المؤمنين. كما ان من عوامل بقائها وخلودها هو الاهتمام المستمر لأهل البيت بالتكثير في زيارات الإمام الحسين عليه السلام كما اسلفنا ولعل هذا الحشد الجماهيري الذي وضع أسسه الأئمة عليهم السلام هو بلا شك يعطي للفرد الزائر طاقة إيمانية وتعبئة ثورية تستثمر في احياء النهج الذي اختطه سيد الشهداء عليه السلام، فالسلوك الجمعي كفيل باعطاء زخم لعجلة المسيرة الحسينية، وهذه التظاهرة الحاشدة في كل زيارة هي تحدي وشجب للظلم والظالمين.

ولما كان للزيارات المتكررة للإمام الحسين عليه السلام في المناسبات المتعددة دور

في تخليد واقعة الطف وديمومتها وفق المبدأ القائل: (كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء) نرى الأئمة عليهم السلام قد أولوا اهتمامهم الكبير في تشجيع وتحشيد اتباعهم لزيارة الحسين عليه السلام، لأن فيها نشر لظلامتهم. كما ان أول من استخدم هذا الأسلوب الإمام السجاد عليه السلام في الثالث عشر ن المحرم حينما دفن تلك الأجساد الطاهرة، وتجدد الامر مع عمته زينب عليها السلام وعيالات آل الرسول صلى الله عليه وآله حينما أقاموا العزاء في أول زيارة لهم للحسين بعد ٤٠ يوماً من المجزرة الكبرى والواقعة الدموية العظمى، ولقد وظف أئمة الهدى عليهم السلام اتباعهم لزيارة الحسين بشكل عجيب ومثير للغاية، وما عمل المتوكل العباسي حينما كان يقطع الرؤوس ويقلع النفوس نرى في المقابل ان الإمام الهادي عليه السلام كان يشجع على زيارة جده الحسين عليه السلام، واذا مرض عليه السلام كان يرسل أحدا ليدعو له عند قبر الحسين عليه السلام فيساله أحدهم: يابن رسول الله إنك إمام معصوم وكلكم نور واحد، فكان جوابه عليه السلام: (إن الدعاء تحت قبته أسرع بالإجابة) وما هذا التركيز الا توظيف هائل من الأئمة لإبقاء جذوة كربلاء مشتعلة الى الابد تتحدى كل اشكال الظلم وتنير طريق الحرية والعز والكرامة. وإن شئت عزيزي القارئ فما عليك إلا أن تراجع كتب الحديث والسير ليتسنى لك أهمية هذا الموضوع وأسراره وأبعاده التي أحببت أن أتناولها بشيء من الإسهاب وعلى عدة مستويات، وذلك لأن الثورة الحسينية شملت ميادين الحياة كافة.

الأول: المستوى الفقهي

لقد حدد الفقهاء موارد للحكم الشرعي، اذ يدور الاخير حول مدارات خمسة هي « الواجب والندب والحلال والحرام والمباح «كما علمنا الشارع المقدس بان لا نقوم بأي عمل من الأعمال دون الاستناد إلى دليل شرعي ناهض. فليس من الحقيقة بمكان أن تكون زيارتنا نتيجة للحالة العاطفية فحسب، بل لا بد أن نستند إلى دليل شرعي علاوة على تفعيل الجانب العاطفي، ضرورة أن العمل المفتقد للدليل الشرعي سيكون فاقدا للشرعية بالنتيجة.

الدليل على شرعية الزيارة

القسم الأول: الأدلة العامة، وهي التي تفيد باستحباب زيارة القبور بشكل عام، فمنها قوله صلى الله عليه وآله: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر في الآخرة) ومنها ما قاله ابن أبي مليكة: أقبلت عائشة يوما ما من المقبرة فقلت: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن، فقلت: أليس كان رسول الله نهى عنها؟ قالت: نعم ثم أمر بها، ومنها ما روته أم

سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله : (نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإن لكم فيها عبرة)...

إذن: هذه نماذج من الأدلة العامة التي تحث على زيارة القبور، والكتب الحديثية عند الفريقين مليئة بأشباه ما رويناه ولكننا نكتفي بما ذكرنا مراعاة للاختصار ولانني ارتايت ان البحث في القسم الثاني لا الاول لتعلق العنوان به .

القسم الثاني: الأدلة الخاصة، وهي التي أكدت على استحباب زيارة الائمة المعصومين عليهم السلام عامة والإمام الحسين بشكل خاص وحثت على ذلك وهي كثيرة جدا وسنذكر منها ما يسع المقام حيث اوردت الكتب المهتمة في هذا الشأن فصولا في آداب الزيارة وكيفيتها والنتائج والآثار المترتبة عليها. كل ذلك يؤكد من الناحية الفقهية والعقائدية على مشروعية الزيارة وكونها ممارسة تدخل في ظل العبادة إذ تشير الى الجزاء المعنوي (الثواب) وهو بحد ذاته يجعل الفرد المؤمن يقبل عليها وإن حصل له أي مكروه. ولا يخفى من الناحية السياسية فأن من وراء هذا التكريس الهائل والكم الكبير من الأحاديث أهداف أراد أهل البيت عليهم السلام أن يبلغوها للمجتمع بأعتبارهم قادة ومتصدين، وهي عدم الرضوخ والركون للظلمة من خلال إستلهام العبر والدروس من روح الحسين عليه السلام حين الوقوف امام قبره الشريف، ولذلك فليس من الغريب حقاً أن نلاحظ إصرار أتباع أهل البيت عليهم السلام على المخاطرة بأنفسهم من أجل إحياء وممارسة هذه الثقافة، وقد سجلوا أروع ملاحم البطولة والفداء ولم يبخلوا وحتى يومنا المعاصر من إرواء الأرض بدمائهم الطاهرة وكأن من مفردات ثقافة الزيارة هي دماء أتباع أهل البيت، وهذه هي الملامح التي تستحق الدراسة والتأمل، كما ان في الزيارة معاني عظيمة وقيم لا يفهمها إلا من يمارسها ممارسة عملية على أرض الواقع.

ومن يتصفح ويقرأ الزيارات للإمام الحسين عليه السلام سيقف على فلسفة سياسية مهمة وهي البراءة من القتلة والارهابيين ورفض لكل أنواع الظلم والظالمين وتتسع عملية الرفض لتشمل المتخاذلين والساكتين عن الحق والمداهنين للظلمة والمستبدين. فنص الزيارة يؤكد هذا المعنى (فلعن الله أمةً قتلتك ولعن الله أمةً ظلمتك، ولعن لله أمةً سمعت بذلك فرضيت به). فالنص هنا لا يفرق بين المباشرة في القتل والمحرض عليه أو حتى السلبيون في المواقف العادلة، فالحسين صرخة حرية وعدل ومساواة صرخة قيم و مبادئ. كما إنّ الزيارة تعني حضور الزائر عند المزور لإعلان الولاء والمحبّة، وكسب الفيض والبركة، وديموميّة الإطاعة والاتّباع، والتحلّي بسيرتهم وأخلاقهم،

فضـــلا عن الأجر والثـــواب، كما ان زيارة قبر سيد الشـــهداء زادت الموضوع أهمية فقد أخذت طابعـــاً مميَّزاً وعلى ضوء ذلك أصبحـــت أوَّل زيـــارة لقبره عليه الســـلام مصيريَّة، ولأهمِّيتهـــا صار هذا الأمر على عهدةِ شـــخصيَّةٍ متميِّـــزة ألا وهو جابر بن عبداللّه الأنصـــاري وصاحبه عطية العوفي رضـــوان اللّه تعالى عليهمـــا وهما أوَّل من طبَّقا هذه الســـنَّة المباركة، ألا وهي زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام.

فمن جملة مـــا ورد في هذا الخصوص ما يلي:

- إن زيارته عليه السلام (فرض على كل مؤمن)، (واجبة على الرجال والنســـاء)، (من تركها ترك حـــق اللّه تعالـــى ورســـوله)، (تركها عقوق رســـول اللّه)، (انتقاص في الإيمان والدين)، (فإن حقا علـــى الغني زيارته في السنة مرتين والفقير في السنة مرة)، (إن من أتى عليه حول ولم يأت قبره نقص من عمره حول)... إلى غير ذلك من الروايات الواردة في هـــذا المجال فما ذكرناه غيض من فيض، والفقيه الكبير صاحب الحدائق الشيخ يوسف البحراني قدس سره يقول:

(والأخبار في فضل زيارته مســـتفيضة والظاهـــر في كثيـــر منها الوجـــوب وإليه يميـــل كلام بعـــض أصحابنا رضـــوان اللّه عليهم وليس ذلك بالبعيد) ويسرد بعد ذلك جملة مـــن الروايات ثم يقول: (وزيارته في العشرين من صفر من علامات المؤمن)...

ولعل ورود كلمة فرض في الروايات اعلاه هو من باب التعظيم كما هو معلوم، ولو ان بعض الفقهاء أوجب زيارة الحسين عليه السلام ولو مرة واحدة فـــي العمر، الا ان الكثير منهم قد وضعها في باب الاستحباب.

كمـــا أود أن أبين للقارئ بعض العناوين التـــي ذكرها ابـــن قولويه فـــي كتابه كامل الزيارات والـــذي يصف الفقهاء أســـانيده من أن جلها أســـانيد معتبـــرة وتتضمن تلك الروايات أن زيارة الحسين عليه السلام تعدل زيارة قبرالرســـول محمـــد صلى الله عليه وآله وأنهـــا تزيد في العمر والـــرزق، وتركهـــا ينقصهما، وأنها تحط الذنوب، وأنهـــا تعدل حجة وعمرة، وأنها تعـــدل عتـــق الرقاب، وأنهـــا تنفِّس الكـــرب وتُقضى بها الحوائـــج، وأن زوار الحسين مشفعون وما الى ذلك من الثواب الجزيل الذي لا يحصيه ذاكر.

- روى ابن قولويه في كامل الزيارات، ص ٢٧٥ عن زيد بن علي رضي الله عنه قال: (من زار قبر الحسين بن علي عليهما السلام لا يريد به إلا اللّه تعالـــى غفر له جميع ذنوبـــه ولو كانت مثل زبد البحر، فاستكثروا من زيارته يغفر اللّه لكم ذنوبكم). ولهذا تفانى الشيعة في زيارة الحســـين عليه السلام عبـــر العصور رغـــم الخوف الشـــديد ومـــا كان يلم بهم مـــن الاضطهاد والقتل والتشـــريد بســـبب ذلك. كما حدث في زمن المتوكل العباســـي حيث أمر بهدم قبر الحســـين بن علي عليهما السلام، وهدم ما حوله مـــن المنازل والـــدور، وأن يُبْذَر ويُســـقى

موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه، فنادى عامل الشرطة بالناس في تلك الناحية: (مَن وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المُطْبِق). كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٥/٧.

ـ وفي البداية والنهاية لابن كثير ٢٠٥/٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣١٧/٣: أنه لما أجري الماء على قبر الحسين ليمحي أثره، حار ودار وروى أرباب السير قصة الموالي الذي قدم لزيارة القبر الشريف فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمها، حتى وقع على قبر الحسين، فبكى وقال: بأبي أنت وأمي، ما كان أطيبك وأطيب تربتك، ثم أنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبرَه عن محبيه

فطِيْبُ تراب القبر دلَّ على القبرِ

ـ قال الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد ص٧٧١: روى محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبيه (عقبة بن قيس بن سمعان)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (مَن زار الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء من محرم الحرام حتّى يظلّ عنده باكياً لقي الله عزّ وجلّ يوم يلقاه بثواب ألفي حجّة وألفي عمرة وألفي غزوة، ثواب كلّ غزوة وحجّة وعمرة كثواب من حجّ واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمة الراشدين.

قال: قلت: جعلت فداك فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيه ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم؟، قال: إذا كان كذلك ابرز إلى الصحراء أو اصعد سطحاً مرتفعاً في داره، وأومأ إليه بالسلام واجتهد في الدعاء على قاتله وصلّى من بعدُ ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس، ثمّ ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر مَن في داره ممّن لا يتّقيه بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه، وليعزِّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين عليه السلام، وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك.

قلت: جعلت فداك أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟! قال: أنا الضامن وأنا الزعيم لمن فعل ذلك.

قلت: فكيف يُعزّي بعضنا بعضاً؟،

قال: تقولون: أعظم اللّه أُجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثاره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام، وإن استطعت أن لا تَنْتَشِر يومك في حاجة فافعل فإنّه يوم نحس لا يُقضى فيه حاجة مؤمن، فإن قضيت لم يبارك له فيها ولم ير فيها رشداً، ولا يدّخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً فمن ادّخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادّخره، ولم يبارك له في أهله، فإذا فعلوا ذلك كتب اللّه تعالى لهم أجر ثواب ألف حجّة وألف عمرة وألف غزوة كلّها مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وكان له أجر وثواب مصيبة كلّ نبي ورسول ووصي وصدّيق وشهيد مات أو قتل منذ خلق اللّه الدنيا إلى أن تقوم الساعة).

ـ كذلك روى الشيخ في المصباح عن محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، قال: (خرجت مع صفوان بن مهران الجمّال وعندنا جماعة من أصحابنا إلى الغري بعد ما خرج أبو عبد اللّه عليه السلام فسرنا من الحيرة إلى المدينة.

فلمّا فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام، فقال لنا: تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه من هاهنا، وأومى إليه أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام وأنا معه.قال: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في يوم عاشوراء ثمّ صلّى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وودّع في دبرهما أمير المؤمنين عليه السلام وأومى إلى الحسين بالسلام منصرفاً بوجهه نحوه).

ـ وروي عنْ أبي مُحمّدٍ الْحسنِ الْعسْكرِيِّ عليه السلام أنّهُ قال: (علاماتُ الْمُؤْمنِ خمْسٌ: صلاةُ الْخمْسِين، وزِيارةُ الْأَرْبعِين، والتّختُّمُ فِي الْيمِينِ، وتعْفِيرُ الْجبِينِ، والْجهْرُ ببِسْمِ اللّهِ الرّحْمنِ الرّحِيمِ).

ـ ومن الصفات الخاصة والحاصلة لزائري قبر الحسين عليه السلام ماذكرها الشيخ جعفر الشوشتري في خصائصه، منها ان دليل المحبة للحسين عليه السلام هو كون الشخص زوارا له أي كثير الزيارة ومنها انه ممن نظر اللّه إليه بالرحمة، ومنها ان يكون ممن يحدثه اللّه فوق عرشه، ومنها في عشر روايات من انه يكتب في عليين، ومنها ان يكون في الجنة في جوار النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يأكل معهم على موائدهم ومنها ان كان شقيا كتب سعيدا، ومنها انه يحسب من الكروبيين ومن سادة الملائكة، ومنها انه مساعد للزهراء عليها السلام فإنها تزور الحسين كل يوم، ومنها انه زائر اللّه وزائر رسول اللّه ومنها ان كل من له درجة يوم القيامة يتمنى أيضا ان يكون من زوار الحسين عليه السلام مما يرى من كرامتهم الخاصة بهم، كما في الروايات.ومن هذا المنطلق فجر الأئمة عليهم السلام صوت الرفض والجهاد على لسان زوار الحسين عليه السلام

وحولوا واقعة كربلاء عبرا وعبرات وعظة وعظات تلعب دورها في استمرار الثورة والا ذهبت وماتت فقضية الحسين ليست قصة عابرة لتموت في قرن أو قرنين بل هي صراع دام ودائمي تخوضه الإنسانية.

ـ ورد عنهم عليهم السلام: (ولو قلت أن أحدكم يموت قبل أجله بثلاثين سنة لكنت صادقا وذلك أنكم تتركون زيارته فلا تدعوها يمد الله في أعماركم ويزيد في أرزاقكم)، (إنها تطيل الأعمار)، (تفرّج الغم)، (تمحص الذنوب ولكل خطوة حجة مبرورة)، (له بزيارته عشرين حجة)[1]، ومن الآثار الأخروية لزيارة الإمام الحسين عليه السلام قول الإمام الصادق عليه السلام لمعاوية بن وهب: (أما تحب أن تكون غدا ممن تصافحه الملائكة أما تحب أن تكون غدا فيمن يأتي وليس عليه ذنب فيتبع به أما تحب أن تكون ممن يصافح رسول الله؟!)[2].

ـ عن الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام قال: (كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام أنا وحارث الأعور قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يأتي قوم في آخر الزمان يزورون قبر ابني الحسين، فمن زاره فكأ نّما زارني، ومن زارني فكأ نّما زار الله سبحانه، ألا ومن زار الحسين فكأ نّما زار الله في عرشه)[3].

ـ عن بشير الدهّان عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام في حديث له، قال: (يا بشير، من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه، كان كمن زار الله في عرشه)[4].

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: (من زار قبر الحسين بن عليّ عليه السلام يوم عاشوراء عارفاً بحقّه، كان كمن زار الله في عرشه)[5].

ـ عن زيد الشحّام قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لِمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زار الله في عرشه)[6].

ـ عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: (من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ فرات كان كمن زار الله فوق عرشه)[7].

ـ وعنه عليه السلام: (من زار قبر أبي ببغداد كان كمن زار رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، ألا إنّ لرسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما فضلهما، قال: ثمّ قال لي: من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ فرات، كان كمن زار الله فوق كرسيّه)[8].

رد على شبهة

الظاهر أنّ المراد من زيارة الله في العرش وفوق الكرسي كناية عن شدّة القرب ونهايته إلى الله سبحانه.

وقيل: إنّه قد تحقّق عند أهل المعرفة أنّ للإنسان في سيره وسلوكه إلى الله سبحانه منازل، تنتهي من طاعة الله إلى حالة رفيعة، ومرتبة راقية، وقرب خاصّ، يعبّرون عنه بالفناء في الله تعالى، وهو نهاية مقام كمال العبد في عبوديّته، وغاية مقام قربه، فيصل إلى جوهر العبوديّة التي كنهها الربوبيّة، وهو

عبارة عن كون علم العبد مستهلكاً في علمه تعالى، وقدرته مضمحلّة في قدرته عزّ سلطانه، وإرادته ذائبة في إرادته علا شأنه وجلّ جلاله، بحيث لا يكون له رأي أو حكم إلاّ ما رآه وحكم به المولى عزّ وجلّ، ولا يرى لنفسه قدرة على شيء إلاّ بحوله وقوّته، ولا يريد شيئاً غير ما أراد اللّه تعالى، فإذا دام العبد على هذه الحالة العرفانيّة، واستمرّ عليها بحيث صارت ملكة راسخة في كلّ وجوده، وصار العبد متجوهراً بها، ومتجسّداً فيها، وقد فنا في ربّه عن نفسه، ولا حكم له إلاّ حكمه سبحانه، فيكون مظهراً لربّه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويكون إكرامه إكرام اللّه، وزيارته زيارة اللّه، ومن أهانه أهان اللّه.

ولو لم يكن في زيارة الإمام الحسين عليه السلام إلا دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزواره لكفى.

فعن معاوية بن وهب قال: (استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي: ادخل، فدخلت. فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته وسمعته وهو يناجي ربه وهو يقول: اللهم يا من خصنا بالكرامة ووعدنا الشفاعة وحملنا الرسالة وجعلنا ورثة الأنبياء وختم بنا الأمم السالفة وخصنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقى وجعل أفئدة الناس تهوي ألينا اغفر لي ولأخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي الذين

أنفقوا أموالهم واشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في وصلتنا وسرورا ادخلوه على نبيك محمد، وإجابة منهم لأمرنا وغيظا ادخلوه على عدونا أرادوا بذلك رضوانك فكافئهم عنا بالرضوان وأكلأهم بالليل والنهار واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الإنس والجن وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقرابتهم. اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص ألينا خلافا عليهم فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا

وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللهم أنى استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش)[٩].

إذن: بعد ما تقدم تبين أن هناك بُعد فقهي ودليل شرعي لهذه الممارسة التي نقوم بها ويقوم بها الشيعة في جميع مناطق العالم.

عندما نراجع مصادر الحديث الشريف نلاحظ بوضوح ان الاحاديث الشريفة الواردة في فضل زيارة الحرم الحسيني المبارك اكثر عدداً واشد تأكيداً مقارنة بالاحاديث الشريفة الواردة بشأن فضيلة زيارة سائر مشاهد اهل بيت النبوة الأخرى، ولعل استفاضة الاحاديث جعلت الفقهاء بفتون ارجحية زيارة الامام الحسين عليه السلام.

الثاني: المستوى العقائدي

وهو المستوى الثاني الذي تعطينا إياه زيارة الإمام الحسين وهذا ما يتضح بصورة جلية من خلال بعض فقرات الزيارة، فمثلا عندما نقول: (إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم) نعني بذلك سنسالم ونسلّم لمن سالم الإمام الحسين عليه السلام وسلّم له وسنقف ضد من يقف ضد الإمام الحسين ويعلن الحرب عليه، وهذا موقف عقائدي تعطينا إياه بعض فقرات الزيارة المباركة فينبغي للزائر الذي يزور الإمام الحسين عليه السلام سواء كانت الزيارة من قريب أدنى أو من بعيد أقصى أن يلتفت لما يقول في زيارته له ويتدبر جيدا. كذلك يوجد موقف عقائدي آخر نستفيده من بعض فقرات الزيارات وهو قولنا: (قلبي لقلبكم سلم) وهذا يعني أن التسليم للمزور ينقسم إلى قسمين:

الأول: تسليم خارجي أو ظاهري وهو ما أشرنا إليه في التعليق على فقرة (إني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم).

الثاني: تسليم داخلي أو باطني ومعنى ذلك أن قلبي مسلّم بما يأمر به الإمام الحسين وبما يقوله فيكون لازم هذا التسليم الإتباع (وأمري لأمركم متبع، ونصرتي لكم معدة حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم) فالتبعية المطلقة والانقياد التام من أهم المواقف العقائدية التي نستقيها من خلال زيارة أبي الأحرار الإمام الحسين.

والأمر الآخر الذي يصب في الحقيقة في البعد العقائدي هو الشهادة من الزائر للإمام الحسين بالطهارة من كل دنس وعيب ونقص وذلك بقوله: (أشهد أنك طهر طاهر مطهر، من طهر طاهر مطهر طهرت وطهرت بك البلاد وطهرت أرض أنت بها وطهر حرمك)، كذلك قوله: (لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها) فهذه الفقرات وأمثالها تدلل على عصمة الإمام الحسين عليه السلام ونزاهته كما أشرنا عن كل ما لا يليق

بمقام العصمة التامة المطلقة الذي ناله وهكذا بالنسبة للشهادة له بالولاية والإمامة والطاعة فكل ذلك يدخل في البعد العقائدي لزيارة.

الثالث: المستوى النفسي والعاطفي

ولعل هذا المستوى ناتج عن المستويين السابقين (الفقهي والعقائدي) فبعد أن يتحقق البعدان السابقان ينتج هذا البعد النفسي والعاطفي كنتيجة طبيعية لهما، ومعنى هذا البعد هو الشعور بالمحبة والارتباط الوثيق بيننا وبين الإمام الحسين، وفي الحقيقة هذا الشعور الناتج إنما هو من معطيات الزيارة المتكررة وهو أمر فطري إذ أن الإنسان عندما يقوم بزيارة أخيه المؤمن ويكرر هذه الزيارة من الطبيعي أن يتولد بينهما الارتباط الشديد والمحبة..

إذن: عندما ترد روايات كثيرة تؤكد وتحث على كثرة زيارة الإمام الحسين فإنها تهدف إلى إيجاد هذه الحالة من الارتباط الوثيق والمحبة الشديدة للإمام الحسين، بحيث تعتبر هذه الزيارة بمثابة المشاركة للإمام الحسين فيما حصل في واقعة الطف الأليمة من قتل وتشريد وحصار وغير ذلك فحينئذ يحصل الزائر على الثواب الذي حصلت عليه تلك الصفوة الطاهرة التي انتخبها الله سبحانه وتعالى لنصرة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه يحدث عطية العوفي عندما زار قبر الإمام الحسين عليه السلام في أربعينيته وقبور أهل بيته وأصحابه قال: (والذي بعث محمداً بالحق نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه، قال له عطية: فقلت له: يا جابر فكيف ولم تهبط واديا ولم تعل جبلا ولم تضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم وأوتمت أولادهم وأرملت أزواجهم فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله يقول: (من أحب قوما حشر معهم ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم) والذي بعث محمدا بالحق نبياً أن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه)[10].

كما أن هذا الارتباط والمحبة وهذا التسليم المطلق بقسميه الذين أشرنا إليهما في الحقيقة مشاركة في الأجر والثواب الذي حصل عليه أصحاب الحسين عليه السلام الذين بذلوا مهجهم دونه.

الرابع: المستوى الاجتماعي

حيث أن توجه واجتماع هذه الملايين من الناس في مكان واحد يعطي تعزيزاً لأواصر المحبة فيما بينهم، وترسيخاً لمفهوم إكرام الضيف والبذل والعطاء، وكذلك الشعور بالهم المشترك، والشعور بوحدة الهدف، وفي الحقيقة كل هذه المفاهيم التي تنتج من خلال الزيارة ولها

المـردود الإيجابي على أبنـاء المجتمعات الإسـلامية سـواء من داخل العراق أو من خارجه أراد الإمام الحسـين عليه السلام من خلال نهضتـه المباركـة ترسـيخها فـي الواقع الاجتماعـي وقوله: (إنمـا خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) شـامل يشـمل تفعيـل هـذه المفاهيـم المذكورة وغيرهـا في واقع المجتمعات الإسـلامية فعلى الزائر أن يستشـعر هذه الأمور أثناء زيارته.

الخامس: المستوى السياسي

تقدم فيما سبق أن الشخص الذي يكرر زيارته لشـخص من الأشـخاص ويسـأل عنه باسـتمرار ويلهج باسـمه يحصل بين الشـخص الأول والشـخص الثاني نوع من المحبـة والألفة والارتبـاط وكلما زاد ذلك الحب واشتد ذلك الارتباط بينهما أخذ كل منهمـا يتصف بمواصفـات الآخر ويتطبع بطباعـه وهذا أمر ملحـوظ في المجتمع، وكذلـك الحـال بالنسـبة للزائـر الـذي يزور الإمام سـيد الشـهداء أبـي عبد الله الحسـين عليه السلام باسـتمرار من القرب أو من البعد كما أشـرنا فإنه يأخذ الشـيء الكثير منه فيما يعود على ذاته وتصرفاته وسلوكه العـام بالخيرات والبركات والتهذيب، كما أن الزائـر يعطـي الآخرين انطباعـا بأنه يحمـل تلك الأفكار والمبـادئ التي يحملها ذلك المزور.

تبيـن لنا أن الإمام الحسـين عليه السلام يحمل أهدافا إلهية سـعى جاهـدا لتطبيقها على أرض الواقـع كالارتبـاط المطلـق بـالله سـبحانه وتعالـى وإحقاق الحـق ورفض الباطل بكل صوره ورفض الظلم ومحاربة الطواغيـت ونبذ الفسـاد، كذلك سـعى لأن يكون الإنسـان حرا في حياته لا يقبل الذل والمهانة وهذا ما أكد عليه الإمام في صرخته الخالدة (هيهات منا الذلة)، وأردا زرع مفهوم الشـهادة في سبيل الله تبارك وتعالى فـي الأمة، فهذه المفاهيم وغيرها مـن الإيجابيات التي حملها الحسـين هي السـر في شـن طغـاة كل عصـر الحرب علـى قبـره وعلـى زائريـه فالطواغيـت والمفسـدون في الأرض لا تروق لهم هذه المفاهيم وهـذه المبادئ وما فعله المتوكل (لعنـة الله عليه) وأضرابـه فيه من الدلائل الواضحة التي تدل على خوف الطواغيت والمفسـدين من اسم الإمام الحسين عليه السلام، فهذا بعـد سياسـي لزيارة أبـي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام.

فصل في اداب الزيارة

لزيارة الإمام المعصوم عليه السلام سـواء في حياتـه أم بعـد استشـهاده، آداب تميّزها عـن غيرها مـن اللقـاءات والزيـارات، ومـن جملتها:مراعاة الطهـارة، والأدب، والوقـار، والانتبـاه، وحضـور القلـب،

(بحار الأنوار٩٧: ١٢٤) ولزيارة ضريح الإمام الحسين عليه السلام آداب خاصة من قبيل: الصلاة، وطلب الحاجة، والحزن والغبرة والبساطة، وطي طريق الزيارة، والسير على الأقدام، وغسل الزيارة، والتكبير، والتوديع. (بحار الأنوار ٩٨: ١٤٠ وما بعدها). أورد الشهيد الثاني في كتاب (الدروس) أربع عشرة نقطة في آداب زيارته عليه السلام، وخلاصتها ما يلي:

الأولى: الغسل قبل دخول الحرم، والدخول على طهارة وبثياب نظيفة وأن يدخل بخشوع.

الثانية: الوقوف على باب الضريح والدعاء والاستئذان بالدخول.

الثالثة: الوقوف إلى جانب الضريح والاقتراب من القبر.

الرابعة: الوقوف مستقبلا الحرم مستدبرا القبلة عند الزيارة، ثم وضع الوجه على القبر، ثم الوقوف عند الرأس.

الخامسة: قراءة الزيارات الواردة والتسليم.

السادسة: صلاة ركعتين بعد الزيارة.

السابعة: الدعاء وطلب الحاجة من بعد الصلاة.

الثامنة: قراءة القرآن عند الضريح وإهداء ثوابه إلى الإمام.

التاسعة: حضور القلب على كل حال، والاستغفار من الذنب.

العاشرة: احترام السدنة وخدمة الحرم والإحسان إليهم.

الحادية عشرة: بعد الرجوع إلى البيت، التوجّه إلى الحرم والزيارة مرة أخرى، وقراءة دعاء الوداع.

الثانية عشرة: أن تكون أعمال الزائر بعد الصلاة أفضل مما قبلها.

الثالثة عشرة: تعجيل الخروج عند قضاء الوتر من الزيارة، لتزداد الرغبة، وعند الخروج تمشي القهقري.

الرابعة عشرة: إعطاء الصدقة للمحتاجين في تلك البقعة، ولا سيما الفقراء من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله (الدروس ٢: ٢٣).

مسك الختام

لقد أثرى الشعراء المكتبة الادبية عبر التاريخ بقصائدهم الشعرية حول ملحمة عاشوراء وقد تناولت قائدهم الخالدة ثقافة الزيارة وكيف ان شد الرحيل لقبر سيد الشهداء يعد جهادا ذا محورين (الجهاد الأصغر والأكبر، وجهاد النفس) متحدين الطغاة بذلك حتى أن الكثيرين منهم قد لاقى حتفه لانه نطق بالحق وهذا هو الشاعر الكبير الجواهري قد سلط الضوء على بعض ملامح ثقافة الزيارة في قصيدته الرائعة ذائعة الصيت (آمنت بالحسين) حيث يقول:

فداءٌ لمثواك من مضجع
تنور بالابلج الأروع

بأعبق من نسمات الجنان
رَوحاً ومن مسكها أضوع
شممت ثراك فهب النسيم
نسيم الكرامة من بلقع

ويؤكد الجواهري من خلال رؤيته للزيارة أن الواقف على قبر الحسين تتقلب بين حنايا أضلعه ثورة ضد كلما هو فاسد وسيئ حيث يقول:

تعاليت من مفزعٍ للحتوف
وبورك قبرك من مفزَع
وطفت بقبرك طوف الخيال
بصومعة الملهم المبدع
كأن يداً من وراء الضريح
حمراء مبتورة الأصبع
تمد الى عالمٍ بالخنوعِ
والضيم ذي شَرقٍ مترع
لتبدل منه جديب الضمير
بآخر معشوشبٍ ممرع

(١) جواهر الكلام، الشيخ الجواهري ٢٠/ ٩٦.
(٢) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق ص٩٦.
(٣) فضل زيارة الحسين عليه السلام، محمد بن علي الشجري ص٣٩.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي ١٠١/٧٦.
(٥) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ٦/٥١.
(٦) كامل الزيارات، ابن قولويه ص٢٧٨.
(٧) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق ص٨٥.
(٨) كامل الزيارات، ابن قولويه ص٢٨٠.
(٩) المصدر السابق ص٢٢٩.
(١٠) بحار الأنوار، المجلسي ٩٨/١٩٦.
(١١) المصدر السابق ٤٤/٣٢٩.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام في المسرح المصري

د. هادي عبد النبي التميمي •
كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ينابيع

لعل من نافل القول إن المصريين كان لهم قصب السبق في الفن المسرحي بين الدول العربية الأخرى، على الرغم من أن هناك تبادلاً ثقافياً كان قد نشأ بين أقطار بلاد الشام ومصر مع بواكير القرن العشرين الميلادي.

ومن الطريف أن نشير إلى أن لبنان وسوريا قد سبقتا مصر إلى المسرح في مفهومه الحديث وتكوين الفرق التمثيلية (المسرحية) في قالب أوربي، إلا أن مصر كانت سباقة في بناء المسارح لذلك أخذت الفرق الفنية التي تكونت في لبنان وسوريا تفد إلى مصر لعرض أعمالها على تلك المسارح متفادية ضروف الضغط في بلدانها طالبة لجو أرحب حيث مجال العمل أوسع وطرق العمل أيسر في مصر وهو ما أخصب المسرح المصري وأغنى نشاطه مع بدايات القرن العشرين[1].

وقد سعى الباحث إلى أن يتقصى تلك المسرحيات التي تناولت ثورة الإمام الحسين عليه السلام وما كتبته الأقلام المصرية خلال ذلك القرن، إلا أن الباحث اصطدم بحقيقة مهمة وهي أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لاقت إهمالاً شديداً في هذا الجانب بالذات، بل تعدى الأمر إلى إهمال مجال إبداعي آخر على صلة وثيقة بالفن المسرحي ألا وهو مجال الأدب القصصي والرواية الذي كان من الممكن تحويله إلى مسرحية أو فيلم روائي.

فمن متابعة الباحث للاصدارات المصرية عن طريق هيئة التأليف والنشر في القاهرة التي تضم الاصدارات المصرية منذ دخول المطابع إلى مصر وإلى يومنا الحالي،

وجولته لمدة شهر في دور النشر والمكتبات المصرية، لم يجد قصة أو رواية معنية بالحسين عليه السلام لحقبة البحث عدا روايتين هما:

غادة كربلاء: لجرجي زيدان وتصنف ضمن الرواية التاريخية التي تتخذ مادتها الأساسية من التاريخ بقصد تعليمه، وصبه في قالب روائي لاساغته وتحسين عرضه[٢].

صوت الحسين: لمحمد أحمد عيش التي جاءت في إطار تقويم الشخصيات التاريخية ومنها شخصية الحسين عليه السلام، ويزيد بن معاوية، وصرّح كاتبها في مقدمته قائلاً: (إنه ما كان للحسين أن يبايع (يزيد) إطلاقاً،.. الذي مثل الفساد والطغيان والملكية الغاشمة أصدق تمثيل في القرن الأول من الإسلام. ولا غرو إذا ما كتبت كتابي... هذا لأجلو هذه الظاهرة الخطيرة...)[٣].

وقد اندرج هذا العمل ضمن محاولات الكاتب ايجاد الرمز التاريخي للوقوف بوجه الملكية والطغيان ليجعل ثورة ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م في مصر إمتداداً لثورة الإمام الحسين عليه السلام[٤].

ومع أن الباحث لا يطمئن تماماً من غفلة أو سهو قد يقع هنا أو هناك، بدليل إغفال هيئة التأليف والنشر في القاهرة لرواية (صوت الحسين) التي لم تدرجها الهيئة ضمن الإصدارات المصرية، فإن الباحث عثر عليها أثناء محاولات الحصول على الإصدارات المصرية إلاّ أنه يستطيع القول إن الإنتاج المصري في هذا الميدان كان شحيحاً جداً لو قورن بما اتجهت الأقلام الأدبية المصرية إلى التعبير عنه[٥].

لذلك لم يعد غريباً أن لا يصدر في مصر كلها للمدة من (١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م – ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) سوى مسرحية واحدة بجزأين وهي مسرحية شعرية لعبد الرحمن الشرقاوي (الحسين ثائراً - الحسين شهيداً) والتي طبعت في مصر عام (١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م)، فلم يكن

بين العدد الكبير من المسرحيات التاريخية، والأدبية، والتهذيبية والتمثيلية سوى هذه المسرحية عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وأربع مسرحيات أخرى اختصت بآل البيت (النبي صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام)[٦].

ولا يجد الباحث تفسيراً لذلك الابتعاد عن شخصية بارزة مثل الحسين ولاسيما أن (مأساة الحسين منبعاً لا ينضب لعشرات.. بل ولمئات التراجيديات والمسرحيات الملحمية.. وكل شخصية [فيها] تصلح لأن تكون محوراً لمسرحية، وكل موقف واحد يصلح لأن يكون مسرحية بأسرها... وهذه الوقائع جميعاً أضافت عليها الأحزان الشعبية جيلاً بعد جيل روعة خارقة وملهمة فواقعة الاستشهاد والمشاهد التمثيلية التي تدور حولها ثروة فنية لم يتناولها الفنانون بعد وهي أساس المسرح الملحمي العربي والتراجيديا الإسلامية)[٧].

ويغدو هذا الابتعاد أكثر إبهاماً إذا ما طالعنا أسماء الشخصيات التاريخية الأخرى التي كان بعضها أقل جاذبية من شخصية الإمام الحسين عليه السلام، ومع ذلك كانت محوراً لمسرحيات أدبية وتاريخية، وتمثيلية وتهذيبية[٨].

وفي عودة إلى مسرحية الشرقاوي فقد شهد عهد السادات محاولة لعرض تلك المسرحية، وذلك عندما طلب مؤلفها سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م من الجهات المعنية في الازهر الشريف فحص المسرحية وابداء الرأي فيها ليتسنى اخراجها للمسرح القومي، وقد حصلت موافقة الأزهر في نفس السنة مشروطة بعدم تجسيد شخصيتي الإمام الحسين والسيدة زينب عليهما السلام ويظهر بدلاً عنهما راوٍ وراوية ينقلان حديثهما، فوافق المؤلف والمخرج وحصلت موافقة الرقابة على المصنفات الفنية على النص المسرحي سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م بناءً على موافقة الأزهر الشريف فبدأت بروفات المسرحية، وأخذت الصحف المصرية تنشر أنباء تتابع العمل واكتماله، وظهرت الصحف والمجلات والإعلانات على جوانب الطرقات تقول إن (ثأر الله) ستعرض بعد أسبوع على المسرح القومي، وفجأة وقبل أسبوع من الموعد المقرر لعرضها أوقف العمل لغرض التدقيق في النصوص[٩].

وتساءل أحد الكتّاب المصريين من على صفحات جريدة الجمهورية المصرية: ماذا حدث؟ وأجاب: (يبدو أن مأساة الحسين التي وقعت في العراق منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً تتكرر هنا مرة أخرى رغم اختلاف الظروف وبعد القرون، فمسرحية الحسين تتعرض الآن مثلما تعرض الحسين نفسه في الماضي للتنكر والإنكار! وهي توشك أن تلقى مصيره الدامي، مختنقة وسط حصار قوى غريبة تسلك سلوكاً غير مبرر وغير مفهوم)[١٠].

ويمكن للباحث من تتبع نصوص المسرحية أن يتعرّف على القوى الغريبة

التي حالت دون أن يرى هذا العمل الابداعي النور، فإذا ما أدركنا درجة التمكن للتيار السلفي السائر في ركاب الحركة الوهابية في الوسط الثقافي المصري لا يغدو غريباً عليه من أن تلغى مسرحية تدين منذ المشهد الأول ما أريق لأجل الدفاع عنه مداد كثير من الأقلام السلفية والوهابية، إن المسرحية التي كتبت بقدرٍ عال من الحرفية والموضوعية والإلمام الواسع بسيرة الإمام الحسين عليه السلام والأسباب الحقيقية لثورته، كانت تنعت معاوية بن أبي سفيان بالطاغية، المتكبر، الدجال، الفرعون المتجبر، وتهزأ من دعوى بشارة النبي صلى الله عليه وآله له بالجنة، وتصفه - أي معاوية - بمخالفة الكتاب والسنة[11] والمسرحية تدين يزيد بن معاوية[12] (٦١-٦٤هـ/ ٦٨٠-٦٨٣م)، وهند بنت أبي سفيان، وغيرهم من شخصيات أموية[13]، وتصف الدولة الأموية بدولة قطاع الطرق التي تقتل من يعاملها بالصدق والتقوى[14] وتُذكّر بسيرة الامام علي عليه السلام الحاكم العادل[15]، وتعدُّ الإمام الحسين عليه السلام الامتداد السامي لسنة النبي صلى الله عليه وآله، وسيرة الامام علي عليه السلام[16]، وترد - بلباقة - على دعوى ان الإمام الحسين عليه السلام قتل بسيف جده بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن خرج على الاجماع كما يدّعون[17] أو على مَن وصف خروجه بالفتنة[18] أو بكونه القاءً للنفس في التهلكة إذ تعرض ذلك عرضاً شفافاً على لسان السيدة زينب والإمام الحسين عليه السلام:

(الحسين :... ولكن خرجت أرد المظالم

خرجت لأقضي لله ديناً تعلق للعدل في ذمتي

طريقي مبين

فلابد لي من سلوكي الطريق إلى غايتي

زينب : يقول ابن عمك مستغرباً

أتلقي بنفسك للتهلكة؟

الحسين : ولكنه قدري ان اذود عن العدل مهما يقف في سبيلي هو الحق.. أخرج من أجله

فإن كان لابد من معركة

وإن كان لابد من مستشهدين

فيا أملاً عزّ من أدركه

أنا ذا خرجت بسيف الرسول

ودرع النبي إلى المعركة)[19].

وتلقي المسرحية ضوءاً على أسباب خروج الإمام الحسين عليه السلام[20] وغير ذلك مما لا يرضي أصحاب المنهج التبريري ممن ساروا في ركاب التيارات السلفية والقومية أو المؤسسة الحاكمة[21] ولاسيما أن المسرحية توجه رسالة للناس - المستضعفين منهم خاصة - وتدفعهم للثورة ضد الظلم والطغيان وتحمل الأمة مسؤولية السكوت على الحاكم الظالم[22] وترسل رسائل واضحة للحاكم ان يعدل في توزيع المال بين الناس[23]، وأن لا ترتفع الدولة فوق الكذب والبهتان والتزوير والظلم فتفترس من ينقدها، وتنتهك من يسندها[24] وغير ذلك مما لا يبدو في مصلحة السلطة - آنذاك - ان تسمح بتناقله وانتشاره، وإذا ما قرأنا هذه النصوص بروية عرفنا السبب الذي من أجله إبتعد الكتّاب

المسرحيين المصريين في الكتابة في موضوع يغضب السلطة الحاكمة عليهم بل لعّل ذلكَ يميط اللثام عن السب الرئيس الذي من أجله مُنعت المسرحية من العرض ■

(١) يوسف، أسعد داغر، معجم المسرحيات العربية والمعربة ١٨٤٨-١٩٧٥، ص ٩٦-٩٧.
(٢) هيكل، أحمد، الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة ١٩١٩ إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، ص٢٤٢.
(٣) عيش، محمد أحمد، صوت الحسين، ص٧.
(٤) المصدر نفسه، ص٧، ص٢٢.
(٥) ينظر على سبيل المثال: هيكل، الأدب القصصي، ص٢٤٣، هامش (١).
(٦) ينظر: داغر، معجم المسرحيات، ص٤١٥، ص٥١٥، ص٥٦٧، ص٦٠٥.
(٧) الشرقاوي، عبد الرحمن، لقاء معه أجراه نبيل زكي بعنوان: عبد الرحمن الشرقاوي وملحمة الحسين، مجلة الكاتب، العدد ١٠١، مصر، ١٣٧٩هـ/١٩٦٩م، ص١٣٩.
(٨) على سبيل المثال لا الحصر: كتب عن خالد بن الوليد أربع مسرحيات، وعن عمرو بن العاص مسرحيتين، وعن الحجاج بن يوسف الثقفي مسرحيتين، وعن صلاح الدين الأيوبي أربع فضلاً عن أسماء أخرى كتب عنها عشرات المسرحيات مثل: هارون الرشيد، وحكام بن أمية وغيرهم، وطبعت مرات متكررة. ينظر: داغر، معجم المسرحيات، ص٢٥٠، ص٢٧١، ص٢٧٦، ص٣٤٠، ص٣٦٨، ص٣٦٩، ص٣٩٨، ص٤١٨، ص٤١٩، ص٤٣١.
(٩) اسكندر، أمير، ثأر الله، مقالة منشورة في ملحق كتاب الحسين وبطلة كربلاء لمحمد جواد مغنية، ط بيروت، (بلا.ت)، ص٢٥١ – ٢٥٦.
(١٠) اسكندر، ثار الله، ص٢٥٣، ومما يشار إليه ان الاستاذ الدكتور محمود إسماعيل عبد الرازق قد أشار إلى هذه المسرحية وذكر ان الأزهر اعترض بحجة عدم جواز تجسيد الشخصيات العظيمة والغيت المسرحية. مقابلة شخصية، مصر، ٧ مايس، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
(١١) الشرقاوي، عبد الرحمن، ثأر الله – الحسين ثائراً، الحسين شهيداً، ط القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص٧ – ٨.
(١٢) المصدر نفسه، ص٩، ص١١.
(١٣) المصدر نفسه، ص١٥، ٣٤ – ٣٥، ص٨٧.
(١٤) المصدر نفسه، ص١٢٤.
(١٥) المصدر نفسه، ص١٢، ص٨٠ – ٨١.
(١٦) المصدر نفسه، ص١٩، ص٢٦، ص٣١، ص٣٢، ص٣٣، ص٣٨، ص٧٢.
(١٧) المصدر نفسه، ص٤٠، ص١٦٠ – ١٦١.
(١٨) المصدر نفسه، ص٦٠.
(١٩) الشرقاوي، ثأر الله، ص١٣٨ – ١٣٩.
(٢٠) المصدر نفسه، ص٦٠، ص١٠٨، ص١٤١.
(٢١) للتدليل على ذلك ينظر في النص الآتي: (ان الشواهد كلها، تدل على ان موقف يزيد الخليفة من الحسين الخارج عليه كان طبيعياً بمقتضى المعايير الطبيعية، وبالرغبة المركوزة في طبيعة البشر للحفاظ على الملك والسلطان.. وربما الصالح العام..) شعوط، إبراهيم، أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ، ص٢٢٥.
(٢٢) الشرقاوي، ثأر الله، ص٥٨ – ٥٩، ص٦٦ – ٦٧، ص٦٩، ص١١٢، ص٢٢٦. ويمكن الإشارة إلى ان مخرج المسرحية هو الفنان كرم مطاوع الذي عرف بمعارضته للسلطة، إذ عاش لاجئاً سياسياً في العراق مدة من الزمن.
(٢٣) المصدر نفسه، ص٣٣.
(٢٤) المصدر نفسه، ص٩١ – ٩٢، ص١٧٠ – ١٧١، ص١٨٦.

الله اكبر
قال رسول الله صلى الله عليه وآله
حسين مني وأنا من حسين

ينابيع

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

مجتمعنا.. والواقع التعليمي

المشرف العام ٥٦

قرآنيات

القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن عليه السلام

د. علي مجيد البديري ٥٨

قدماء الشيعة وعلم التفسير

د. خليل خلف شبر ٦٤

آمن الرسول

الخصائص العامة للعقيدة الإسلامية

محمد كاظم حسين ٦٨

محنة الإمام الطبري في ضوء كتابه "أحاديث غدير خم"

د. محمد جواد فخر الدين ٧٤

تحقيقات

مرقد محمد بن زيد.. في الكوفة

حيدر الجد ٨٠

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٨٨

واحة الأدب

قصيدة: سفير الحسين عليه السلام

الشيخ عبد المهدي مطر ٩٢

قصة: حلم العودة

بنت العراق ٩٦

ص٥٨

ص١٠٦

ص٩٨

ص١٥٦

إضاءات السيرة

المواقف المبدئية من ثمار المدرسة العلوية

طالب علي الشرقي ٩٨

للفضيلة نجومها

الوحيد البهبهاني.. أستاذ المجتهدين

د. محمد عبد الحسن العزاوي ١٠٢

المحدث الجليل سدير بن حكيم الصيرفي

علي الفحام ١٠٦

طروحات عامة

دور المكتبة الافتراضية في تطوير مهارات التعليم

د. محمد باقر فخر الدين ١١٦

مدرسة النجف بين الوسطية والاعتدال

د. حيدر نزار السيد سلمان ١٣٢

تزكية النفس في موسم الحج

حسين جودي الجبوري ١٣٨

استراتيجية الإصلاح والتنمية الإدارية في العراق

فلاح شفيع ١٤٤

التأثير السلبي للأخطاء الإملائية

أ. م. نجم عبد الله الموسوي ١٥٦

أجوبة مسابقة العدد (٣٧) وأسماء الفائزين ١٦٠

مسابقة العددين (٣٩ـ٤٠) ١٦١

ص ٨٨

ص ٦٨

ص ٩٢

ص ١٣٨

مجتمعنا.. والواقع التعليمي مسؤولية كبرى

بسم الله الرحمن الرحيم

إن المراحل التعليمية التي يمر بها أبناؤنا في المدارس بدأ من الابتدائية حتى المعاهد والكليات لها الدور الكبير في صياغة الثقافة الفردية والبنية الفكرية لهم، لذا من الضروري جداً تخليصها من الشوائب والانحراف الفكري الذي مُنيت به المنظومة التعليمية في مجتمعنا عبر القرون الطويلة من تاريخها. ويعكس ذلك واقعاً مشوشاً للعقيدة الإسلامية في مجتمعاتنا الدينية التي ألفت الثوابت والمعتقدات الصحيحة رغم قساوة الظروف الثقافية. وقد حاولنا مراراً وتكراراً إيصال صوتنا إلى المعنيين للتخلص من المواد الدخيلة والمنحرفة وإلغائها لضمان السلامة الفكرية لأبنائنا لكن من دون جدوى وبقيت الأجهزة الإدارية المعنية بالتغيير لاهية عن ذلك وكأن الأمر لا يعنيها.

حتى بدأت الآن مرحلة جديدة لا يعلم فيها المستقبل بشكل واضح، ولم يُدر ما تؤول إليه معطيات الساحة العراقية، ولا نعلم سبب التباطؤ الذي حال دون ذلك، هل هو تخاذل المسؤولين، أم نهمتهم في الحصول على المناصب، أم تأثير القوى الأخرى الفاعلة في الساحة؟!.

والشيء الوحيد الذي نعلمه هو تحمل الجهات المعنية عبء المسؤولية الكبرى أمام الله تعالى وأمام التاريخ عن كل ما يمكن أن يقع من الانحراف الفكري الناتج من تغلب الفكر المضاد الذي بدأ ينشط اليوم وتأثر الكثير من الشباب به، وتشويه الحقائق المدونة في المنظومة التعليمية، وغير ذلك من

الأسباب الكثيرة.

مع أنّا نعلم أن النظرة الموضوعية لمجتمعنا تكشف عن واقع خارجي ملموس قلّما يحظى به مجتمع من المجتمعات الإسلامية في العالم. فإن التعلق بالقيم والمبادئ العامة التي جاء بها الإسلام وجسدها أهل البيت عليهم السلام من ميزات المجتمعات الشيعية حتى أصبحت العقيدة الصحيحة تتوارث جيلاً بعد جيل. إلا أن التأثر بالواقع التربوي اليومي الذي أشرنا إليه آنفاً أمر طبيعي جداً، ويبقى قوة التأثير الاجتماعي وتجذر العقيدة في نفوس العامة يصعب معهما قلب الموازنة الذاتية في العقيدة المسبب عن دسّ النصوص وتشويه الحقائق التاريخية.

ويتضح ما ذكرناه بصورة جلية من ارتباطهم بقضية الحسين عليه السلام واهتمامهم البالغ بها وبذلهم الغالي والنفيس من أجل المشاركة الحيّة والفاعلة، وهو السبب الرئيس في ثبات العقيدة من الحب في الله والبغض في الله الذي هو أساس التولي والتبري.

مع أن الواقع الذي ذكرناه لا يرفع المسؤولية فإن الثقافة الفردية التي يتمتع بها المجتمع عنصر دخيل في صياغته الذاتية بنسبة معينة، ولا يمكن التغاضي عن ذلك، وإيكال أمر التربية إلى الفطرة العامة التي عليها المجتمع الشيعي والتي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها. بل هو منافٍ جداً للنصوص الشريفة الكثيرة الآمرة بالتعلم والحاثة على ضرورة استقاء العلوم من المنابع الصحيحة الشرعية التي أقرها الإسلام الحنيف والناهية عن أخذ العلم من المنحرفين. بل وردت في نصوص كثيرة أن الرشد والصلاح في مجرد مخالفتهم فكيف يمكن أخذ التعاليم منهم؟!.

ويجدر بنا هنا بيان نقطة هامّة قد يغفل عنها الكثير، وهي أن قوّة العقيدة التي يتمتع بها الفرد في مجتمعنا قد يصعب معها تغيير فكره وثقافته الفردية تغييراً جذرياً لكن عدم العمل على التغيير من قبل الجهات المسؤولة يولد نفرة وفجوة كبيرين لا يمكن احتواؤها فيبقى الكره الذي هو وليد الحكومات الجائرة على مرّ العصور بحاله لم يتغير، ويبقى الشعب يشعر بالمظلومية تجاه حكومته التي لم تغير أبسط الأمور ـ بحسب نظره ـ ويعتبرها حكومة جائرة غير محققة لأهم حقوقه، وغير خفي ما لهذا الشعور من التأثير السلبي على المسؤولين وما يترتب عليه من المضاعفات غير الحميدة، فإن قيام الحكومات وتكاملها هو بدعم الشعوب ووقوفها وتضحياتها ■

المشرف العام

القرآن الكريم
في كلمات الإمام الحسن عليه السلام

د. علي مجيد البديري •
كلية الآداب/ جامعة البصرة

ينابيع

يكشف حديث الثقلين ـ الذي يعد من أفضل ما روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في بيان علاقة العترة بالقرآن ـ عن صورة الامتداد الواضح للرعاية الإلهية لخطى الإنسان في الحياة الدنيا عبر إمامتين متكافئتين هما: إمامة القرآن، وإمامة أهل البيت عليهم السلام، بل هما إمامة واحدة وبصيرة واحدة، لا تهتدي إليها عيون منقادة لاستبصارات متفرقة مرهونة بواقع قلق، وحقيقة مضطربة لشخصيات تحيط بها علامات الاستفهام، وتلجمها الغفلة وعدم الدراية.

إن الحديث حول صورة القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام يكاد يكون من نافل القول، لعظم معطيات حديث الثقلين، وعمق الأبعاد التي يوضحها، والتي من أبرزها: المساواة بين أهل البيت عليهم السلام والقرآن الكريم من حيث المقام والقدسية. وتطابق مرجعية أهل البيت عليهم السلام للمسلمين في مختلف مستويات حياتهم مع مرجعية القرآن الكريم، وبعد الولاء لأهل البيت عليهم السلام والارتباط بهم والتمسك بهديهم.

وقد أشبع الباحثون والعلماء هذا الأمر بحثاً، وتبياناً، وتحقيقاً، وتأملاً من جميع جوانبه[1]. لذا لا أرجو لهذه الوقفة القصيرة المتواضعة عند ضفاف عطاء (كريم آل

البيت) إلا أن تحظى بقبس من لطف الله تعالى ومثوبته، إنه جواد كريم.

كلماته عليه السلام في بيان فضل القرآن الكريم وصفته

تمثل كلمات الإمام في هذا الباب مدخلاً مهماً في بيان قداسة القرآن، وأهمية التمسك به، والتفكر في آياته وفهمها ومعرفة مداليلها، ثم الحث على ضرورة اقتران ذلك كله بالعمل به واتخاذه إماماً وهادياً، فليس العبرة في حفظ كلماته وإجادة تلاوته لفظاً، بل أن ذلك ليس بفضل ولا امتياز لصاحبه إن لم يكن مقروناً بالفهم والتدبر والعمل. فالبعد العملي في العلاقة مع القرآن الكريم بُعدٌ في غاية الأهمية، وهو الغاية من مقاصد القرآن وأحكامه.

يقول الإمام الحسن عليه السلام: (**ما بقي في الدنيا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إماماً يدلكم على هداكم، وإن أحق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه، وأبعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرؤه**).

وقال عليه السلام: (**إن هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائداً وسائقاً يقود قوماً إلى الجنة أحلوا حلاله وحرموا حرامه و آمنوا بمتشابهه، ويسوق قوماً إلى النار ضيعوا حدوده و أحكامه واستحلوا محارمه**)[٢].

ومن كلام له عليه السلام في موضع آخر: (**إن هذا القرآن يجيء يوم القيامة فيه مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجل جال بضوئه، وليلجم الصفة قلبه، فإن التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور**)[٣].

نلاحظ التأكيد هنا على إمامة القرآن

وقيادته للإنسان، بنسخته (المتحققة) عبر من "يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويؤمن بمتشابهه" في مقابل نسخته (المُضيَّعة) من قبل "المضيعين لأحكامه، والمستحلين لحرامه"، وقيادته وإمامته التي توضحها كلمات الإمام لا تُسقط الإنسان في حالة نمطية من التلقي السلبي لحضور موجوداتِ الكون، بل تدفعه إلى التفكير والتأمل في كل العناصر التكوينية للأشياء والظواهر والأحداث وربطها ربطاً وظيفياً بسياقاتها، كي يتسنى للإنسان إدراك التحولات الحاصلة فيها وتأمل المصائر التي تنتهي إليها، وتكون خطواته في هذه الحياة خطوات صاحب البصيرة المستنيرة، الذي يعلم أين يضع قدمَه، وإلى أين يوصلُه الطريق؟! وهي بصيرةٌ قرآنية، تُزيد من تعلق الإنسان بربه تبارك وتعالى، وتجعل مشروع ما يطلبه متحققاً إنْ عاجلاً أو آجلاً فـ(**من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة إما معجلة وإما مؤجلة**)[٤] كما يقول الإمام عليه السلام في كلمة له.

على أنَّ التدبر في القرآن الذي يحث عليه الإمام لا يعني التصدي لتفسيره من قبل الجميع من غير شروط أو ضوابط ومؤهلات؛ وهو ما يشير إليه عليه السلام بقوله: (**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**)، فلابد من الدخول إلى فعل التدبر عبر قنواته الصحيحة كي لا ينحرف المتدبر بمداليل الآيات إلى مقاصد بعيدة عن روح النص وحقيقته. ويكون ذلك من خلال الاستعانة بقراءات المفسرين المؤهلين في هذا المجال، والانتقال معهم إلى أسرار النص القرآني ومعارفه الإلهية العظيمة.

كلماته عليه السلام في مجال استحضاره واستنطاق دلالاته

يتجلى في هذا المجال وجه من وجوه البعد العملي للعلاقة مع القرآن الكريم، وتجسيد الإمام عليه السلام لهذا الجانب من البعد العملي نتيجةٌ حتميةٌ ترتكز لمعطيات حديث الثقلين المبارك الذي تقدمت الإشارة إليه، وعلى هذا يكون من الطبيعي جداً أن يحظى النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بالمرتبة الأولى والقصوى في معرفة القرآن، وهي معرفة مُعايشةٍ ومُعاينة؛ لأن القرآن هو جوهر ذات النبي، وآله تبعاً له، ثم يليه من يليه تبعاً لسعته الوجودية والفكرية[٥].

من ذلك ما نراه في موقفٍ للإمام الحسن عليه السلام حين خطب الناس فقال في خطبته: (**أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً)** (الشورى: ٢٣) **واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت**)[٦].

وهنا يعتمد الإمام السياقَ في تحديد دلالة (الحسنة)، مما يجعل هذه الدلالة منسجمة ـ من دون تعسف في التفسير ـ مع مضمون الجزء الأول من الآية، وهو الحث على مودة آل النبي صلى الله عليه وآله، ولا يحتاج القارئ المتأمل لهذه الآية الكريمة طول عناء في فهم مدى إحاطة فعل (المودة) ـ المفروضة من الله تبارك وتعالى على الأمة الإسلامية ـ بمفردة الحسنة.

وعلى مستوى السياق التاريخي الذي ينتمي إليه موقف الإمام الحسن عليه السلام هنا، نلاحظ الحضور الحِجاجي للآية وهو حضورٌ يستجلي ديمومة العلاقة بين الثقلين

المباركين. كما أنه يفضح المنكرين لملازمة العترة للقرآن، والمبتعدين عن المنبع الصافي للرسالة المحمدية، بشكل يمتد ليربط ماضي هذا الانحراف بحاضره، ومن جانب آخر يبقى فعل (الزيادة) الذي تشير إليه الآية الكريمة يمثل إنعاشاً مستمراً لطلب المودة لأهل البيت عليهم السلام، و تعضيداً للشعور بالانتماء إليهم، الذي هو عنوان هوية المؤمن الحقيقي. وهذا مما نقرؤه في كلمات أخرى للإمام عليه السلام من خطبة له يقول فيها:

(**نحن حزب الله المفلحون و عترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطيبون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه والمعول عليه في كل شيء لا يخطئنا تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)، (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منه)**)[٧].

يحتج الإمام الحسن عليه السلام بالقرآن على الذين لديهم صمم عقلي، فانقلبت لديهم المفاهيم واختلطت عليهم الأمور، وهنا كان الإمامُ أمَامَ بصيرتين؛ بصيرةُ الناس العوام التي لم تعد تعي حقيقة ما يحدث وتتعامى عن رؤية الحق، وتؤكد عبر مواقفها حالة الضلالة والتيه. وبصيرة الخواص من المحبين المهتدين، التي تقرأ القرآن في فعل الإمام وحركاته وسكناته، وتراه متجسداً أمامها بكل مفاهيمه ودلالاته. البصيرة الأولى حافلةٌ بالموت والثانية نابضةٌ بالحياة.

وإذا ما تأملنا مواقف الإمام عليه السلام وفق تسلسل خطي زمنياً، وتأملنا كلماته، وجدنا فيها انسجاماً كبيراً وتطابقاً واضحاً مع مقتضى الحال، أو متطلبات السياق والحدث، وليس ذلك بالأمر الغريب؛ مادام النص القرآني الذي تحتفي به كلمات الإمام، يتسم بانفتاح آفاقه الرحبة أمام حاجات البشر المتعددة والمتجددة، ومادام الإمام هو القرآن الناطق.

ولا ينحصر هذا التجلي للحضور القرآني في مواقف الإمام عند المسائل الكبيرة فقط، بل يتعداها إلى دقائق الأمور، وتفاصيل بعض الآداب والأخلاق؛ فعن خيثمة بن أبي خيثمة قال: كان الحسن بن علي عليهما السلام إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، فقيل له يا بن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك فقال: (**إن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي و هو يقول (خذوا زينتكم عند كل مسجد)** (الأعراف: ٣١) **فأحب أن ألبس أجمل ثيابي**)[٨].

لم يهمل القرآن الكريم دقائق الأمور واعتنى ببيان الحال المرجو لها، على نحوين: تفصيلي و إجمالي، والأخير كما في الآية الكريمة، حيث تتعدد مصاديق الزينة، وقد تكفل الأئمة عليهم السلام ببيانها فهم أهل الذكر، وهم أعلم الناس بدلالاته، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام من تفسيره للزينة بالغسل. ومن هنا يجد القارئ فرقاً كبيراً بين رؤية أهل البيت عليهم السلام وبين رؤية غيرهم فقد جاء في الدر المنثور: أخرج العقيلي وأبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله: (خذوا زينتكم عند كل مسجد) قال: (صلوا في نعالكم)، على الرغم من

أنَّ الحديث مروي من طرق أهل السنة كما يذكر السيد الطباطبائي في تفسيره[٩].

كلماته عليه السلام في مجال تفسيره

لا يخفى تداخل هذا المجال مع المجال السابق أعلاه، ذلك أن استحضار الإمام عليه السلام لآية من الآيات في موقف ما، ليس استجلاباً قسرياً للنص القرآني من سياقه الخاص واستحضاره في سياق جديد من دون مناسبة أو اتفاق كبير بين السياقين، فالبعد العملي للقرآن هو بعدٌ تفسيري له، ونقلٌ لمفاهيمه إلى ساحة الممارسة والعمل.

من نماذج تفسيره عليه السلام للقرآن: تفسير قوله تعالى: (**فاستوى على سوقه**) أنه عليه السلام قال: (**استوى الإسلام بسيف علي** عليه السلام)[١٠]. وعنه عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) فقال: (**يقول عز وجل: إنا كل شيء خلقناه لأهل النار بقدر أعمالهم**)[١١].

وهنا يعمد الإمام عليه السلام إلى جعل عبارته التفسيرية بمثابة المكمل للآية الكريمة، مرتكزاً في ذلك إلى حقائق تاريخية تمتد إلى زمن النزول، و إلى مفاهيم عقائدية تتعلق بتجسم أعمال الإنسان يوم القيامة على هيئة عذاب أو نعيم، بل أن تفسيره في هذا الموضع يُعد مما يُستشهد به في هذا المجال، ومن مصادر التأسيس لمفهوم تجسم الأعمال.

وروى الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط ما يرفعه بسنده: أن رجلاً قال : دخلت مسجد المدينة فإذا أنا برجل يُحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله والناس حوله، فقلت له: أخبرني عن (شاهد ومشهود) فقال : نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة.

فجزته إلى آخر يحدث فقلت له: أخبرني عن (شاهد ومشهود) فقال : نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، و أما المشهود فيوم النحر.

فجزتهما إلى غلام كان وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: أخبرني عن (شاهد ومشهود) فقال : نعم، أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله و أما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: (**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً**) وقال تعالى: (**ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود**).

فسألت عن الأول فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني فقالوا : ابن عمر، وسألت عن الثالث فقالوا : الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام وكان قول الحسن أحسن)[١٢].

لقد انطلق الإمام عليه السلام في تحديده لمفهومي (الشاهد والمشهود) من القرآن نفسه بطريقة يجعل لها المشتغلون بالدراسات القرآنية ومناهج التفسير منهجاً تفسيرياً منفرداً هو (تفسير القرآن بالقرآن)، ويعدُّونه من أهم المناهج وأفضلها لأنه يستند إلى معطيات الكتاب العزيز، بصورة وصفها إمام الهداية أمير المؤمنين عليه السلام بجملةٍ بليغةٍ ودالةٍ، قوله قاصداً القرآن الكريم: (**ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض**).

بعد هذه الوقفة السريعة والمتواضعة جداً يمكن لنا أن نحاول تحديد ملامح حضور القرآن الكريم في كلمات الإمام الحسن عليه السلام؛ فقد رأيناه عليه السلام ينطق عبر تجليات تكامله الإنساني في جميع مساراته: العقلية، والروحية، والعملية . ولذا لا نجد

تكاملاً بهذا المعنى الشمولي إلا في حياة النبي وآله (صلوات الله عليهم)، ومن هنا كان المظهر الأول من مظاهر هذه الحياة هو حياة المعرفة التي هي عين العمل، والتي تجلت في ما يلي:

١ـ لقد شكّل النص القرآني إطاراً مرجعياً لكل مواقف الإمام في تعاطيه مع الأحداث الصعبة التي مر بها، ويعود اختلاف القراءات لمواقف الإمام ووقوع البعض منها في سوء الفهم والاستيعاب إلى خلل في المنطلقات واضطراب في آليات القراءة؛ إذ كيف يصل القارئ إلى واقع هذه المواقف وحقيقتها، ويستنطق دلالاتها ويفيد من دروسها وهو فقير العدة.

٢ـ إنَّ مواقف الإمام لا تجسد النص القرآني في دلالاته العامة فحسب، وإنما تستعيد ضمنياً سياقه الخاص، و تفيد من معطيات هذا السياق عبر الإحالة ـ غير المصرح بها ـ إليه. وسيكون حضور النص القرآني حضوراً منسجماً، متناغماً مع الحدث الراهن بشكل تضفيري، حين يتداخل النص مع الحدث في مستويات كبيرة وعديدة.

٣ـ بنية الحِجَاج عند الإمام قائمة على هذا الاستيعاب الكبير للواقع و للآخر المخاطب، ولذلك تنعدم المسافة الفاصلة بين زمن نزول النص القرآني وزمن استحضاره و استنطاقه والاستشهاد به، وهو ما لا نجده قائماً إلا في العلاقة ما بين الثقلين الكبيرين: القرآن والعترة الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين). والحمد لله رب العالمين ■

(١) ينظر على سبيل المثال: الإمامة وأهل البيت عليهم السلام النظرية والاستدلال: السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ط٣، النجف الأشرف، ٢٠٠٩ : ١٨٩ حيث ذكر دام ظله هذه الأبعاد، و بحث في مطالب أخرى كثيرة تخص الموضوع.

(٢) إرشاد القلوب : أبو محمد الديلمي، منشورات الشريف الرضي ـ قم : ٧٩.

(٣) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء ـ بيروت، ١٤٠٤ هـ ٧٨ : ١١٢، ٩٢ : ٣٢ ح ٣٥.

(٤) بحار الأنوار: ٩٢: ٢٠٤ ح٣١.

(٥) ينظر: فهم القرآن : جواد علي كسار، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨ : ج١: ٢٦٥.

(٦) بحار الأنوار: ٢٣ :٢٣٢ ح٢٥١ ح ٢٦.

(٧) مروج الذهب:المسعودي، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٩هـ ٣ : ٠٩ و الأمالي : الشيخ المفيد، جماعة المدرسين ـ قم ١٤٠٣ هـ : ٣٤٩.

(٨) مجمع البيان :الطبرسي، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٠٨ هـ ٤: ٦٣٧ ٠ و وسائل الشيعة:الحر العاملي، إيران ـ طهران ١٤٠٣هـ ٢ :٣٣١ ح ٦.

(٩) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تح: الشيخ إياد باقر سلمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٦ : ج٨ :٧٧.

(١٠) بحار الأنوار: ٣٦ : ١٨٠ ح ١٧٤.

(١١) التوحيد: الشيخ الصدوق، دار المرتضى ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٨: ٢٩٨ ـ ٢٩٩ح٣٠.

(١٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة : علي بن عيسى الأربلي، دار الأضواء ـ بيروت، ١٩٨٥ :١: ٥٤٣.

قدماء الشيعة وعلم التفسير

د. خليل خلف بشير •
كلية الآداب/ جامعة البصرة

ينابيع

إن القرآن هو المصدر الرئيسي للمسلمين في مجالي العقيدة والشريعة، وهو المعجزة الخالدة للنبي الأكرمﷺ، وقد قام المسلمون بأروع الخدمات لهذا الكتاب الإلهي على وجه لا تجد له مثيلاً بين أصحاب الشرائع السابقة، حتى أسسوا لفهم كتابهم علوماً قد بقي في ظلها القرآن مفهوماً للأجيال، كما قاموا بتفسيره وتبيين مقاصده بصور شتى، لا يسع المقام لذكرها. فأدوا واجبهم تجاه كتاب الله العزيز شكر الله مساعيهم من غير فرق بين الشيعة والسنة.

إن مدرسة الشيعة ـ منذ أن ارتحل النبي الأكرمﷺ إلى يومنا هذا ـ أنتجت تفاسير على أصعدة مختلفة، وخدمة الذكر الحكيم بصور شتى، فأتى بوجه موجز، لما ألف في القرون الإسلامية الأولى.

إن أئمة أهل البيتعليهم السلام بعد الرسول الأكرمﷺ هم المفسرون الحقيقيون للقرآن الكريم، حيث فسروا القرآن بالقرآن بالعلوم التي نحلهم الرسولﷺ بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم التي لا تشذ عن قول الرسولﷺ وفعله وحجته، ومن الظلم الفادح أن نذكر الصحابة والتابعين في عداد المفسرين ولا نعترف بحقوق أئمة أهل البيت وهم عدله باتفاق الجميع.

وهذا ما فعله في كتابه محمد حسين الذهبي، جعل علياً وهو الوصي وباب

علم النبـي صلى الله عليه وآله في الطبقــة الثالثة من حيث نقــل الرواية عنه، وجعــل تلميذه ابن عباس في الدرجة الأولــى[1]!!، ولم يذكر عن بقية الأئمة شــيئاً مع كثرة ما نقل عنهم في مجال التفسير من الروايات الوافرة .

أقول: ما أن ارتحل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حتى عكف المسلمون على دراسة القرآن وتدبره، بيد أنهم وجدوا أن لفيفاً من المسلمين كانوا عاجزيــن عــن فهم بعــض ألفــاظ القرآن. والقــرآن وإن نــزل بلغــة الحجــاز إلا أنــه يحــوي ألفاظاً غير رائجــة فيها وربما كانت رائجــة بين القبائل الأخرى، وهذا النوع من الألفاظ ما ســموه بـ (غريــب القرآن) وقد سأل ابن الأزرق ـ رأس الخوارج ـ ابن عباس عن شــيء كثير من غريب القــرآن وأجاب عنه مستشهداً بشــعر العرب الأقحاح، وقد جمعها السيوطي في إتقانه[2].

وبمــا أن تفســير غريــب القــرآن كان الخطوة الأولى لتفسيره، فقد ألف أصحابنا في أبــان التدوين كتباً في ذلــك المضمار، نذكر قليلاً من كثير منها:

١ـ غريــب القرآن، لأبان بــن تغلب بن رباح البكري (المتوفى عام ١٤١هـ)[3].

٢ـ غريــب القرآن، لمحمد بن الســائب الكلبي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[4].

٣ـ غريب القرآن، لأبي روق، عطية بن الحارث الهمداني الكوفي التابعي، قال ابن عقدة: كان ممن يقول بولاية أهل البيت[5].

٤ـ غريــب القــرآن، لعبــد الرحمان بن محمد الأزدي الكوفي، جمع فيه ما ورد في الكتب الثلاثة المتقدمة[6].

٥ـ غريب القــرآن، للشــيخ أبي جعفر أحمد بــن محمد الطبــري الآملــي الوزير الشيعي (المتوفى عام ٣١٣ هـ)[7].

وقــد توالى التأليف حول غريب القرآن فــي القــرون الماضيــة، فبلغ العشــرات،

وكان آخرها ما ألفه السيد محمد مهدي الخراساني في جزئين[٨].

مجازات القرآن

إذا كان الهدف من هذه الكتب بيان معاني مفردات القرآن وألفاظه، فإن في الجانب الآخر منه لون آخر من التفسير يهدف لبيان مقاصده ومعانيه إذا كانت الآية مشتملة على المجاز والكناية والاستعارة. إليك أخي القارئ الكريم نماذج قليلة مما ألف في ذلك المجال بيد أعلام الشيعة:

١ـ مجاز القرآن، لشيخ النحاة الفراء يحيى بن زياد الكوفي المتوفى عام ٢٠٧هـ، وقد طبع أخيرا في جزئين[٩].

٢ـ مجاز القرآن، لمحمد بن جعفر بن محمد، أبو الفتح الهمداني.قال النجاشي: له كتاب (ذكر المجاز من القرآن)[١٠].

٣ـ مجازات القرآن، للشريف الرضي المسمى بتلخيص البيان في مجازات القرآن، وهو أحسن ما ألف في هذا الباب وهو مطبوع.

التفسير بصور متنوعة

وهناك لون آخر من التفسير، يعمد فيه المفسر إلى توضيح قسم من الآيات تجمعها صلة خاصة كالمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وآيات الأحكام، وقصص الأنبياء، وأمثال القرآن، وأقسامه، والآيات الواردة في مغازي النبي صلى الله عليه وآله، والنازلة في حق العترة الطاهرة عليهم السلام إلى غير ذلك من الموضوعات التي لا تعم جميع آيات القرآن، بل تختص بموضوع واحد.

وكان علماء الشيعة قد شاركوا غيرهم من علماء المسلمين في هذا الجانب الحيوي والمهم، ورفدوا المكتبة الإسلامية بهذه الأنواع من التفاسير، ومن أراد أن يقف عليها فعليه أن يرجع إلى المعاجم، وأخص بالذكر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

الشيعة والتفسير الموضوعي

إن نزول القرآن نجوما، وتوزع الآيات الراجعة إلى موضوع واحد في سور متعددة، يطلب لنفسه نمطا آخر، غير النمط المعروف بالتفسير الترتيبي، فإن النمط الثاني يتجه إلى تفسير القرآن سورة بعد سورة، وآية بعد آية، وأما النمط الأول فيحاول فيه المفسر إيراد الآيات الواردة في موضوع خاص، في مجال البحث، وتفسير الجميع جملة واحدة وفي محل واحد.

فيستمد المفسر من المعاجم المؤلفة حول القرآن، ومن غيرها، فيالوقوف على الآيات الواردة في جانب معين، مثلا في خلق السماء والأرض، أو الإنسان، أو أفعاله وحياته الأخروية، فيفسر المجموع مرة واحدة، ويرفع إيهام آية بآية أخرى، ويخرج بنتيجة واحدة، وهذا النوع من التفسير وإن لم يهتم به القدماء واكتفوا منه بتفسير بعض الموضوعات كآيات الأحكام، والناسخ والمنسوخ، إلا أن المتأخرين منهم بذلوا جهدهم في طريقه، ولعل العلامة المجلسي (١٠٣٧ـ١١١٠ هـ) كان أول من فتح هذا الباب على مصراعيه في موسوعته الموسومة بـ(بحار الأنوار)، حيث أورد في أول كل باب من أبواب كتابه المتخصصة جملة الآيات الواردة حول موضوع الباب، ثم لجأ إلى تفسيرها إجمالا، ثم أورد ما جمعه من الأحاديث التي لها صلة بالباب.

وقد قام كاتب هذه السطور بتفسير الآيات النازلة حول العقائد والمعارف وخرج منه حتى الآن سبعة أجزاء وانتشر باسم

(مفاهيم القرآن) نسأل الله تعالى التوفيق لإتمامه.

الشيعة والتفسير الترتيبي

قد تعرفت على أن المنهج الراسخ بين القدماء وأكثر المتأخرين هو التفسير الترتيبي، وقد قام فضلاء الشيعة من صحابة الإمام علي التابعين له إلى العصر الحاضر بهذا النمط من التفسير، إما بتفسير جميع سوره، أو بعضها، والغالب على التفاسير المعروفة في القرون الثلاثة الأولى، هو التفسير بالأثر، ولكن انقلب النمط إلى التفسير العلمي والتحليلي من أواخر القرن الرابع.فأول من ألف من الشيعة على هذا المنهاج هو الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦ هـ) مؤلف كتاب (حقائق التأويل) في عشرين جزءاً[11]، ثم جاء بعده أخوه الشريف المرتضى فسلك مسلكه في أماليه المعروفة بالدرر والغرر.ثم توالى التأليف على هذا المنهاج من عصر الشيخ الأكبر الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) مؤلف (التبيان في تفسير القرآن) في عشرة أجزاء كبار، إلى عصرنا هذا.

فقد قامت الشيعة في كل قرن بتأليف عشرات التفاسير وفق أساليب متنوعة، ولغات متعددة. لا يحصيها إلا المتوغل في المعاجم وبطون المكتبات ■

---

(١) الذهبي: التفسير والمفسرون ١/٨٩- ٩٠.
(٢) السيوطي: الاتقان ٤/٥٥- ٨٨.
(٣) النجاشي: الرجال ١/٧٣ برقم ٦.
(٤) المصدر نفسه: ١/٧٨ برقم ٦.
(٥) ابن النديم: الفهرست ٥٧ ، النجاشي:الرجال ١/ ٧٨.
(٦) النجاشي: الرجال ١/ ٧٨.
(٧) ابن النديم: الفهرست ٥٨.
(٨) الطهراني آغا بزرك: الذريعة ١٦/٥٠ برقم ٢٠٨.
(٩) المصدر نفسه: ١٩/٣٥١ برقم ١٥٦٧.
(١٠) النجاشي: الرجال ٢/٣١٩ برقم ١٠٥٤.
(١١) وللأسف لم توجد منه نسخة كاملة في عصرنا الحاضر إلا الجزء الخامس وهو يكشف عن عظمة هذا السفر ويدل على جلالة المؤلف.

الخصائص العامة للعقيدة الإسلامية

على ضوء القرآن الكريم

محمد كاظم حسين •

ينابيع

إن لكل عقيدة بصورة عامة خصائص ومميزات تجعل منها ذات جاذبية خاصة لمعتنقيها وتدعم موقفهم في الثبات عليها وتمتاز العقيدة الإسلامية بعدّة خصائص تميزها عن سائر العقائد الدنيوية الأخرى، وأهم هذه الخصائص[1]:

١ـ ربانية المصدر

إن الله مطلق القدرات، والعقيدة من عنده يفترض أن لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فلا يليق بها إكراه، وهي بذاتها تقبل العقلانية والعقل والبرهان دليلاً عليها لذلك هي لا تخشى (عقيدة أفضل منها) إذا ما تقرر إن الإنسان حرٌ في اعتناقها وحرٌ في تركها.

فهي موحى بها من الله عز وجل. قال تعالى: (**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)[2]، فمصدرها الله سبحانه، وقد هدانا إلى الإيمان بها عن طريق ما أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله من آيات القرآن الكريم بوساطة جبرائيل عليه السلام فالرسول صلى الله عليه وآله، مبلّغ هذه العقيدة للناس كافة، قال تعالى: (**إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي**

أَخَـافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم قُـلْ لَوْ شَـاءَ اللهُ مَـا تَلَوْتُـهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ)[٣].

و: (إن ارتباط حماية حقوق الإنسـان بمقاصـد الشـريعة، إنما يرجـع إلـى إن التشريع الإسلامي نفسه هو مصدر هذه الحقوق والحريات الأساسية)[٤].

٢ـ اتفاق العقيدة مع فطرة الإنسان

تمتـاز العقيدة الإسـلامية بموافقتها لفطرة الإنسـان، والقـرآن الكريم يقرر أن الفطرة السليمة التي لم تتلوث بأقذار الشـرك تقر بوجـود الله بغير دليل، بل ان توحيـده أمر فطري أيضاً، قال تعالى: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّيـنِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِـكَ الدِّيـنُ القَيِّمُ)**[٥]، (فالشـعور الفطـري بوجـود الخالـق مـن الدلائل الصادقة على وجود الخالق)[٦].

أمـا ما يظهر على بعض الملحدين من الكفر بالله والاسـتهزاء بمن دعاهم إلى عبادته، فإن ذلـك لا يعني الكفر المطلق المبنـي على اليقيـن الكامـل، وإنما هو انحراف في الطبيعة الإنسـانية، وتحويل للغريـزة الفطريـة المتجهة إلـى الخالق الحـق إلى عبـادة المخلوقـات الأخرى، بسـبب المبالغة في الانحـراف بدافع لا أخلاقي، وظلم مـرآة فطرته بدخان نار الشهوات، وبعض الغرائز النفسية العاتية المستكبرة[٧].

لذلك (تتلخص مهمة العقيدة الإسلامية في تحصين هذا البناء الفطري للإنسـان مـن كل التراكمات السـلبية، وما يحصل

عليه من الشوائب الملوثة لنقاء هذه الفطرة التي ترنوا إلى الكمال والنصح الفكري وهي التي ترى أن العدل حسن والظلم قبيح...)[٨].

٣ـ اليسر والوضوح والبساطة

تمتاز العقيدة الإسلامية بوضوحها وبساطتها ويسرها، لأنها ميسّرة واضحة وبسيطة وغير معقدة: فإن الحرية من ملازمات العقيدة التي تكون بهذه المواصفات فلا تمنع صعوبتها (حرية اعتمادها) ولا غموضها مسوّغ لفرضها بالقوة إذ يستطيع أن يفهمها الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية والثقافية والاجتماعية، وهي تقوم على حقائق واضحة، فأساسها التوحيد الذي يوضح العلاقة بين الإنسان وربّه، فالله وحده هو صاحب السلطان، وقد أوصل هداية للناس عن طريق الأنبياء، وهي تتجاوب مع فطرة الإنسان وعقله، وان أهم ما يميز يُسر العقيدة ووضوحها وبساطتها[٩]:

١ـ العلاقة التي تقيمها بين العبد وربّه هي علاقة واضحة، عبودية العبد لربّه الذي يتوجه إليه، بالطلب والرجاء والدعاء... الخ.

٢ـ تجاوب الناس معها عبر التاريخ، ففي مدة وجيزة ـ من غير إكراه أو إجبار ـ انتسب إليها الكثير من مختلف الجنسيات والألوان.

٣ـ انتشارها في شتى بقاع الدنيا يدل على بساطتها وخلوها من التعقيد، فهي ليست رموزاً معقدة تحتاج إلى من يفسّرها، ولا فروضاً عقلية جافّة لا يستطيع أن يتصورها إلّا قلّةٌ من الناس.

وإن حاول بعض الكتّاب تقييد العقيدة بزمان صدورها أو بمكان وجودها مختصراً شؤون العقيدة على العرب فقط، كقول الدكتور محمد أحمد خلف الله: (إن الكثير مما ورد في القرآن الكريم من أحكام تشريعية كان علاجاً خاصاً لهموم المجتمع العربي)[١٠]!، وهو كلام فيه نظر بما ينافي كثير من المقدمات.

٤ـ الإيجابية

تمتاز العقيدة الإسلامية بأنها إيجابية، تتجاوب مع رغبات الإنسان وطموحاته، فهي معه لتحقيق هذه الرغبات بالطرق السليمة، فمن مظاهر ايجابيتها[١١]:

أ. إن هذه العقيدة بمجرد أن تلامس القلب تستقر حقيقتها في الوجدان، وتظهر آثارها اعمالاً في حياة الإنسان وواقع مجتمعه.

ب. إيجابية هذه العقيدة، تزيل أي حاجز بين الإنسان والكون، بحيث تكشف نواميسه وقوانينه.

ج. إيجابية العقيدة تتمثل بامتلاكها جواب كل سؤال وحلّ كل مشكلة تعترض حياة الإنسان.

٥ـ الشمول والتوازن

تمتاز العقيدة الإسلامية بنظرتها الشمولية للكون والإنسان والحياة[١٢]، فقد عرّفت الإنسان تعريفاً كاملاً، أصله ونشأته وأطواره وحياته وموته وما بعد الموت، وما يرافق ذلك حتى يقر به القرار أما الجنة أو النار، وكذلك تطرقت للكون أصله وظواهره والغاية منه،... وتطرقت العقيدة للحياة بشقيها الدنيوي والأخروي، وما يترتب على

الإنسان في كلتا الحياتين، وامتاز هذا التطرق من جهة العقيدة بتوازن فعلى سبيل المثال تناولت الإنسان وهو في بطن أمه، وتناولته ما بعد الولادة، وما بعد الممات، وكذلك الكون تناولت أصله وما سيؤول إليه، وتطرقت للحياة الدنيا وبيّنت حقيقتها، وللآخرة وحقيقتها، قال تعالى: (**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ**)[١٣]، فهي عقيدة شاملة لا تختص بجماعة[١٤] دون جماعة (إنها دين ودولة، أو عقيدة وشريعة)[١٥]، فهي رسالة عالمية غير مختصة.

٦ـ ثباتها

إن حقائق العقيدة الإسلامية ليست نظريات صاغها البشر، أو ظنوناً وضعت من تخيلاتهم، ولكنها من عند الله، لذا إن ثبات العقيدة يظهر في ركن من أركانها، بيد أن هذا الثبات لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإنما يعني الالتزام بمقاييس ثابتة، يقاس نشاط البشر بها، وفي حقائق الإسلام الثابتة يستطيع الإنسان أن يتحرك ويرتقي ويطور من وسائل معيشته، وهذا من فضل الله الذي وضع لعباده منهاجاً مرناً واسعاً، لجميع مظاهر

النشاط الإنساني في كل زمان ومكان[١٦].

٧ـ الوسطية

العقيدة الإسلامية تحل بهذه الخاصية لغز المنادين بـ: لا إله، والحياة مادة، ولغز المنادين بأكثر من إله لهذا الكون، فهي لا مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء، فلا آلهة متعددون ولا إله معدوم، بل هي تنادي بربّ واحد وهذا هو أساس التوحيد، قال تعالى: (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ**)[١٧]، وهو ما يلحظ انعكاس هذا المفهوم على الأمّة الإسلامية في كونها أمّة وسطية[١٨].

٨ ـ الواقعية

العقيدة الإسلامية عقيدة الواقع، لا عقيدة الخيال، فهي تتماشى مع واقع الإنسان ومتطلبات وجوده، كما إنها ليست خيالية يصعب تطبيقها، فلا تطلب من الإنسان فوق طاقته، قال تعالى: (**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلّا وُسْعَهَا**)[١٩]، وذلك يعني الاعتراف بالواقع الإنساني ووضع الخطط لتطويره[٢٠]، ومنها مراعاة التعددية، (وتؤكد الصحيفة المدنية ـ إن المجتمع الإسلامي الذي خاطبه الرسول كان تعدديا)[٢١]، فأيما عقيدة تمتلك هذه الموضوعات تستحق أن تعتنق بحرية تامة وأن تتعامل مع العقائد الأخرى بالحرية المبرهنة ذاتها، لا تحتاج إلى مصادره أو إقصاء للخوف من عقيدة منافسة لها إنها تتمتع بالكمال، والكمال قوّة، والبقاء دائماً للأفضل.

٩ـ عقيدة مبرهنة

فهي لا تكتفي من تقرير القضايا بالإلزام المجرد أو التكليف الصارم، ولا تكتفي بمخاطبة القلب والوجدان والاعتماد عليها أساساً للاعتقاد، بل تتبع قضاياها بالحجة الدامغة والبراهين الناصعة والواضحة، فنرى القرآن الكريم في قضية الإلوهية يقيم الأدلة من الكون ومن النفس ومن التاريخ على وجود الله، وعلى وحدانيته وكماله، وكذلك في قضية البعث و القضايا الأخرى التي تطرحها كافة[٢٢].

ولأن الإيمان الصحيح، والعقيدة الحقة مترتبة على العلم، فقد جاء ذكر هذه الحقيقة في القرآن المجيد في قوله تعالى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ)(٢٣)، (فهذه الثلاثة يتبع بعضها بعضاً: العلم يتبعه الإيمان، والإيمان يثمر الإخبات وهو الخضوع والخشوع لله عز وجل)(٢٤)، يقول سيد قطب: (إن غاية الوجود الإنساني في التصور الإسلامي هي عبادة الله أي العبودية له وحده والتحرير من عبادة العباد...)[٢٥].

وهذا الأمر ينطبق بصورة عامة على جميع خصائص العقيدة في تعزيز الإيمان، فعقيدة تملك مثل هذه الخصائص جديرة بالاعتناق لما تضفيه على مريديها من حُسن مقام الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين ■

---

(١) ظ: سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، القسم الأول، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ط٢، ١٩٦٥، ص٢٠ وما بعدها، د.محمد أحمد أبو عجيمة، وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، دار الهلال، بيروت، ١٩٩٠، ص٨٨، د.محمد أحمد الخطيب ومحمد عوض الهزايمة، دارسات في العقيدة الإسلامية، عمان،

الأردن، ط٢، ١٩٩٣، ص١٦-٣٠.

(٢) سورة الأنعام/١٦١.

(٣) سورة يونس/١٥-١٦.

(٤) د.محمد الزحيلي، د.احمد الريسوني، د.محمد عثمان شبير، حقوق الإنسان محور مقاصد الشريعة، كُتيب الأمة، منشورات وزارة الأوقاف القطرية، العدد ١٧، السنة٢٢، ٢٠٠٢، ص٦، د.سلمان الطعيمات، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠١، ص٣٣-٣٥.

(٥) سورة الروم/٣٠.

(٦) د.عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله، ص٦٥، ظ: سيد سابق العقائد الإسلامية، ص٤٥، د.محمد حسن الحمصي، الإيمان بالله، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ص٧٦.

(٧) ظ: د.علي بن محمد ناصر الفقيهي، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، ص٣٦، عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار العلم، دمشق، ط٢، ص٥٩.

(٨) محمد جواد مالك، العقائد الإسلامية دراسة منهجية في أصول الدين، ص١٤.

(٩) ظ: صالح الهندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص٦٩، محمد علي التسخيري، التوازن في الإسلام، الدار الإسلامية، ط٢، ١٩٨١، ص٥، محمد تقي مصباح اليزدي، الحقوق والسياسة في القرآن، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠١، ص٩٣، د.عبد الرحمن زكي إبراهيم، الإسلام والتوازن الاجتماعي، مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٥٤، ١٩٨٨، ص٢٤-٢٧.

(١٠) القرآن وهموم المجتمع العربي، مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٩١، ١٩٨٣. ص٢١.

(١١) ظ: محمد قطب، علم التوحيد، دار الشروق، القاهرة، ص١٢١٥.

(١٢) ظ: علي عيسى عثمان، الاعتراف بالإنسان هو الأصل في حقوق الإنسان: الإسلام والديمقراطية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٦٨، ١٩٨٤، ص٣٤، الإسلام دين الحرية والشمول: www.ALRADHy.com

(١٣) سورة القصص/٧٧.

(١٤) ظ: د.صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٨، ص٢٥٤.

(١٥) د.محمد رفعت عبد الوهاب، الأنظمة السياسية، منشورات الحلبي الحقوقية، ٢٠٠٤، ص٢٢٣.

(١٦) ظ: صالح الهندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، ص٧٠-٧١.

(١٧) سورة الإخلاص/١-٤.

(١٨) للتوسعة في هذا المفهوم ظ: حجة الإسلام رهبر، الأمة الوسط، المؤتمر العالمي للفكر الإسلامي، طهران، ١٤٠٣هـ، ص٦٧ وما بعدها.

(١٩) سورة البقرة/٢٨٦.

(٢٠) محمد علي تسخيري، المذهبية حرية تجمع ولا تفرق، بحث ضمن التعددية المذهبية في الإسلام وآراء العلماء فيها، إعداد سيد جلال الدين ميرآقاني، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، ٢٠٠٧م، ص١١.

(٢١) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي (الثقافة والدولة)، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٥، ص٩٤.

(٢٢) ظ: د.يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، طباعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٧٩، ص٤٨-٤٩.

(٢٣) سورة الحج/٥٤.

(٢٤) د.عبد الستار محمد نوير، القرآن والعلم، حولية كلية الشريعة، قطر، العدد ٤-٥، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥، ص٢٠٦، ظ: فرحان البغدادي، علماء الطبيعة والإيمان بالله، مطبعة أوفسيت الميناء، بغداد، ط٢، ١٩٧٨، ص٢١، أمير جعفر الأرشدي، التفوق العلمي في الإسلام، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٠.

(٢٥) العدالة الاجتماعية، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط٦، ١٩٦٤، ص٢٦٧.

محنة الإمام الطبري في ضوء كتابه

" أحاديث غدير خم"

د. محمد جواد فخر الدين •
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

ينابيع

هو: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبريّ العالم المشهور، والعلامة المجتهد، والإمام الفقيه، والمفسّر المحقق، والمؤرخ الثّبت، عبر عنه الخطيب البغدادي بكلمات جمع فيه كل فضله وعلمه ما نصه:

(وكان أحد أئمة العلماء: يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه)[1].

تمتد حياة الطبري العلمية لأكثر من خمسين عاما لتشكل أنموذجاً فريداً

شـهدته الحيـاة الفكريـة فـي بغـداد في ظـل الإرهاصـات والتقلبـات السياسـية والاجتماعية والاقتصادية، هذه السـنوات الخصبة فـي حياة الطبري كانت بحق تمثل صفحـة مهمة فـي حيـاة وسـيرة علمائنا المتقدمين الذين أسـهموا بصورة مباشرة أو غير مباشـرة فـي رفد الحيـاة الفكرية بمختلف صنوف المعرفة.

اسـتقر الطبري فـي آخـر حياته في بغـداد[٢]، وكانـت هذه المرحلـة من أهم مراحـل حياتـه العلمية و مصـدر خصب وعطاء على الرغـم مما عاناه من اضطهاد فكـري وعقيـدي، لكـن هـذا لـم يمنعه مـن نشـر كتبـه، وتصنيف مـا جمعه من المعلومات في رحلاته ويقرر مذهبه الذي انتهى إليه، وفكره الذي وصل إليه بعد لقاء الشـيوخ وتمحيص الأقوال وتحقيق الآثار والأحاديث للخلـوص بعد ذلك إلى مذهبه الجريري المسـتقل ببغداد مما أدى إلى أن يواجه مشكلة عظيمة.

كانـت المدرسـة الحنبليـة المدرسـة المهيمنة في بغداد، نتيجة ما لاقته من دعم من قبل الخلفاء العباسـيين، هـذه الهيمنة دعتها إلى فـرض آرائها ولـو بالقوة على المتنافسـين من قبـل المذاهب الأخرى، بل أخـذ مريدوها ضـرب المخالفين لهم وتكفيرهم سواء كان فكريا أم مذهبيا.

واسـتمرت حالـة الاحتقـان الطائفي والتسـلط من قبل الحنابلة في بغداد حتى تولـي الراضي باللّه الخلافة ـ أي بعد وفاة الطبـري، وقد شـكى اليه كثير مـن أتباع المذاهب الأخرى ممـا لاقوه من اضطهاد فكري وعقيدي على أيدي الحنابلة، لذا كان لابد على الخليفـة اتخاذ بعض الإجراءات وإيقـاف هـذه التجـاوزات، وهنـا تدخل بنفسـه عندما أصـدر بيانا يحمـل توقيعه

بنفسه وجاء فيه: (ينكر الخليفة الراضي على الحنابلة فعلهم ويوبخهم باعتقاد التشبيه وغيره فمنه تارة أنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتكم الرذيلة على هيئته وتذكرون الكف والأصابع والرجلين والنعلين والشعر والقطط والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا، ثم طعنكم على خيار الأئمة ونسبتكم شيعة آل محمد صلى الله عليه وسلم إلى الكفر والضلال وإنكاركم زيارة قبور الأئمة وتشنيعكم على زوارها بالابتداع ثم تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام ليس بذي شرف ولا نسب ولا سبب من رسول الله وتأمرون بزيارته ـ يقصد الإمام أحمد ـ وأمير المؤمنين يقسم بالله قسماً عظيماً يلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً وقتلاً وتبديداً وليستعملن السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم)[٣].

ولم يقف الأمر عند هذا فحسب بل أضطر إلى منع تجمعات الحنابلة، خشية شغبهم بالطرقات والمساجد، وقد أسهمت هذه الإجراءات الصارمة في ردع هؤلاء والعمل على تحجيمهم داخل المجتمع البغدادي الذي ضاق بهم ذرعاً.

وقد كان للحنابلة مع الإمام محمد بن جرير الطبري مواجهات نتجت فيما ما يُعرف بـ(محنة الطبري)، كان لزاماً على إمام مجتهد مثله، أن يصطدم بهؤلاء القوم، الذين أعماهم التعصب المذهبي والذين كانوا لا يحصون كثرة في بغداد كما ذكر ذلك ابن الأثير في كتابه الكامل فشغبوا عليه وقالوا فيه ما أرادوا ووقعوا فيه[٤].

وقد اتهم الطبري بعدة اتهامات، وكان من بينها اتهامه بالتشيع ويمكن حصر هذه الأسباب بما يأتي:

١ـ تصنيفه في فضائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ـ إثباته الأسانيد والروايات لحديث غدير خم.

٣ـ مناظرته مع ابن داود الظاهري الذي نتج عنها أن صنف ابن داود الظاهري كتاباً في الرد على الطبري و رماه بالعظائم والرفض ، كما ذكر ذلك عوام الحنابلة في بغداد.

وسنفصل بعض الشيء في محنة الإمام الطبري، لأنهما يوضّحان آراء الطبري، وشجاعته في دفاعه عن الحق، وإيمانه بالفكر الأصيل في العقيدة والمذهب. وهي محنتان:

أولهما: كتابه (اختلاف الفقهاء).

وثانيهما: كتابه (أحاديث غديرخمّ).

القراءة المتفحصة لحياة الطبري العلمية يمكن من خلالها ان نستقرء منها عدة أمور وادوار مهمة في حياته، نستكشف منها أحوال هذه الشخصية والمزايا والصفات التي تمتع بها وفاق على علماء عصره، ويكفيه ماألفه في مختلف صنوف المعرفة إذ لم تنحصر أفكاره وآراؤه وتصانيفه في حقل علمي واحد بل توزعت اتجاهاته، فتجده محدثا، ومفسرا، ومؤرخا، وفقيها، وو.....

وهذا ان دل فهو يدل على سعة معارفه وكثرة اطلاعه، هذا الكم الوافر من هذه العلوم التي تمتع بها انعكس انعكاسا تاما على آراؤه فكان له الجرأة الكبيرة في دحض آراء المتعصبين من بعض العلماء الذين يحاولون طمس الحقائق بسبب

الخلافات المذهبية والعقيدية، والتي لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة، فلا غرابة بعد هذا كله إن رأينا أن هذين الكتابين كانا مصدر محنتين، وأسهما إلى حد كبير إلى بذر العداوة بينه وبين بعض المتعصبين، وخاصة أتباع المذهب الحنبلي، الذين حولوا هذا الاختلاف الفكري الى حرب شعواء ضده نال مانال منها الطبري في حياته وبعد مماته.

المحنة الأولى

إن الطبري كان قد وصل بعد التمحيص والبحث إلى أن الإمام أحمد بن حنبل كان حافظاً محدثاً ولم يكن فقيهاً ولذلك لما صنف الإمام الطبري كتابه (اختلاف الفقهاء)، إذ لم يذكر فيه الإمام أحمد بن حنبل، وهذا رأيه الذي وصل إليه وكان يؤيد ذلك أن الإمام أحمد لم يصنف كتاباً واحداً في الفقه إنما كان همه الحديث، وقد سأل الحنابلة الطبري عن سبب ذلك، قال:(لم يكن ابن حنبل فقيهاً، وإنما كان محدثاً)[٥]، وهذا متعارف عليه أن الإمام أحمد بن حنبل لم يُصنَّف في الفقه البتة، ولم يُقْعِد لمذهبه قواعد، وإنما غاية همّه كان مُنصبَّاً على الحديث فقط، ويمكن أن نرى ذلك واضحا من مصنفاته، وما ذكره أصحاب كتب التراجم عند التعرض لسيرة حياته، والطبري لم يكن عدوا لأحمد إنما أرخ لواقع قد اطلع عليه، فأحمد كان راوياً للحديث، وكان إذا سئل يجيب بما يروي من أحاديث الرسول أو أقوال الصحابة والتابعين، ولم يشتهر أمره كفقيه. ولم يكن له أصحاب يدونون أقواله ويأخذون عنه مبانيه الفقهية وطرقه في الاستنباط، كما فعل غيره من أئمة الفقه. لقد كان اعتراض الطبري وجيهاً، فلم يجد معه الحنابلة جوابا سوى إرهابه والشغب عليه، حتى تدخلت الشرطة. لذلك نجد أن ابن خزيمة وهو أحد أئمة الحديث يقول عنه: ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة[٦].

فكان لهذا الرأي الجريء والصريح انعكاساً سلبياً على الطبري، إذ عمد أتباع المذهب الحنبلي إلى النقمة عليه ووصل الأمر بهم، إلى أن حاصروه في بيته، ومنعوه من الخروج، وسدّوا باب بيته بالحجارة، ولم يُخلّصه من ذلك الحصار غير صاحب الشرطة، ومئات من أعوانه.

المحنة الثانية

وهي مصب بحثنا هذا، ويتعلق الأمر بحادثة الغدير[٧] وفضائل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، إذ حاول كثير ممن أعماهم التعصب المذهبي أن يشكك بهذه الحادثة أو يرفضها رفضاً تاماً، باختلاق الحجج والروايات المكذوبة على الرسول صلى الله عليه وآله، وقد اتفق المسلمون على نقلها ورواها من علماء الفريقين العامة والخاصة الجمع الكثير. حتى رويت من عشرات الصحابة ومئات التابعين، وناف من ذكرها في مصنفاته على الألف على أقل التقادير.

وقد ذكر ياقوت الحموي[٨] أن بعض الشيوخ ببغداد قال بتكذيب حديث غدير خم وقال إن علي بن أبي طالب عليه السلام كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم فبلغ أبا جعفر الطبري ذلك فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب وذكر طرق حديث غدير خم، وهذا هو السبب في العداوة الشخصية بينه وبين

أبـي بكر بـن أبي داوود صاحب السُـنن، وسبب تلك العداوة كما يحدثنا التاريخ، هو أن أبـا بكر هذا كان ناصبياً مُبغضاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وآل بيت رسـول الله صلى الله عليه وآله. وحملـه نصبه هذا علـى تأليف كتاب يقدح فيـه على حديث (غدير خـم) فألّف الإمام الطبري مؤلفاً أورد فيه الكثير من الأسانيد والحجج التي تسند هذا الحديث.

ونقل ابن عسـاكر[٩] ان الطبري: (ولما بلغـه أن أبا بكر بن أبي داود السجسـتاني تكلـم فـي حديث غديـر خم عمـل كتاب الفضائل فبدأ بفضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رحمة الله عليهم وتكلم على تصحيح حديـث غدير خم واحتـج لتصحيحه وأتى من فضائل أميـر المؤمنين علي بما انتهى إليه ولم يتم الكتاب وكان ممن لا يأخذه في دين الله لومه لائم ولا يعدل في علمه وبيانه حتى يلزمـه لربه وللمسـلمين إلـى باطل الرغبـة ولا رهبة مع عظيم مـا كان يلحقه من الأذى والشـناعات من جاهل وحاسـد وملحد فأما أهل الدين والورع والعلم فغير منكر مـن علمه وفضله وزهـده في الدنيا ورفضه لها مع إقبالها عليه وقناعته بما كان يرد عليه من حصة من ضيعة خلفها له أبوه بطبرستان يسيره).

وأشـار الذهبّـي عـدة روايـات بهذا المعنى[١٠] فقد ذكر ان الطبري: (لما بلغه أن أبا بكر ابن أبي داود تكلم في حديث غدير خم، عمـل كتاب: (الفضائـل) فبدأ بفضل أبي بكـر، ثم عمر، وتكلـم على تصحيح حدث غدير خـم، واحتج لتصحيحه، ولم يتم الكتاب).

وفي روايـة اخرى[١١]: (قيل لابن جرير: إنّ أبابكر بـن أبي داود يُمْلـي في مناقب علّي، فقال: تكبيـرة من حارس، وقد وقع بين ابن جرير وبين ابن أبي داود، وكان كل منهمـا لا ينصف الآخـر، وكانت الحنابلة حزب أبـي بكر بـن أبـي داود، فكثروا وشـنّعوا علـى ابن جريـر، ونالـه أذىً، ولزم بيته...).

كان موضـوع حديـث خُـمّ، الشـغل الشاغل للطبري وتأكيده، ودفاعه، وتوثيق رواياته المسـنده، إذ عمد إلـى الاهتمام المباشـر فـي ملاحقـة هـذه الروايـات وتمحيصها، من أجل الوصول إلى الحقيقة المبتغـاة، والـرد على المشـككين بصحة هذا الحديث؛ لأنـه كان يدرك وعلى تمام المعرفـة الأسـباب والدوافـع وراء إقدام هؤلاء علـى تضعيف هـذا الحديث والرد عليه.

وكان مبتغى الطبري ان يؤلف في سيرة الصحابة، لكـن لم تظهر كتبه الا كتاب في فضائل الإمام عليّ عليه السلام، إذ ابتدأها به، ذلك لأن الطبريّ لم يتمّ كتب الفضائل اللاحقة، عن أبي بكـر وعمر والعبـاس، كما يقول ياقوت[١٢]، وإنما بقي من الكتاب الأول في فضائل علي عليه السلام أحاديـث غدير خُمّ، وقد رآه الناس مستقلاً عن كتب الفضائل.

هـذا الحـراك الفكـري والحجج التي ألقاها الطبري في كتابه الغدير لم يستسغها خصومه، إذ وقـف أبي بكر بن أبي داوود موقفا متشـجنا متعصبا بعد أن غلبته حجة الإمـام الطبري وإفحامـه، فما كان منه إلا أن لجأ إلى إثارة عامـة الحنابلة عليه. التي كانـت يومئـذ لهـا السـيطرة الكاملة في بغداد، كنوع مـن الإرهاب الفكري. ورمى الإمـام الطبري، بالتشـيّع، والرفض، بل والإلحـاد. وعلّق ابن حجـر على مارمي به الطبـري بقوله: (وإنمـا نُبِزَ بالتشـيّع لأنه صحّح حديث غديرخم).

واستمرت العداوة بين الطبري وابن أبي داوود إلى حين وفاة الطبري. حيث لم يتمكن أحد من الصلاة عليه. أو إخراجه من بيته وتشييعه. فما كان من أصحابه - على قلّتهم - إلا أن صلّوا عليه، ودفنوه في داره ليلاً، خوفاً من عوام الحنابلة.

قال ياقوت[١٣] قال أبو بكر بن كامل حضرت أبا جعفر الطبري حين حضرته الوفاة فسألته ان يجعل كل من عاداه في حل فقال كل من عاداني وتكلم في إلا رجلا رماني ببدعة قال ياقوت ودفن ليلا خوفا من العامة لأنهم كانوا يتهمونه بالتشيع. وكان اتهام الطبري بالتشيع لروايته حديث الغدير في كتابه، مع العلم أن عقيدة الطبري هي الاعتقاد بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام وما عليه أصحاب الحديث في التفضيل، وكان يكفر من كفر أصحاب رسول الله من الروافض والخوارج ولا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم.

يضاف إلى ذلك كلّه أن الطبريّ أورد ما يتعلّق بغدير خُمّ في كتاب مستقل، وهو في مجلدين ضخمين، ولانعرف عن وجود هذا الكتاب أي خبر، وربما كان من جملة كتبه المفقودة.

لم يصلنا هذا الكتاب، على الرغم من شهرته الواسعة، كما تكرر ذكره في كتب التراجم التي ترجمت سيرة حياة الطبري ونوهت الى عنوان هذا الكتاب، لكن قد ضاع من جملة الكتب التي تلفت لأسباب غير خافيه لمن الف في هذا الحقل.

ويكفي الطبري فخراً أنه صنّف هذا الكتاب لا لأجل شيء، فقط إظهار الحقيقة للعامة والخاصة وإخراس الألسن التي كانت ومازالت تحاول أن تقلل أو تشكك أو ترفض حادثة يوم الغدير، لكن (**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) ■

---

(١) تاريخ بغداد،٢: ١٦١.
(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٢٦٩.
(٣) ابن الأثير٤ : ١١٤. حوادث سنة ٣٢٣هـ.
(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٧٧.
(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٤٧.
(٦) النهج الاحمد ١: ٣٩..
(٧) هذه الحادثة خلاصتها أن النبي ص في مرجعه من حجة الوداع لما وصل الي محل فيه غدير - والغدير هو الماء القليل - يسمى خم وكان الوقت قيضا - أي حرا - والشمس ساطية وحارة، أمر مناديا ينادي في الناس الصلاة جامعة. فأوقف الركب وأمر من تقدم من الحجاج أن يرجع، وانتظر من تأخر لكي يلحق وأمر بدوحات فجمعن - أي أشجار ذات ظل - فوضع له منبر من احداج الإبل فارتقى وخطب في الناس وأثنى على الله عز وجل ثناء بليغا، ثم قال: الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فأجاب المسلمون: اللهم بلى. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.. لمزيد من التفاصيل حول هذه الحادثة مراجعة موسوعة الشيخ الاميني الغدير في الكتاب والسنة والأدب.
(٨) معجم الادباء ١٨: ٨٣-٨٥.
(٩) تاريخ دمشق ٥٢: ١٩٧-١٩٨.
(١٠) سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٧٤.
(١١) سير أعلام النبلاء ١٤: ٢٧٧.
(١٢) معجم الادباء ١٨: ٨٣-٨٥.
(١٣) معجم الادباء ١٨: ٨٣-٨٥.

تحقيقات

مرقد محمد بن زيد..

في الكوفة

حيدر المجد •

ينابيع

للكوفة مع أهل البيت عليهم السلام علاقة متميزة جعلتها تحتل بين المدن مكانة خاصة ومرتبة رفيعة، فكانت محوراً لكثير من أحاديثهم عليهم السلام، وفي اغلبها أشادوا بفضلها وسموها، ثم راحوا يتشوقون إليها مهما ابتعدت بهم الدار فكانت بحق مدينة تغمرها هالة من الثناء والإطراء، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يخاطبها قائلاً: (ويحك يا كوفة، ما أطيبك، وأطيب ريحك وأخبث كثيراً من اهلك، الخارج منك بذنب والداخل فيك برحمة، أما لا تذهب الدنيا حتى يحن إليك كل مؤمن ويخرج منك كل كافر)[1].

ومذ نزلها أمير المؤمنين عليه السلام قادماً من معركة الجمل سنة ٣٦هـ، أصبحت منزلاً للكثير من الموالين والأتباع، لكنها لم تخل من عناصر مختلفة الولاء لعلي وذريته ضمن التجمعات القبلية المنتشرة في مركز المدينة وضواحيها، وهكذا مرت بالكوفة ادوار متغيرة إلا أنها بقت تحمل بصمة علوية حتى قال فيها الإمام الصادق عليه السلام: (تربة نحبها وتحبنا)[2].

وعلى هذا الأساس هاجر إليها الكثير من العلويين، فقد ذكر السيد البراقي: (كانت في الكوفة أسر طالبية وبيوتات علوية، ليست بالنزر القليل، وكان لبعضهم السلطة والسيطرة، لاسيما أيام ازدهرت بخلافة الإمام علي عليه السلام، وكان لأفراد منهم النقابة العامة فيها والزعامة البدنية والروحية، مضافاً إلى شرفهم العلوي بانتسابهم إلى زعيمهم الإمام علي عليه السلام ذلك الشرف الباذخ والنسب الوضاح وقد بقيت لبعضهم بقية إلى القرن الثامن)[3].

اليوم يشمخ في الكوفة مزار مشهور،

يقصده الناس رغبة للتواصل مع ذرية رسول الله أحياء وأمواتاً، حيث ينسبه القائمون على خدمته إلى السيد محمد بن زيد بن علي بن الحسين الشهيد بن الإمام علي عليهم السلام، ولكن ليس هناك ما يدعم كلامهم ويسند حجتهم سوى آراء وأقوال، لهجت بها الألسن وتناقلتها الشفاه من الأجداد وإلى الأحفاد، دون الرجوع إلى المصادر التاريخية التي ليس لنا دليل آخر غيرها يربطنا بحوادث وأشخاص طوت صحفهم الدنيا فتلاشت ذكراهم عبر تقادم الأزمان، إلا ما حفظه التاريخ لنا عبر صفحاته.

زرنا المرقد ووقفنا عليه، لعلنا نهتدي إلى ما يجعلنا نربط الماضي بالحاضر عبر أثر لنحصل على صورة واضحة تزيح ضبابية تعدد الأقوال، فكانت حصيلة زيارتنا جملة من المعلومات التي تعطي انطباعاً مقبولاً عن شخصية صاحب هذا المزار.

أضواء على سيرته

لم يتسن لنا معرفة متى ولد محمد بالضبط، عدا ما ذكره السيد عبد الرزاق المقرم حيث قال: (... وعمره يوم قتل أبيه أربعون يوماً)[٤]، بناء على إن زيداً قتل سنة ١٢١هـ، ومعنى ذلك إن محمداً كانت ولادته سنة ١٢٠هـ، أمه أم ولد سندية، ولا ندري أين ولدت محمداً؟ ، هل ولد في المدينة أم ولد بالكوفة حيث كان والده يعد العدة استعداداً لثورته ضد الأمويين.

لقد أشار ابن عنبة إليه قائلاً: (أصغر ولد أبيه ويكنى أبا جعفر وكان في غاية الفضل ونهاية النبل)[٥]، كما عده الشيخ الطوسي (من رجال الإمام الصادق عليه السلام، وكناه بأبي عبد الله المدني، وأسند عنه)[٦]، وفي إشارة الشيخ الطوسي إلى كونه مدنياً ما يقوي بقائه في مدينة أجداده الأطهار، وعدم نزوحه منها إلى سواها.

اللهم إلا ما ذكره الخطيب البغدادي حيث قال بعد أن ساق نسبه إلى الإمام علي عليه السلام، (...أبو عبد الله الهاشمي، وهو أخو يحيى وعيسى بن زيد، ورد بغداد أيام المهدي)[٧].

روى محمد عن أبيه زيد، عن أخيه الباقر عليه السلام، قال سمعت أخي الباقر عليه السلام يقول: (دخل أبو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: يا أبا عبد الله ألا أخبرك قوله عز وجل: (من جاء بالحسنة... إلى قوله كنتم تفعلون)، قال: بلى، جعلت فداك، قال عليه السلام: الحسنة حبنا أهل البيت، والسيئة بغضنا أهل البيت)[٨]، كما روى محمد عن أخيه يحيى بن زيد: (قال سألت أبي زيد بن علي: من أحق الناس أن يحذر، قال: ثلاثة العدو الفاجر، والصديق الغادر، والسلطان الجائر)[٩].

أما في الحوادث التاريخية فقد جرى ذكره في موضعين، احدهما لما أراد المنصور أن يقبض على محمد بن هشام الأموي وهو بالكعبة، فقال له محمد بن زيد، أنت في ذمتي وأنا أخلصك، فخلصه من الموت ولم يتوان محمد في إنقاذ الأموي الذي كان لأبيه أعظم دور في قتل زيد بن علي عليه السلام[١٠].

أما القصة الثانية فتشير إلى إن محمد بن محمد بن زيد أراد أن يرى عمه عيسى بن زيد فأشار عليه أبوه أن يقصد الكوفة ليرى عمه عيسى، وقد كان متخفياً في الكوفة متوارٍ عن بني العباس[١١].

في حين تذكر كتب التاريخ إن محمد بن زيد كان في جملة من دعاهم الإمام موسى الكاظم عليه السلام من ولد علي وفاطمة فأشهدهم لعلي ابنه بالوصية والوكالة في حياته وبعد

مماتــه[١٢]، وفي النصوص الســابقة نرى ما يدعم فكرة سكن محمد بالمدينة وما يعضد قول الشيخ الطوسي كونه مدنياً.

توفــي محمــد بالمدينة وليســت هناك إشــارة إلى تاريخ وفاته عــدا ما وجدناه في قطعــة تعريفية كتبت فــي المرقد الموجود في الكوفة حيث ذكرت وفاته ســنة ١٦٦هـ، وفي خبــر وفاته يذكر ابن شــبه الذي روى (عن محمد بن يحيى قال ســمعت من يذكر إن قبر أم ســلمة رضي الله عنها بالبقيع حيث دفن محمد بــن زيد بــن علي، وإنــه كان يحفر فوجد على ثمانية أذرع حجراً مكســوراً في بعضــه مكتوب أم ســلمة زوج النبي فبذلك عرفنــا أنه قبرها، وأمــر محمد بن زيد بن علي أهله أن يدفنوه في ذلك القبر بعينه)[١٣].

ذرية محمد بن زيد

أعقــب محمد بن زيد أحد عشــر ولد، منهم ثلاث نســاء، ولم يعقب منهم ســوى جعفــر بن محمد، وكان لمحمد بن زيد ولد يدعــى محمد الثاني نصبه أبو الســرايا في الكوفــة أميراً بعد وفاة محمــد بن إبراهيم طباطبا وبعد فشل حركة أبي السرايا، قبض على محمد الثاني واقتيد أسيراً إلى المأمون فــي مرو، فمــا لبث أن ســمه المأمون[١٤]، ويعرف لــه اليوم في نيشــابور مزار يطلق عليه محمد المحروق.

أمــا جعفر بــن محمــد بن زيــد، فهو الرئيس الشــاعر وقد عقد لــه أخيه محمد الثانــي على واســط[١٥] بمعنى أنــه كان في الكوفة ولا ندري هل كان فيها ساكناً أم نازلاً مع أخيه محمد.

وقد ذكره النجفي فقال: (خرج بخراسان وقتــل بمرو وقبره بها في ســكة ساســان، وذكر العميــدي أن قبره وقبــر أخيه محمد الملقب بالمعتز بالله في مكان واحد)[١٦].

والظاهــر أن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين الشهيد هو أول من نزل الكوفة، بقصد السكن فيها فقد نزل عند بني حمان (من قبيلة تميم) فنسب إليهم لأنهم شكلوا تجمعاً عشائرياً حتى أطلق على محلتهم حمّان (قرية بالكوفة ســميت باسم عبد العزيز الملقب بالحمّان)[١٧].

كان محمد بن جعفر، شــاعراً معروفاً، ولكــن ولــده علــي المشــهور بـ(الحمّاني) حاز من الشــهرة ما جعله يلقب بـ(الأفوه)، ويقــول: (أنا شــاعر، وأبي شــاعر وجدي شاعر آل أبي طالب)[١٨] ومن شعره:

لنا من هاشم هضبات عز
مطنــبة بأبــراج الســمــاء
تطيف بنا الملائك كل يوم
ونكفل في حجور الأنبــياء
ويهتز المقــام لنا ارتــياحاً
ويلقــانا صفــاه بالصــفاء

أعقب علي زيداً، ومنه في ولده محمد، وقــد عــد ابــن طباطبــا محمداً هــذا من منتقلــة الطالبية فقال: (ذكر من ورد الكوفة مــن أولاد محمد بن زيد الشــهيد، بالكوفة محمد بن زيد بن علي الحماني الشاعر ابن محمد بن جعفر بــن محمد بن زيد بن علي ويعرف بـ(صاحــب دار الصخر) وعقبه أبو جعفر أحمد وأبو الحســن علــي المعروف بـ(الواوه)، وأم الحسن)[١٩].

ومما تقدم نرى إن هــذا المرقد البارز المشهور بمرقد محمد بن زيد بن علي يعود للحفيد دون الجد، فتشابه أسمه وأسم وأبيه وجده مع جده الأكبر وأســم أبيه وجده ولد حالة من الالتباس فنسب إلى الجد الأكبر.

ولــو أطلعنا على خارطة الكوفة في عهد الدولة الأموية وما فيهــا من القرى لأمكننا

الجزم بهذه النسبة، ولكن الخارطة التي رسمها لويس ما سينيون لم تشمل جميع محلات الكوفة حتى يمكننا تعيين قرية حمان أو دار الصخر والمقارنة بينهما وموضع القبر اليوم نسبة لمسجد الكوفة المعلم المتبقي من ذلك الحين وحتى اليوم.

حالة المزار اليوم

يقع المزار في منطقة تسمى (الكَريشات) حيث سكن المنطقة عشيرة القريشيين ويمكن الوصول إليه من شارع معمل السمنت، الذي يمتد من مركز الكوفة وينتهي بمعمل أسمنت الكوفة، من شارع السمنت ينحدر طريق فرعي على جهة اليمين، على بعد ٢ كيلومتر تقريباً، في منتصف الطريق الفرعي، يقع المزار ويسمى في المنطقة (السيد محمد أبو صريمة)، والصريمة تدل على معان ثلاث:

الأول: الرأي النافذ.
الثاني: العزيمة على الشيء.
الثالث: الأرض المحصود زرعها.

وقد يأتي هذا اللقب من أمر أو كرامة جرت لسيد محمد مما ينطبق واحدة من المعاني الثلاث.

وصف المرقد

يتكون المرقد من مساحة كبيرة يحيطها سياج خارجي، وتطل بباب كبيرة على الطريق المتفرع من شارع معمل السمنت كما ذكرنا.

يتوسط المرقد الصحن، كما يحتوي الصحن في جوانبه على بعض المسقفات والمجموعة الصحية، ونتيجة لعدم إهتمام الوقف الشيعي أو إدارة المزارات يلاحظ تردي الخدمات المقدمة، أما أرضية الصحن فليست معبدة، ولا مكسوة حتى بالبلاطات الكونكريتية، بل هي أرض جرداء خالية حتى من الأشجار أو الزرع،

أما المرقد فتعلوها قبة كبيرة خضراء اللون بقطر ٨م تقريباً وبارتفاع يبلغ ٦م، وقد زخرفت من الداخل بالمرايا وتستند على أربع أعمدة، أما الضريح الذي يضم

القبـــر، فهو عبارة عن صندوق مصنوع من مادة الألمنيوم ويغطي مساحة (٣×١،٥م).

يذكـــر ســـادن المرقـــد لم يُشـــمل هذا المرقـــد لحـــد الآن برعايـــة مـــن ممثليـــة المزارات الشـــيعية في النجف الأشـــرف، فلم تمد إليـــه يد التحديث أو الترميم، وكل ما تراه موجود من بناء مشـــيد أو أثاث هو من تمويل المحســـنين أو الذين شملتهم يد الرحمـــة الإلهية عندما قصدوا هذا الســـيد الطاهـــر، فنالوا ما يريـــدون، وعن ظهور ونشأة المرقد يتحدث قائلاً: (أدركت جدي الذي حدثني عن ظهـــور هذا المرقد، فقد كانـــت الأرض التـــي دفن فيها هذا الســـيد أرضا زراعيـــة، وبالصدفة تـــم العثور على المرقد عن طريق قطعة تعريفية من الصخر كانـــت موجـــودة ، ولحـــد الآن توجـــد في المرقـــد ولكننا دفناها خوفـــاً من ضياعها، وهكـــذا توالـــت العمـــارات علـــى المرقد بدايـــة من حجرة صغيرة، مســـقوفة بجذوع النخيل، ثـــم أصبحت غرفة من الطين، إلى أن أصبحـــت بنايـــة صغيرة، ترتفـــع فوقها قبـــة متواضعة، وقد وفـــق الله الحاج كاظم اطيمش القريشـــي فتبرع مشكوراً ببناء قبة تليق بالمرقد الطاهر ■

(١) الشريف الرضي، خصائص الأئمة، ص١١٤.
(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ٢١٠/٥٧.
(٣) تاريخ الكوفة، ص٤٦٩.
(٤) زيد الشهيد، ص١٨٧.
(٥) عمدة الطالب، ص٢٩٨.
(٦) الطوسي، رجال، ص٢٨٢.
(٧) تاريخ بغداد، ٤٠٧/٧.
(٨) القندوزي، ينابيع المودة، ٢٩٢/١.
(٩) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٢/٧١.
(١٠) العاملي، أعيان الشيعة، ٣٣٧/٩.
(١١) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٨٦.
(١٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٣٧/٢.
(١٣) تاريخ المدينة، ١٣٠/١.
(١٤) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤١٢.
(١٥) المصدر السابق، ص٤١٣.
(١٦) المجلسي، بحار الأنوار، ١٦٠/٤٦.
(١٧) لباب الأنساب، ٣١٦/١.
(١٨) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٣٠٠.
(١٩) ابن طبا طبا، منتقلة الطالبية، ص٢٧٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

س: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) [الأنبياء:٧]. لقد قضيت سنوات طوال من حياتي ولا زلت أبحث وأناقش وأتناظر في علم الأديان، لإثبات أن الدين عند الله الإسلام، ولكن كثيراً ما تستوقفني مسألتان، وأُحرَج في الإجابة عنهما، وخاصة أني أرى أن لهما جذوراً في التوراة والإنجيل، ألا وهما قضية التطبير واللطم أيام عاشوراء. أما التطبير وضرب النفس بآلات الجارحة للتعبير عن الحزن فهو ما نراه في سفر الملوك الأول، الإصحاح الثامن عشر، أما قضية اللطم فهي صريحة جداً في أنجيل لوقا، الإصحاح الثالث والعشرين. فالسؤال هو: هل أن تلك القضيتين من شعائر

الله التي هي من تقوى القلوب؟ وإن كانتا كذلك فهل يجوز لي أن لا أعمل بهما؟ وأحرض الناس على تركهما؟ لأنهما وبصراحة ينفّران الناس من الإسلام، وخاصة مذهب أهل البيت (سلام الله عليهم أجمعين).

ج: بارك الله فيكم، وجعلنا وإياكم من: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) [الزمر:١٨]، ويطلبون الحقيقة لأجل الحق والحقيقة، من دون تعصب أو مراء، إنه سميع مجيب.

هذا ويتلخص الجواب بما يلي:

١ - ليس كل ما جاء في التوراة والإنجيل والأديان السماوية الأخرى باطلاً، فإنها جميعاً دعت إلى عبادة الله تعالى، وأمرت بالصلاة والصيام والزكاة، وحرمت الفواحش، وليس إلى إنكار ذلك من سبيل!.

٢ - إن التطبير واللطم ليسا من الأمور المحورية في الإسلام، ولا في مذهب أهل البيت عليهم السلام، بحيث يدور المؤمن مدار الالتزام بهما، وإنما هما قضيتان فرعيتان قد يعتقد بهما بعض وقد لا يعتقد آخر، وقد يتفاوت المؤمن الواحد في قبولهما بين ظرف وآخر، فلا ينبغي لأتباع المذاهب والأديان الأخرى أن ينتقدوا أساس الإسلام أو مذهب أهل البيت عليهم السلام لأجلهما.

٣ - لما كان التطبير ونحوه من الشعارات الدينية إنما يؤتى بها بقصد إظهار العاطفة نحو المبدأ الحق ورجاله، وترويجه، ورفع دعائمه، فهي من الأمور الراجحة شرعاً من الجهة المذكورة، ولكنها قد تكون مرجوحة أو محرمة لعنوان ثانوي، كلزوم الضرر الخاص أو العام، المادي أو المعنوي، بمراتبه المختلفة، ونحو ذلك مما لا ينضبط، وهو يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، كما يختلف باختلاف وجهات النظر. والأمل بإخوتنا المؤمنين (سدَّدهم الله تعالى وأعزَّ دعوتهم) عند اختلاف وجهات النظر - في هذه الأمور وغيرها - الاهتمام بوحدة الكلمة، وجمع شمل هذه الطائفة بتجنُّب العنف والمهاترات، ودعوة كل فئة لوجهة نظرها بالتي هي أحسن، مع احترام وجهة نظر الآخرين، وحُسن الظن بهم، فإنَّ ضرر شق الكلمة لا يعادله ضرر ومحذور إلقاح الفتنة بين أفراد هذه الطائفة لا يعادله محذور، ولا نريد بذلك أن يتنازل كل ذي رأي عن وجهة نظره، فإن من أعظم مفاخر هذه الطائفة فتح باب الاجتهاد، وحرية النظر في حدود الميزان الشرعي.

بل نؤكد على ضرورة الالتزام بآداب المحاورة، واحترام وجهات النظر المختلفة، وحسن الظن بالآخرين، ولمِّ الشعث، وجمع الشمل، والله سبحانه وتعالى من وراء القصد، ومنه نستمِدُّ العون والتسديد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وفقكم الله لمرضاته.

س: ما حكم إسالة الدم من الرأس بالسيوف صبيحة يوم العاشر من المحرم، إذا احتُمل وقوع الضرر على نفسه، أو الإضرار بالمذهب وتوهينه من خلال نشر الصور على الإنترنت، أو الوسائل الأخرى، وما حكم التجمهر لمشاهدة موكب التطبير؟

ج: التطبير كسائر الممارسات التي لم يرد فيها نص خاص، قد تكون إيجابية في منطقة، وسلبية في منطقة أخرى.

س: ما رأيكم في من يُسيِّس المنبر؟ يعني يجعله سياسياً، وما رأيكم من يُسِّيس مواكب العزاء؟ وما رأيكم في من يجعل العزاء للهتافات بأسماء العلماء؟

ج: ينبغي الاهتمام بربط الشعائر بأهل البيت عليهم السلام، حيث أن إقحام هذه الأمور قد يخرجها عن مقاصدها السامية.

س: من الإشكالات الواردة على بعض الشعائر الحسينية أنها قد تؤدي إلى (توهين للدين والمذهب)، ويختلف المؤمنون في تحديد إن كانت هذه الشعيرة أو تلك موهنة للمذهب، وسؤالنا هو: ما هو الملاك في تحديد هذا الموضوع؟ هل هناك من قواعد أو أصول يستطيع المؤمن من خلالها تحديد هذا الشيء؟

ج: التوهين معنى عرفي تختلف مصاديقه من زمان إلى زمان، ومن مجتمع إلى آخر، ولا يكفي فيه مخالفة الشعيرة لذوق بعض الأشخاص، ما لم يثبت أن العرف العام يحكم بذلك.

س: ركضة (طويريج) معروفه عند العراقيين خصوصاً، و هو عزاء يقام يوم العاشر من المحرم، حيث تأتي أفواج الناس من قضاء (طويريج) الذي يبعد أربعة فراسخ عن مدينة كربلاء المقدسة (على مشرِّفها آلاف التحية والثناء) يأتون مهرولين، حتّى يصلوا إلى حرم سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام. ثم يخرجون إلى حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، حفاة، باكين، شعث غُبْر، يندبون مولاهم الحسين عليه السلام. فما هو رأي سماحتكم في عزاء طويريج؟ وبالحوادث التي تقع فيه حيث أنه ذات مرّة سقط بعض الأشخاص على الأرض، فداستهم الجموع بالأرجل، فحدثت مأساة فضيعة راح ضحيتها أكثر من أربعين شهيداً عند باب الحرم الحسيني؟

ج: الشعائر الحسينية من أفضل القربات وأجلّ الطاعات إذا خلصت من الرياء، ونحوه مما قد يشوب الأعمال الصالحة أو يفسدها، ومجرد وقوع حادث مؤسف في أثناء بعض الشعائر لا يلغي دورها، ولا يقلل

من شأنها، وإلا للزم تعطيل فريضة الحج لتكرر وقوع الحوادث فيها.

س: ما هو الحكم الشرعي في ضرب القامات والزناجيل المصاحبة لمواكب العزاء الحسينية؟

ج: أُمرنا بإقامة العزاء لمصائب أهل البيت عليهم السلام، وكل ما يكون مصداقاً للعزاء يكون مشمولاً بذلك الأمر، والتطبير ونحوه من الشعارات الدينية إنما يؤتى بها بقصد إظهار العاطفة نحو المبدأ الحق ورجاله، وترويجه ورفع دعائمه، فهي من الأمور الراجحة شرعاً من الجهة المذكورة. ولكنها قد تكون مرجوحة أو محرمة لعنوان ثانوي كلزوم الضرر الخاص أو العام، المادي أو المعنوي، بمراتبه المختلفة، ونحو ذلك مما لا ينضبط، وهو يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، كما يختلف باختلاف وجهات النظر.

س: لماذا في أثناء تشييع مراسم عاشوراء يكون هناك عزاء ولطم؟ وهل يجوز ذلك؟ وأنا أرى في التلفاز الرجال وهم يعزون بسلاسل من حديد! ألا يعتبر ذلك من إيذاء النفس؟

ج: إظهار الحزن والجزع على مصائب أهل البيت عليهم السلام أمر راجح، ومجرد الإضرار غير الشديد بالبدن لا إشكال فيه.

س: هل يجوز التباهي والرياء في المواكب الحسينية أو الشعائر الحسينية أمام الناس؟

ج: إظهار الخير وإشاعة المعروف واطلاع الناس عليه جائز، وقد يكون راجحاً خصوصاً في الشعائر المبنيَّة على الاجتماع والتواصل، وإظهار مظلومية أهل البيت عليهم السلام لذكرهم، ونشراً لأمرهم، وتكثيراً لأنصارهم. نعم الرياء بمعنى أن يكون الغرض من العمل التقرب إلى الناس والارتفاع في نفوسهم حرام، ومبطل للعمل.

س: هل يجوز حضور مجالس الإمام الحسين عليه السلام في شهر محرم لشارب الخمر؟ كما أنه يَعقِل ما يقول، ويفهم ما يسمع، ولكنه شارب خمر؟ فهل يجوز له الحضور والاستماع واللطم على مصائب الإمام الحسين عليه السلام؟

ج: ارتكاب حرام معيَّن لا يمنع من فعل حسنات أخرى، بل قد يوجب توبته عن ارتكاب الذنوب، ولكن إذا استلزم حضور هذا الشخص هتك المجلس، أو الاستخفاف بشخصية الإمام الحسين عليه السلام لم يجز الحضور ■

سفير الحسين عليه السلام

الشيخ عبد المهدي مطر •

دوّتْ فقلبُ الخافقين مـروعُ ... بشرى يلحّنُ سَجْعَها ترْجِيْعُ
حيث ابنُ هندٍ صارعتهُ يدُ الردى ... والبغيُ سيفٌ منتضيه صريعُ
وتطلّعت بسمِ الخلافةِ بيعةٌ ... عُقِدَتْ هناك وحبلُها مقطوعُ
وغدا يزيدُ يستدرُ ضروعَها ... فآبت على وغدٍ تدرّ ضروعُ
وآبتْ على غاوٍ تَسَنّمَ دستَها ... حتى يعود وانفُه مجدوعُ
والسلطةُ النكراءُ آن لحصنِها ... ردمٌ وآن لغيمها تقشيعُ
وتطلّعت زمرُ النفوس لماجدٍ ... يُحي الثرى نجعٌ له وربيعُ
شهمٌ يقودُ العالمينَ إلى الهُدى ... متقدماً ما في خطاه رجوعُ
وإذا الأنامُ تطلّبتْ نجعَ الحيا ... فله بكل سجيةٍ ينبوعُ
أ ترى تغيبُ عن الورى شمسُ الهدى ... ولها بوجهِ ابن النبي طلوعُ

* * * * *

فتتابعت كتبُ العراقِ تَحِثّهُ ... والغدرُ بينَ سطورِها مَطْبُوعُ
قالوا: قد اخضرّ الجنابُ وأمرعت ... هذي الحقول فغيثهن مريعُ
واخضرّ عودٌ ملّ جورَ أميةٍ ... واشتاق عدلَكَ سائسٌ ورفيعُ

فـإمـارةٌ هـي عـريُ قـطـرٍ كـادحٍ ... وسـيـاسـةٌ هـي عـنـدنـا تـجـويـعُ
فـأقـدم لـشـمـلٍ شـتـتـتُـه أمـيـةٌ ... نـهـبـاً فـيـصـبـح فـيـك جـمـيـعُ
حـتـى إذا وثـق الـمـغـيـثُ بأنها ... حـسـراتُ قـطـرٍ قـلـبُـهُ مـصـدوعُ
ورأى أبـيـاً إن أمـةَ جـدّهِ ... فـيـهـا تـلاعـب مـاجـنٌ وخـلـيـعُ
فـأقـتـاده الـحـسـبُ الـرفـيـعُ وهـزّه ... شـوقـاً لـشـاهـقـةِ الـعـلـى ونـزوعُ
ودعـا فـجـمّـع لـلـكـريـهـةِ فتيةً ... مـا مَـرَّ فـي عـزمـاتـهـا تـقـريـعُ
وأدار عـيـنـاً فـي الأبـاة ومسلم ... سـيـفٌ إذا التحم الـقـتـالُ شفيعُ
فـدعـاه لـلـجـلّـى فـخـفّ لأمـره ... نـدبٌ لـداعـيـةِ الأبـاةِ سـريـعُ
نـفـسٌ مجمعةٌ الـقـوى لـم يُثْنِهَا ... خـطـرٌ ولـيـس يخيفها تـرويـعُ
فـاسـتـل عـزمـاً واسـتـقـل عزيمةً ... هـي فـي الـشـدائـدِ سيفُهُ المطبوعُ
وكـذاك أزمـع يستجيب لهولها ... بـطـلٌ لـهـزاتِ الـخـطـوبِ زمـوعُ
فـحـدت بـه نحو الـعـراقِ ركـابـهُ ... عـجـلـى كـأن أمـامـهـن قـطـيـعُ
حتى ارتماه بكوفةِ الجندِ السرى ... وافـاه عـاصٍ مـنـهـم ومـطـيـعُ
فـأتـت تبايع فـي الـكـريـهـةِ أذرعٌ ... تـهـتـز للخطب الـمـلـم جـمـوعُ
وتـصـافـقـت منها الأكـفُ بكفّهِ ... يـطـفـوا الـولا بـهـن والـتـشـيـيـعُ
أعظم بمسلم وهـو يحمل دعـوةً ... لـلـحـقِّ يـكـتـم سـرَّهـا ويـذيـعُ

فـــإذا أمـــيـــةُ بـعـد عـــزٍ بـيـعـةٌ ... مـنـقـوضـةٌ وإمـامـهـا مـخـلـوعُ
وهنالك أنبعث الـخـداعُ وحاكها ... فـي الـديـن دسـاً مـاكـرٌ وخـدوعُ
وأتـــت عـبـيـدَ الـلـه فـكـرةُ مـاكـرٍ ... يـشـري الـضـمـائـرَ خـسـةً ويبيعُ
نَـثَـرَ الـنـضـارَ فـراح يخطف لمعه ... منها الـبـصـائـر والـنـضـارُ لـمـوعُ
فـتـحـولـت وثـبـات قـطـرٍ باسل ... حـــذراً يـدنـس صفحتيه خـنـوعُ
ومـشـى الـنـفـاقُ بها فيا لـك أمة ... أوهـــت صفاتها ثـلـمـةٌ وصـــدوعُ
هـوجـاء تعنو للكعوب مناكب ... مـنـهـا وتـحـنـي لـلـسـيـاط ضـلـوعُ
فـغـدت تمد إلـى الطغاة ولاؤهـا ... ويـسـوقـهـا لـلـظـالـمـيـن خـنـوعُ
أنـى تـفـيء إلـى الـهـدايـة أنفس ... كـانـت وخـيـر أدامـهـا الـيـربـوعُ
حـتـى تـعـود وفـيـئـهـا متقسم ... لـلـنـاهـبـيـن وحـقـهـا مـمـنـوعُ
فتحولت عـن مسلم تـحـدو بها ... لـلـجـاهـلـيـة ردة ورجـــوعُ
وتـألـبـت تـبـغـي عـلـيـه وأنـــه ... حـصـن كـشـاهـقـة الـرعـان منيعُ
فـرد تـنـمـر لـيـس يـوهـن عـزمـه ... زمـــرٌ تـألـب حـولـه وجـمـوعُ
بـاتـوا وبـات الليث حيث عرينه ... فـي بيت طـوعـةِ شـاهـقٌ ممنوعُ
حتى إذا أنبلج الصباح تدافعت ... كالسيل يـزخـر مـوجـه الـمـدفـوعُ
أمـوه فاقتحموا العرين وهالهم ... لـيـثٌ إذا أقـتـرع الـكـمـاة قـريـعُ
وهنالك انتثرت رؤوس وانبرت ... أيـدٍ وفـاض مـن الـرقـابِ نجيعُ
واجـتـث زرعـــاً مـنـه آن حـصـاده ... وكـذاك يُحصدُ مـا عـلا الـمـزروعُ
ألـوى فقحّمها الكتائبَ فالتوى ... جـيـشٌ يـعـددُ بـالـعـزاءِ هـلـوعُ
مستنجدين مـن الإمـــارةِ نجدةً ... يـلـتـام فيها جمعها الـمـصـدوعُ
حتى إذا التجئوا لخدعةِ ماكرٍ ... فـيـهـا يـغـالـب غـافـل مـخـدوعُ
قالوا: الأمـان لكي يحوكوا مكرَهم ... ولـكـي يـفـيء إلـى الأمـــان وديـعُ
خانوه فانتزعوا الحسامَ وما دنوا ... لـو فـي يـديـه حـسـامـه المطبوعُ
وتـواثـبـوا حـشـداً عليه وأوثـقـوا ... صعباً على الأزمـــات ليس يطيعُ

وجـرى المحتمُ فاغتدى متشحطاً ... بـــدمِ الـــوريـــدِ ورأســـــهُ مقطوعُ
أبكيه للحلبات أخـلـى شوطَها ... مـن فـــارسٍ هـو فـي الـرعـيـلِ تليعُ
أبـكـيـه لـــلأسُـــدِ الـكـمـاة إذا غـدا ... للبيض فـــوق رؤوســـهـــا ترجيعُ
أبكيه ماضي الـعـزم لـم يخفق له ... عـنـد اصـطـكـاك المشرفية روعُ
أبـكـي وحـيـداً أسلمته سيوفهم ... لـلـمـوت فـهـو بـحـدهـن صـريـعُ
أبـكـي غـريـبـاً لـم تنهنه وجـده ... رحـــمٌ ولـــم يعطف عليه شفيعُ
أبـكـيـه نـدبـاً لـم تنحه نـــوادبٌ ... وصـــريـــعُ مـجـدٍ مـا بكته دمـــوعُ
وعـــلـــى زرودٍ رنـــــةٌ عـلـويـةٌ ... دوّى بـهـا خـطـبٌ ألـــمّ فضيعُ
أعـظـم بها فـي الـنـائـبـات فجيعةٌ ... إن الحسين بـهـا هـو المفجوعُ
فـلـقـد تـهـدم مـنـه ركـــنٌ شـامـخٌ ... وانـهـد حصنٌ فـي الـكـروبِ منيعُ
وهـــوى لـــواء كـــان حـيـن يـهـزه ... يـهـتـز قـلـب لـلـعـدو صـــدوعُ
وامـــضّ مـا يشجي حـشـاه يتيمةٌ ... حـيـرى يـعـاصـي دمـعـهـا ويطيعُ
ظنت أبـاهـا حين طـال بـه النوى ... يـدنـو بـه بـعـد الـغـيـاب رجـــوعُ
زَمَّـتْ بها خوصُ الركابِ ولم يكن ... يـقـضـى لـبـنـت مـن أبٍ تـوديـعُ
راحـــتْ تسائل عنه شجوا عمَّها ... مـــاذا يجيب وقـلـبـه الـمـصـدوعُ
نَـسِـيَ الـوحـيـدةَ وهـي فـلـذةُ كبدِه ... أم حـــال مـنـه الـــودُ فـهـو ولـــوعُ
فأجابها الـدمـعُ المرقرقُ فانثنت ... يـبـدو عليها الـيـتـمُ والتضييعُ
ويـهـون منها الخطبُ أن كفيلَها ... كـهـفٌ تـلـوذ بـه الـعـفـاةُ رفـيـعُ
عـيـن تـفـجـر لـلـيـتـيـم يسيلها ... قـلـب لأنّـــات الـيـتـيـم جـــزوعُ
جـــمُّ الـحـمـيـةِ لا تـضـيـع يتيمةٌ ... فـي جـانـبـيـه ولا الـيـتـيـم يضيعُ
فالضيعة الـكـبـرى بـيـوم يغتدى ... لـلـسـوط فـــوق مـتـونـهـا تقنيعُ
يـــوم تـحـوم بـه فـلـم تـر مـفـزعـاً ... يحمي الطريدة رمحه المشروعُ
وتـعـجُّ تهتف بالحماةِ لينهضوا ... ولـهـى تـضـج ومـا هـنـاك سميعُ
يـــومٌ يـطـيـرُ بـقـلـبِـهـا مـذهـولـةً ... ذعـــرٌ ويـذهـلُ لُـبّـهَـا تـرويـعُ

حلم العودة

قصة قصيرة

بنت العراق •

ينابيع

في زاوية من ذلك المكان الذي يدعى منـــزل! جلســـت القرفصاء مســـندة رأسها إلى الجدار وهي تحدق بالأفق من النافذة الخالية من الزجاج وراحت تفكر! هل سيعود والدها... نعم لابد أن يعود... وعند عودته تعود هي لســـابق عهدهـــا تهرول إليه راكضة وعنـــد الباب يضمها إليه ويملأ كفيها بالحلـــوى... فتجود كما تشـــاء علـــى أخوتها وتأخذ لنفســـها النصيب الأكبر... «منذ متى لم تذق الحلوى حتى انها نسيت طعمها».

سيشتري لها كتباً ودفاتر وصور لاصقة... وحقيبة جديـــدة... وتعود هي إلى مدرســـتها التـــي تركتهـــا راغمة بعـــد رحيـــل والدها... إلـــى صفها... كتبها الأنيقـــة... أقلامها الملونة وزميلاتهـــا تعود إليهن... هل يا ترى ســـبقتها إلى مرحلة أخرى!!!؟

وتضع من جديد الشـــريط الأبيض على صدرها كوسام يدل على تميزها.

سيعود... ويعيد الأمل إلى مدينتهم الحبيبة وبيتهـــم الكبيـــر... وحديقـــة المنـــزل المليئة بالأشجار المثمرة.

إلى بيتهم الذي هربوا منه في ظلمة الليل البهيم... كيف يهرب الإنســـان من بيته؟ وإذا هرب... فإلى أين يلجـــأ؟! نعم غادروه خوفاً علـــى ما تبقـــى منهم كما هربـــت العديد من الأسر بعد أن فقدت معيلها... لم يكن والدها يعبأ بالتهديد حتى أخذوه من أمام بيته عنوة... وفي الليلة التالية كانوا داخل المنزل يطالبون العائلة بالرحيل... جمعتهم الأم وخرجت بهم مخلفة المعيل والمنزل....

يعود الأب... وتعود هي إلى لعبها الكثيرة... فراشها الدافئ الوثير... ولن يمر عليها الليل وهي ترتجف من شـــدة البـــرد... تتكور على نفسها... وتلتصق بأخوتها الصغار محاولة أن تهب لهم بعض الدفء والأمان....

حتى المطر...! ما عادت تحبه... كم كانت تقفز تحت ذراته ضاحكة مستبشـــرة... مغالبة والدتها التي تنهرها لئلا تمرض... واليوم إذا

ما مطرت السماء فإنها تقضي الليل بطوله في نقل الأواني من مكان لآخر والإسراع في إفراغها حتى لا يبتل ما عندهم من الماء المتسرب من السقف النخر....

وهي بذلك ترتعد الليل بطوله... أطرافها مبللة... وأجفانها تكاد تنطبق من شدة النعاس... هنا... يلوح لها وجه والدها... فتحلم بعودته....

سيعود... ويمحو الحزن والأسى عن وجه والدتها... ويأخذهم إلى حيث الأهل والأصحاب والجيران..

ما كانت لتتهرأ ثيابها ولا يتشقق ظاهر كفها وخديها ولا تسود ساقيها... لو كان موجوداً...

لو كان قربها لانتشلها مما هي فيه... وما سمح أبداً بسيرها حافية القدمين... ولا بنقلها الماء من مكان بعيد... ولا سخرية الصغار منها ومن ملابسها...

وهم يحلون شبه منزل سقفه من جذوع الأشجار إذا حل الصيف اكتووا بحرارة الشمس اللاهبة وإذا جاء الشتاء تصبح الأيام أصعب وأشد مرارة...

لكن لابد أن يعود والدها ويرحم قلبها الصغير الذي ما عاد يحتمل ذل الجوع والخوف والضياع.

ما عاد يحتمل ألم البرد والحر.

ما عاد يحتمل نظرات الآخرين المليئة بالاشمئزاز... أو الرحمة أحياناً ما عادت تحتمل لفظة (مهجرين) تصك سمعها... وترغم نظراتها على الأطراف إلى الأرض...

تململت في مكانها... وشيئاً فشيئاً بدأت تتنازل عن أحلامها فما عادت تحلم بلعبة شعرها أشقر وحجمها كبير... ولا فراش دافئ وثير... ولا أقلام ولا كتب... ولا حتى مدرسة...

إنها الآن تحلم بشيء تأكله يمنع ما تشعر به من ألم في معدتها وضعف في ساقيها لهذا تحركت من مكانها وفي عينها شيء من الدمع.

توجهت إلى حيث والدتها منكبة على خياطة عباءات نسائية... رفعت الأم رأسها نحوها... وبدت لها بمنظر غريب وهي وسط العباءات ومتشحة بالسواد وقد غيرت الأيام حالها إلى أسوأ حال... وحفرت الدموع على خديها أخاديد...

كل شيء كالح أسود... وهي وسط هذا المنظر... عرفت أن ما تحلم به من عودة والدها حلم وردي ليس إلا ■

المواقف المبدئية من ثمار المدرسة العلوية

صعصعة بن صوحان أنموذجاً

طالب علي الشرقي •

ينابيع

المبادئ ذمام، واعتمادها يلزمه الصدق والوفاء. وللولوج إلى فضاءاتها يتطلب الوقوف على أمرين: الأول: سلامة الفطرة، وصفاء النشأة. والثاني: صحة المبادئ.

فالنور الذي يلمع على صفحة الضمير، ويعمل في جنبات الوجدان يمثل الومضة الأولى للإحساس بالوجود الواعي، والبدء بوضع البصمات، وتحديد المسارات المشرقة، سواء بالجبلة النقية أو بالتوجيه الصائب، فإذا سلم الإنسان من عوامل التشويه وانتصرت فيه إرادة العدل والصلاح، اتسمت حياته بالطمأنينة ورست في مرافئ النور ومرابع الحقيقة. ومهما تلبدت سماء أيامه بسحب الخلاف والانحراف فإن بصيرته تنسج له درعاً يتقي بها سهام الغفلة، ويتخذ من مصدر إلهامه ومبدأ يقينه جُنة تبعد عنه أسباب الضعف والتراجع.

والمواقف المبدئية المحمودة تعبر عن جواهر أخلاق العرب في الجاهلية والإسلام، تلك التي اهتم بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وقال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، والشواهد كثيرة ربما يخرجنا ذكرها عن صلب الموضوع، ولكن لا بأس من الإشارة إلى المشهور منها كموقف السموأل بن عادياء، الذي فضل الالتزام بالمبادئ على حياة أعز عزيز (ولده) حفاظاً على الخلق السامي الذي تجله العرب[1].

وإذا كانت الجاهلية على علاتها مسرحاً لكثير من التي يفخر بها أصحاب النفوس الأبية، فإن في الإسلام مواقف أكثر وأجل، فإن رسول الله الأكرم محمد صلى الله عليه وآله كان المثل الأعلى في الثبات

من اليمين: مرقد صعصعة في قرية عسكر/ البحرين.. ومسجده قرب مسجد السهلة/ النجف الأشرف

على المبدأ، وليس في سيرته موقف لا يجسد هذه الصفة الفاضلة، فهو مجمع الفضائل، ويكفي أن نشير إلى موقفه الشريف وقوله الصادق: (يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)[٣].

وعلى هذا الخلق السامي تربي أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام فكانت حياته سلسلة من الثبات على المبدأ واحترام الحق والشريعة المقدسة، حتى أنه ضحى بحقه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تمسكاً بمبدأ سلامة الدين وحفظ وحدة المسلمين. وعندما دانت له الأمة وبايعته خليفة وقائداً لدولة الإسلام، رفض مهادنة الناكثين والقاسطين والمارقين. وبهذه المنهجية سارت المدرسة العلوية.

إن تحقيق الأهداف بمبدئية، والوصول إلى واقع مثمر يحتاج إلى صلابة وإصرار مدعوم بالحجة مع التجرد من (الأنا) والتحلي بحسن الخلق. والذي وجدناه محفوظاً في عيون التاريخ، ومحفوظاً بالعناية أكثر من سواه من ثمرات النفوس الكريمة هو العمل النافع المؤطر بحسن الخلق. وهو ما رفعه إمام البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين عليه السلام إلى أعلى الدرجات بقوله المختصر النافع، الجامع المانع: (قيمة كل امرئ ما يحسنه)[٤]، ومن مصاديق الإحسان: الثبات على مبدأ الحق، والدفاع عنه.

وفي هذا المضمار يتبارى الأفذاذ من تلامذة مدرسة الوصي أبي السبطين علي أمير المؤمنين عليه السلام تدفعهم طباع طيبة وأعراق أصيلة ولدت وترعرعت في أحضان الفضيلة، وجبلت على الوفاء، فأثبتت للناس أن المعدن الثمين لا يصدأ، وأن الصلابة في إحقاق الحق من صفات المؤمنين الذين يقتدون بأميرهم الأمثل ربيب الرسالة حبيب الرسول صلى الله عليه وآله.

والحديث هنا لا يستهدف القمة بل ينشد التعرض لحسن مواقف بعض المتميزين من الأمة، وهم الصفوة من

أصحاب الدرجات العالية في صدق الإيمان الخالي من غبار الرياء والمنافع الدنيوية، يشهد لهم الخصوم قبل الأصحاب، وتخلد مآثرهم المواقف الصعبة، ولا يحد من عزيمتهم لقاء الأشداء ومصاولة الأعداء، وهم ينشدون مراتب الشهداء.

ومن خلال النظر في سيرة النخبة الطيبة، تلمح تفرداً يستحق التأمل، وإن كان لا يثير العجب، فهو نتيجة حتمية إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار التلاحم الروحي، والانصهار بشخصية القائد عليه السلام فإذا استعرضت المدونات، اهتديت إلى العشرات بل المئات من خيرة الصحابة والتابعين، ولوقفت على التفرد الذي جسده كثير منهم وبينهم من ينعتون بالأركان الأربعة (سلمان، والمقداد، وأبو ذر، وعمار) وقائد القوات العلوية مالك بن الحارث الأشتر النخعي وآخرون لا يمكن ذكر أسمائهم لكثرتهم، ونستثني منهم النموذج الذي اخترناه (صعصعة بن صوحان) الذي قدم هو وأخواه (سيحان وزيد) الصورة الرائعة في الفداء والوفاء في معركة (الجمل) مع جيش الولي أمير المؤمنين علي عليه السلام (... وكانت الراية بيد سيحان فقُتل، فأخذها زيد، فقُتل، فأخذها صعصعة ...)[٥].

وفي صعصعة قال الزركلي نقلاً عن الإصابة وتهذيب ابن عساكر ورغبة الآمل: (إنه ابن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي. من سادات عبد قيس من أهل الكوفة. كان خطيباً بليغاً عاقلاً شهد صفين مع علي عليه السلام ونفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة أوال في البحرين بأمر معاوية، فمات فيها سنة ٦٠هـ وقيل مات بالكوفة[٦].

فهو إذن خريج مدرسة البلاغة والشجاعة والمبادئ الصادقة. كان جريئاً شديد القلب عند البأس، مؤمناً بأن علياً مع الحق والحق مع علي وكان معارضاً صلباً لشخص معاوية بن أبي سفيان ولأساليب حكمه، وكثيراً ما كان يسمعه ما لا يرضيه.

قال المنقري: (عند استيلاء أهل الشام على الماء في صفين، دعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام صعصعة بن صوحان، فقال: أئت معاوية فقل...، وقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ قال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان... وقال عبد الله بن أبي سرح: ... امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة. فقال صعصة بن صوحان: إنما يمنعه الله يوم القيام الكفرة الفجرة، شربة الخمر، ضرْبَك وضرب هذا الفاسق، يعني الوليد بن عقبة. فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه، فقال معاوية: كفوا عن الرجل فإنه رسول)[٧].

ولصعصعة رضي الله عنه مواقف مع معاوية شخصياً نقل منها أبو علي القالي، فقال: (حدثنا الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال: دخل صعصعة بن صوحان على معاوية أو ما دخل عليه...[٨] ودارت محاورة حول نسب صعصعة، فأظهر صعصعة قدرة فائقة في الإحاطة بنسبه، وذكر فضائل قبيلته وكريم خصال آله، وكان فصيحاً بليغاً متمكناً، أثار إعجاب معاوية سواء بفطنته أو شجاعته، وما عرف عنه ووصل إلى معاوية خبره، مما دفع معاوية إلى أن يتظاهر بالتألم من المصير الذي آل إليه، وما يترتب عليه، فقال: (أما والله لقد كان يسوؤني أن أراك أسيراً، قال: وأنا

والله لقد كان يسوؤني أن أراك أميراً. ثم خرج، فبعث إليه فرُد، ووصله وأكرمه)[9].

(وحين قدم معاوية إلى الكوفة دخل عليه رجال من أصحاب علي عليه السلام وكان الحسن عليه السلام قد أخذ الأمان لرجال منهم وكان فيهم صعصعة، فلما دخل عليه صعصعة قال معاوية لصعصعة: أما والله إني كنت لأبغض أن تدخل في أماني. قال: وأنا والله أبغض أن أسميك بهذا الاسم، ثم سلم عليه بالخلافة. فقال معاوية: إن كنت صادقاً فاصعد المنبر والعن علياً. قال: فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، أتيتكم من عند رجل قدَّم شره وآخر خيره، وأنه أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله. فضج أهل المسجد بآمين. فلما رجع إليه فأخبره بما قال: قال: لا والله ما عنيت غيري، ارجع حتى تسميه باسمه. فرجع وصعد المنبر ثم قال: أيها الناس إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب فالعنوا من لعن علي بن أبي طالب. قال: فضجوا بآمين. قال: فلما خبر معاوية قال: لا والله ما عنى غيري. أخرجوه لا يساكنني في بلد. فأخرجوه)[10].

وقال يوماً لمعاوية: كيف؟ وقد عطلت السنة وأخفرت الذمة، فصارت عشواء مطلخة في دهياء مدلهمة قد استوعبتها الأحداث وتمكنت منها الأنكاث[11].

مثل هذه التصرفات المليئة بالتحدي لا تقابل إلا بالحكم الصارم الفوري عند كثير من الحكام، فما الذي جعل معاوية يصفح عن صعصعة؟!

لم يكن موقف معاوية هذا جديداً أو وحيداً، بل طالما تعرض لمثل هذه المواقف من مناوئيه، وكثيراً ما كان يسلك نفس السلوك الذي سلكه مع صعصعة، ولم يتخذ معهم موقفاً خشناً، بل كان يجزل لهم العطاء، ويتظاهر بالتسامح، أما ليغلق باباً يهب منه دخان خانق في وقت هو بحاجة إلى المداراة والمداجاة، أو ليكسب جانب مؤيديه وأنصاره الذين يسمونه الداهية، والحقيقة أنه قناص فرص، وحين لا تسعفه قدراته الذاتية يلجأ إلى أرباب المكر والحيلة يشتري منهم الرأي والتدبير. أما موقف صعصعة فلا يختلف عن موقف المجاهد في ساحة المنازلة ينتظر الفوز بالشهادة، ولا يجد في الخنوع والتراجع ثمناً لكرامته ومنزلته وإيمانه[12] ■

---

(١) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مادة الأبلق، ٧٥/١، دار صادر ١٩٧٧.

(٢) المصدر السابق، ٣٢٦/٢.

(٣) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١٦٨/٣، مط الاستقامة بمصر.

(٤) الطبقات، ابن سعد، ١٥٤/٦، مصورة عن طبعة ليدن، مؤسسة النصر، طهران.

(٥) الأعلام، خير الدين الزركلي، ٢٩٤/٣، ط٣.

(٦) وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، من ١٦٠-١٦١، مط المدني، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

(٧) كتاب الأمالي، أب علي القالي، ٢٣٠/٢-٢٣١، منشورات المكتب الإسلامي.

(٨) المصدر السابق.

(٩) رجال الكشي، ص٧٠-٧١، مؤسسة النشر الإسلامي، رقم ط١، ١٤٢٧هـ.

(١٠) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٤٢٥/٦، روضة الشام، ١٣٢٩هـ. المطلخمات: الشدائد، المدلهمة: المظلمة، الأنكاث: ما نقض من الأكسية ليغزل ثانية.
انظر: المنجد في اللغة، لويس معلوف، الطبعة ٢٣.

(١١) خواطر ومقتبسان في الدين والأدب والحياة، طالب علي الشرقي، مخطوط.

الوحيد البهبهاني

أستاذ المجتهدين

د. محمد عبد الحسن الغراوي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

إن هذا التراث العلمي يعبر عن جهود ضخمة بذلتها عقول كبيرة وقلوب أتعبت العيون والأبدان وسهرت الليالي وضحت بالكثير من الملذات الدنيوية، وهاجرت هنا وهناك طلباً للعلم، كل ذلك طلباً لله وخدمة لتراث أهل البيت عليهم السلام.

لقد علم الوحيد البهبهاني طلاب مدرسته على أمرين هما:

الإبداع وقوة المناظرة والمناقشة، على أن يتم هذان الأمران ضمن الحدود المعقولة والمشروعة ولا تتجاوزها لمجرد الرغبة في الإبداع والمناقشة حتى لو تعتمد على أسس معقولة ومشروعة وقواعد مسلمة وأصول موضوعية، والتي منها:

مرقد الشيخ الوحيد في الرواق المطل على مراقد الش

عدم انحصار البحث في المسألة بالتأمل العقلي البحت، بل لابد أن تكون نظراته ناشئة من إحاطته بالأقوال والأدلة في المسألة، وأن تكون نظراته للنصوص خاصة نظرة عرفية وغيرها من العناصر التي يلزم توفرها في الدراسة العلمية المعتبرة.

الميزة التي تتميز بها كتابات الوحيد أنها تربي الطالب والقارئ وتعوده على الفهم العميق للروايات وأقوال العلماء وتقييمها ونقدها دون الشعور بالتسليم المطلق تجاهها.

فحين يقرأ الطالب كتابات الوحيد فإنه يعيش خلالها أجواء علمية ثرة، وعالماً يزخر بالأدلة والآراء والنقاشات، وبعد هذه الرحلة العلمية الطويلة والمضنية والملذة في آن واحد، يخرج وهو يشعر فجأة بأنه تمليك القدرة التي تمكنه من فهم الأقوال والروايات والبحوث والآراء وتقييمها.

فقد وصل فكر الوحيد ومارس تأثيره في حركة النهوض في علم أصول الفقه بسبب تحرره وتجرده من دائرة (الذهنية) التي سببت أزمة الفكر في العصور الحديثة. لقد تحرر فكر الوحيد البهبهاني من هذه النزعة اللاتاريخية وكانت مدرسة كربلاء التي ينتمي إليها عاملاً مساعداً حيث استطاع أن يتحمل قسوة المواجهة ولكن بعد أن انتزع اعترافاً بمكانته العلمية الرفيعة ومؤهلاته.

إن فكر الوحيد البهبهاني وإن ظهر في فترة زمنية معلومة إلا أنه لا يزال فكراً حياً متجدداً، وهو في بعض الساحات

كان فكراً سابقاً لأوانه. فهو أستاذ الكل، العلامة، المجدد، محمد باقر بن محمد أكمل المشهور بالوحيد البهبهاني. وقد ذكر أغا بزرك الطهراني في حديثه عن نسبه أنه ينتهي إلى عشر وسائط من طريق أبيه إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ)، ومن جهة أمه إلى المجلسي الأول محمد تقي (ت١٠٧٠هـ)[١].

ومن هنا نراه قد عبر في مؤلفاته عن المجلسي الأول بـ(الجد)، وعن المجلسي الثاني محمد باقر (ت١١١١هـ) بـ(الخال)[٢]. وعلى هذا فمترجمنا نشأ وترعرع وانحدر من أبرز وأعرق البيوتات العلمية في الطائفة العلمية، وعرف أيضاً بـ(المحقق الثالث)، و(العلامة الثاني).

وأما لقب الأستاذ الأكبر فهو من الألقاب التي عرف بها عند الفقهاء والعلماء المتأخرين، وكانوا يلقبونه بـ(الآقا) و(الآغا) وهي كلمة تركية تعني باللغة الفارسية السيد، المولى، الكبير[٣]، وقد لحق لفظ (الآقا) رجالات هذه السلسلة من الأسرة لشهرة الوحيد البهبهاني به[٤].

ومن ألقابه (المؤسس البهبهاني) ولعل السر الذي دعا إلى تلقيب الوحيد البهبهاني بـ(المؤسس) هو أن البحوث ومقدماتها من أصول وغيره، وإن كانت قد هذبتها أقلام، وهي نتاج أفكار وأفهام من ذي قبل، لكنها لم تكن ذات أساليب فنية حديثة، ولم يكن سير الاستدلال منتهجاً نهجه الطبيعي، فكانت الأفكار الثمينة مبعثرة في صفحات خطتها أقلام كريمة، ثم جاء الوحيد البهبهاني فكرس جهده في نظم هذه الأفكار وترتيبها في أحسن ترتيب وتهذيبها في أجمل تهذيب فتناول البحوث العلمية وأفرغها في قوالب حكمية وعرض لها بأساليب رضية وزاد عليها أكثر من الزيادة.

والخلاصة أن الوحيد البهبهاني كان لا يركز فكره في موضوع إلا وقد أفرغه في قالب قشيب، فلم يدع فكرة إلا وهو صائغها فإن كانت لها سابقة نقحها وهذبها وزاد عليها وطرح حشوها حتى يخيل أنها شيء جديد، ولا غرو في ذلك بعد أن كانت الفكرة الأصولية مبعثرة مشوهة قبل ذلك.

والغريب أن الوحيد البهبهاني أتى من بنات أفكاره بالشيء الكثير مما لم تكن لها سابقة في عالم الوجود، الأمر الذي يدل على عظم أفكاره الصائبة في تهذيب القواعد العلمية وتحرير المسائل الأصولية وتفريعاتها في قوالب رصينة قد لا تشبه أوضاعها السابقة.

وقد عود طلابه وطلاب مدرسته على الفهم العميق والناقد، وبعث فيهم روح التقييم والاجتهاد، ففي عصره كان قد تم تأسيس جديد لعلم الأصول، وأما قبل ذلك العصر فإن عالم الفقه والفقاهة كان تحت سلطة ونفوذ الأخباريين[٥].

لقد استطاع الوحيد البهبهاني أن يسجل تفوقاً ساحقاً على الأخباريين ويجهز على آرائهم ويعيد الحياة إلى جسد الفقه والأصول ليحتل مكانته وقيمته الحقيقية. ولا شك أنه بكفاحه المتواصل في هذا المجال وإعداده لطلبة وتلاميذ كبار أتحف بهم العالم الإسلامي يعد في الحقيقة رئيس جميع الأصوليين وكبيرهم طيلة القرنين الأخيرين ولذا نجد أن كل المجتهدين المعاصرين إما من تلامذته مباشرة أو بالواسطة.

ولقد حول النقد الذي أورده الأخباريين ضد الأصوليين إلى عامل من عوامل تثبيت الفكر الأصولي وتقوية مداركه ومستنداته،

لأن ذلك النقد استدعى إحكام الأسس العامة للمنهج الأصولي وصياغة قواعد الأصول التي تبناها الفقهاء الأصوليين صياغة علمية برهانية بعد أن اعتادوا على عرض القواعد الأصولية على أنها مسلمات لا تحتاج إلى برهنة، فقد انبروا للدفاع عنها بكل جد، ودفعوا الشبهات المثارة ضدهم، أي ضد خيارهم العلمي، ووجودهم الفكري الذي يدينون له بالطريقة، والذي يتميزون به عما سواهم من اتجاهات فكرية.

وقد اختلف في تاريخ ولادته، فقد ذكرت في ولادته عدة تواريخ هي: ١١١٦هـ، ١١١٧هـ، ١١١٨هـ[٦].

وفي هذا المجال أنشد البروجردي مؤرخاً[٧]:

والبهبهاني معلم البشر
مجدد المذهب في الثاني عشر
أزاح كل شبهة وريب
فبان للمذهب كنه الغيب

ولفظة (كنه الغيب) يرمز إلى العدد ١١١٨[٨].

ولد الوحيد في أصفهان، ولكن عرف بالبهبهاني ونسب إلى بهبهان لطول إقامته في تلك البلدة.

أما من حيث الأسرة فقد انحدر الوحيد من أسرة عريقة ذات نسب شريف، فأبوه محمد أكمل بن محمد صالح الإصفهاني من أحفاد الشيخ المفيد وكان من كبار علماء الطائفة وأما أمه فهي سيدة محترمة ذات نسب رفيع، فهي حفيدة الفقيه الكبير محمد صالح المازندراني صهر المجلسي الأول.

بعد هجرته من أصفهان، دخل الوحيد البهبهاني النجف الأشرف وأقام فيها. وقد هاجر إليها وهو في عنفوان شبابه (في عمر الثامنة عشرة) مكباً على الدرس جاداً في تحصيل العلم والمعرفة (أعم من العلوم العقلية والنقلية) ونظراً لما أوتي من ذكاء خارق استطاع أن يطوي مدارج الرقي بسرعة.

فقد درس الفقه والأصول عند السيد صدر الدين الرضوي القمي، وفي الفلسفة والحكمة درس على يد السيد محمد الطباطبائي البروجردي، وكان في مرحلة سابقة قد درس علوماً عدة في مرحلة المقدمات على يد أبيه وعمته الفاضلة.

أما وفاته ومدة حياته فقد اختلفت فيها الأقوال: فقال البعض أنه عمر ثلاثاً وتسعين عاماً، وقال آخرون تسعين عاماً، وقال فريق ثالث قرابة التسعين، أما سنة وفاته فقد ذكروا عدة تواريخ وهي: ١٢٠٥هـ، ١٢٠٦هـ، ١٢٠٨هـ.

ناهز عمره التسعين عاماً، وتوفي في ٢٩ شوال ١٢٠٥هـ، دفن في كربلاء في رواق أبي عبد الله الحسين عليه السلام عند أقدام الشهداء ■

---

(١) الطهراني، آغابزرك، الكرام البررة، ١٧٣/١.
(٢) البهباني، محمد باقر، الحاشية على مدارك الأحكام، ١٩/١ المقدمة.
(٣) البهبهاني، أحمد محمد علي، مرآة الأحوال، ١٣٠/١.
(٤) خرمشاهي، محمد علي، دائرة معارف تشيع، ١٣٥/١.
(٥) التنكابني، محمد بن سليمان، تذكرة العلماء، ١٣٧.
(٦) الطهراني، آغابزرك، مصفى المقال في مضفي علم الرجال، ص٦٦، وقد ذكر القمي، عباس، في الفوائد الرضوية، ٦٥٦/٢ أنه ولد في حدود ١١١٨هـ في مدينة أصفهان.
(٧) مدرس، محمد علي، ريحانة الأدب، ٥١/١.
(٨) القمي، عباس، الكنى والألقاب، ١٠٩/٢.

المحدث الجليل

سدير بن حكيم الصيرفي

" عصيدة بكل لون "

علي الفحام •

ينابيع

يعد سدير الصيرفي من كبار المحدثين الذين اختزنت حياتهم العديد من المحطات التي تستحق الوقوف سواء على مستوى الموروث الحديثي أم على المستوى العقائدي والتاريخي والعلاقة مع أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وفي البحث عن حياة سدير، تواجه الباحث مشكلة تستوعب بعمومها وشموليتها معظم رواة الشيعة ومحدثيهم وخصوصاً أصحاب الأئمة عليهم السلام تتمثل بندرة المصادر والمعلومات التاريخية عن تفاصيل حياة أولئك الرجال الأفذاذ الذين نقلوا تراث آل محمد وأوصلوا لنا علومهم بمداد من دم ودم كالمداد.

سدير.. المحدث الكوفي

هو سدير بن حُكيم بن صُهيب الصيرفي، يكنى أبا الفضل، كوفي، مولى. ذكره الشيخ في رجاله بهذا العنوان في أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام، وفي أصحاب الباقر عليه السلام بعنوان سدير بن حكيم الصيرفي، وفي أصحاب الصادق عليه السلام، وهو والد حنان بن سدير (أعيان الشيعة ٥\١٨٥).

ينتمي سدير إلى عائلة عرفت برواية الحديث، فجده (صُهيب) أدرك أمير المؤمنين عليه السلام وروى عنه، وأبوه (حُكيم بن صُهيب) له رواية عن بعض المخلصين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كأبي سعيد عقيصا، ومثيم التمار رضي الله عنهما وهو أحد السبعة الذين دفنوا ميثم التمار، ويكفي سديراً أنه نشأ في أزقة الكوفة ومساجدها حيث تزدهر الرواية ودروس العلم.

كان أبوه حُكيم مولى لبني ضبة، وكان صيرفياً، وقد أخذ سدير الصيرفة وراثة عن أبيه فكان عنده محل صيرفة في سوق الكوفة، ويبدو أن سدير وعائلته لم تكن قد

اصطبغت بالولاء الشيعي بشكل ملحوظ حتى نهاية العقد الهجري السادس، وإنما جذبها نحو أهل البيت عليهم السلام الميل العاطفي العام الذي جذب غيرهم من الناس دون الدافع العقائدي كما هو الحال مع المخلصين من أصحاب أمير المؤمنين ومن بعده ولديه الحسنين سلام الله عليهم أجمعين، ولذلك لم يكن لسدير وأبيه صلة ومعرفة بالإمام السجاد عليه السلام الذي نشأ وترعرع في المدينة ولم يكن الكوفيون على معرفة وثيقة بالإمام بعد أن تسلم الإمامة من أبيه الحسين الشهيد عليه السلام، يحدثنا سدير الصيرفي عن أول لقاء جمعه هو وأبوه وجده وعمه مع الإمام علي بن الحسين عليه السلام في حمام بالمدينة المنورة إذ يقول: (دخلت أنا وأبي وجدي وعمي حماماً بالمدينة فإذا رجل في بيت المسلخ فقال لنا: ممن القوم؟ فقلنا: من أهل العراق فقال: وأي العراق؟ قلنا: كوفيون، فقال: مرحبا بكم يا أهل الكوفة أنتم الشعار دون الدثار ثم قال: ما يمنعكم من الأزُر فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عورة المؤمن على المؤمن حرام، قال: فبعث إلى أبي كرباسة فشقها بأربعة، ثم أخذ كل واحد منا واحداً ثم دخلنا فيها فلما كنا في البيت الحار صمد لجدي (أي قصده) فقال: يا كهل ما يمنعك من الخضاب؟ فقال له جدي: أدركت من هو خير مني ومنك لا يختضب، فغضب لذلك حتى عرفنا غضبه في الحمام، قال: ومن ذلك الذي هو خير مني؟ فقال [جدي]: «أدركت علي بن أبي طالب عليه السلام وهو لا يختضب، فنكس رأسه وتصاب عرقاً فقال: صدقت وبررت ثم قال: يا كهل إن تختضب فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد خضب وهو خير من علي عليه السلام، وإن تترك فلك بعلي سنة، قال [سدير]: فلما خرجنا من الحمام سألنا عن الرجل فإذا هو علي بن الحسين عليهما السلام ومعه ابنه محمد بن علي) (الكافي ٦\٤٩٧).

إن المتابع المتفحص في تاريخ التشيع يلمح بوضوح أن انتقال الإمام الحسن عليه السلام (ت٤٩ هـ) من الكوفة ورجوعه إلى مدينة جده صلى الله عليه وآله قد ساهم في انكفاء الحالة الشيعية الكوفية خلال عشرين عاماً حتى واقعة الطف، حيث كان المخلصون من الشيعة إما قتلوا في كربلاء أو غيبوا في ظلمات السجون، وهو ما أفرز ابتعاد الموالين في حواضر العراق عن الاتصال المباشر بالإمام السجاد عليه السلام (ت٩٥ هـ) خصوصاً ممن هم في سن الشباب، وعلى هذا ليس غريباً أن سدير وأباه وجده وعمه لم يكونوا يعرفون الإمام السجاد عليه السلام كحال كثير من الموالين إبان تلك الحقبة الحرجة من تاريخ التشيع.

علاقته بالإمامين الصادقين عليهما السلام

ويبدو أن هذا اللقاء أسس لعلاقة سدير بالأئمة عليهم السلام، وفتح صفحة جديدة في حياة سدير عنوانها صدق الولاء وأصالة المنهج في سيرته القائمة على أساس الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم، ورغم أن سدير يصنف ضمن أصحاب الإمام السجاد عليه السلام إلا أن كتب الحديث ومصادر السيرة تخلو تقريباً من روايته عن الإمام عليه السلام باستثناء اللقاء المذكور الذي يبدو أنه كان في أواسط حياة الإمام السجاد عليه السلام أو نهاياتها.

ونستطيع أن نقول أن الانطلاقة الحقيقية لعلاقة سدير مع الأئمة عليهم السلام كانت مع الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام (ت١١٤ هـ)، حيث حرص سدير أن يحضر عند الإمام عليه السلام مصطحباً معه ابنه (حنان)، وكأن الإمام الباقر عليه السلام قد لمس فيه صفاء

السريرة فأخذ يعلمه أصول التشيع وأحكام الدين، ويحدثنا سدير أن الإمام الباقر عليه السلام طلب منه أن يعرض عقيدته عليه ليقوم اعوجاجها، أكان تقصيراً أم إغراقاً وغلواً، ويبدو أن هذا اللقاء التعريفي كان في بواكير اتصال سدير بالإمام عليه السلام، يقول سدير: (قال أبو جعفر عليه السلام، ومعنا ابني: يا سدير، أذكر لنا أمرك الذي أنت عليه فإن كان فيه اغراق كففناك عنه، وإن كان مقصراً أرشدناك، قال [سدير]: فذهبت أن أتكلم فقال أبو جعفر عليه السلام: أمسك حتى أكفيك، إن العلم الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وآله عند علي عليه السلام، من عرفه كان مؤمناً ومن جحده كان كافراً، ثم كان من بعده الحسن عليه السلام. قلتُ: كيف يكون بذلك المنزلة، وقد كان منه ما كان دفعها إلى معاوية؟ فقال: اسكت، فإنه أعلم بما صنع، لولا ما صنع لكان أمر عظيم) (علل الشرائع ١\٢١٠).

يتضح من الرواية أن سدير لم يكن ـ في ذلك الوقت ـ عارفاً بحق ومقام أهل البيت عليهم السلام كما يجب أن تكون المعرفة، وكان يعتقد أن الإمام الحسن عليه السلام لم يصب الحق عندما وقع الصلح مع معاوية بن أبي سفيان، وقد نهره الإمام الباقر عليه السلام وأوضح له أن الإمام أعلم بما يصنع، وليس للمؤمن أن يتقدم إمامه أو يتأخر عنه في قول أو فعل.

إن هذه المعرفة السطحية التي وسمت عقلية سدير لم تكن غريبة على مجتمع ما زال بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام يرقد في ظلمات الجهل، وضعف العقيدة، وقلة المعرفة، عندما عملت الماكنة الإعلامية الأموية على تصدير ثقافة مشبوهة تلاقت مع سطحية المعرفة التي عاشتها الأمة كل الأمة منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وتسلم التيار الانقلابي زمام الأمور بعد أن أزاحوا أهل البيت عليهم السلام من مناصبهم، وربما نعود للتذكير بهذه الرواية عندما نتكلم عن الصفات النفسية لشخصية سدير وأثرها في نظرته للأحداث.

وفي رواية أخرى نرى أن سدير الصيرفي يسأل الإمام الباقر عليه السلام عن رأيه في الشيخين (الخليفة الأول والثاني)، ويبدو أن الدعاية الأموية كانت مؤثرة في السواد الأعظم من الكوفيين بحيث اختلط عليهم الأمر، واشتبه فيهم الرأي حتى باتوا يسألون في مسلمات يعرفها صبيان الشيعة، يقول سدير: (سألت أبا جعفر عليه السلام عنهما فقال: يا أبا الفضل ما تسألني عنهما، فوالله ما مات منا ميت قط إلا ساخطاً عليهما، وما منا اليوم إلا ساخطاً عليهما، يوصي بذلك الكبير منا الصغير، إنهما ظلمانا حقنا، ومنعانا فيئنا، وكانا أول من ركب أعناقنا وبثقا علينا بثقاً (أي خرقاً) في الإسلام لا يُسكَّرُ (أي لا يُسَد) أبداً حتى يقوم قائمنا) (الكافي ٨\٢٤٥).

ونجد في رواية ثالثة أن سديراً استغرب من وجود تشظي في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام في الكوفة على خلفية الجدل العقائدي وظهور المذاهب الفاسدة كالكيسانية والبترية، وعلى خلفية الموقف السياسي المتأزم في حاضرة الكوفة، فقد روى الشيخ الكليني عن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض، قال: وما أنت وذاك، إنما كلف الله الناس ثلاثة معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما يرد عليهم، والرد عليهم فيما اختلفوا فيه.

اجتاز سدير مرحلة إعداد عقائدي في عهد الإمام الباقر عليه السلام (ت١١٤ هـ) استعاد

خلالها بمساعدة الإمام جانباً من الوعي الشيعي المستباح في الثقافة الكوفية آنذاك، وهذا الإعداد في عهد الإمام الباقر عليه السلام أسس لعلاقة وثيقة الصلة بين سدير وبين الإمام الصادق عليه السلام حتى كان من المقربين من أصحابه وكان يحرص على السفر إلى المدينة المنورة والمكوث فيها أياماً يستمع لحديث الإمام الصادق عليه السلام لينشره بين رواة الكوفة، وهكذا توسعت المنظومة المعرفية لسدير وأصبح من كبار أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ولعله من خواصه وأصحاب سره الذين يعتمد الإمام عليهم ليستودعهم سر آل محمد.

وهذه نماذج من علاقة سدير الصيرفي مع الإمامين الصادقين عليهما السلام:

أولاً: كان وكيلاً لأهل الكوفة لعرض مسائلهم واستفتاءاتهم على الإمام الصادق عليه السلام.

وهذا يتضح مما رواه الصفار في بصائر الدرجات ص٤٦ عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن سدير الصيرفي قال: كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام أعرض عليه مسائل قد أعطانيها أصحابنا..، ويروي شيخنا الكليني في الكافي ١١٧\٥ عن حنان بن سدير قال: كانت امرأة معنا في الحي ولها جارية نائحة فجاءت إلى أبي فقالت: يا عم أنت تعلم أن معيشتي من الله عز وجل ثم من هذه الجارية النائحة وقد أحببت أن تسأل أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فإن كان حلالاً وإلا بعتها وأكلت من ثمنها حتى يأتي الله بالفرج، فقال لها أبي: والله إني لأعظم أبا عبد الله عليه السلام أن أسأله عن هذه المسألة، قال: فلما قدمنا عليه أخبرته أنا بذلك فقال أبو عبد الله عليه السلام: أتشارط؟ قلت: والله ما أدري تشارط أم لا، فقال: قل لها: لا تشارط وتقبل ما أعطيت.

ثانياً: كان الإمام الباقر عليه السلام يكلفه بقضاء بعض حوائجه.

يروي الشيخ الصفار في بصائر الدرجات ١١٦ عن إبراهيم بن أبي البلاد عن سدير الصيرفي قال: أوصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة، فبينا أنا في فج الروحاء على راحلتي إذا إنسان يلوى بثوبه، فملت إليه وظننت انه عطشان فناولته الإداوة، فقال: لا حاجة لي بها ثم ناولني كتابا طينه رطب، فلما نظرت إلى ختمه إذا هو خاتم أبي جعفر عليه السلام، فقلت له: متى عهدك بصاحب الكتاب؟ قال: الساعة، فإذا فيه أشياء يأمرني بها، ثم التفت فإذا ليس عندي أحد، قال فقدم أبو جعفر عليه السلام فلقيته فقلت له: جعلت فداك رجل أتاني بكتاب وطينه رطب قال: يا سدير إن لنا خدماً من الجن فإذا أردنا السرعة بعثناهم.

ويروي الشيخ الكليني في الكافي ٥٢٩\٥ أن الإمام الباقر عليه السلام طلب منه أن يخطب له امرأة من نساء أهل الكوفة ذات جمال وحسن تبعل.

ثالثاً: كان الإمام الصادق عليه السلام يحثه على زيارة الإمام الحسين عليه السلام وعمل الخير.

في كامل الزيارات ٤١٥ عن يونس بن عبد الرحمان، عن حنان بن سدير، عن أبيه في حديث طويل، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سدير وما عليك أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرات وفي كل يوم مرة، قلت: جعلت فداك إن بيننا وبينه فراسخ كثيرة، فقال: تصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنة ويسرة، ثم ترفع رأسك إلى السماء، ثم تتحرى نحو قبر الحسين عليه السلام، ثم تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته. يكتب لك زورة، والزورة حجة

وعمرة، قال سدير: فربما فعلته في النهار أكثر من عشرين مرة.

رابعاً: مكانته عند الإمامين عليهما السلام.

يظهر من الروايات أن سدير كان يحظى باحترام ومكانة خاصة عند الإمامين الصادقين عليهما السلام، وكان الأئمة عليهم السلام يرغبونه بعمل الخير ويحثونه على أن حسن الولاية لأهل البيت وشيعتهم ويوعدونه بعظيم الأجر في الآخرة.

والروايات التالية تلقي بعض الضوء على هذا الموضوع:

* عن الحسين ابن علوان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ـ وعنده سدير ـ: (إن الله إذا أحب عبداً غته بالبلاء غتاً، وإنا وإياكم يا سدير لنصبح به ونمسي) (الكافي ٢\٢٥٣).

* عن الخطاب الكوفي ومصعب بن عبد الله الكوفي قالا: (دخل سدير الصيرفي على أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من أصحابه، فقال له: يا سدير لا تزال شيعتنا مرعبين، محفوظين، مستورين، معصومين، ما أحسنوا النظر لأنفسهم فيما بينهم وبين خالقهم، وصحت نياتهم لأئمتهم، وبروا إخوانهم، فعطفوا على ضعيفهم، وتصدقوا على ذوي الفاقة منهم...) (المحاسن ١\١٣٩).

* عن الحسن بن محبوب عن سدير الصيرفي قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكروا عنده المؤمن، فالتفت إلي فقال: يا أبا الفضل ألا أحدثك بحال المؤمن عند الله؟ قلت: بلى، فحدثني قال: إذا قبض الله روح المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا: ربنا عبدك فلان ونعم العبد كان لك سريعاً في طاعتك، بطيئاً في معصيتك، وقد قبضته إليك، فماذا تأمرنا من بعده؟ فيقول الله لهما: إهبطا إلى الدنيا، وكونا عند قبر عبدي فاحمداني، وسبحاني، وهللاني، وكبراني واكتبا ذلك لعبدي حتى أبعثه من قبره...) والحديث طويل اختصرناه (ثواب الأعمال ٢٠٠).

معالم الشخصية النفسية لسدير

يظهر من المرويات والآثار أن سديراً كان شخصية تواقة لرؤية انتصار الحق وتمكين الأئمة عليهم السلام في الأرض لإقامة الدين والعدل واقتلاع الظلم والجور وإماتة البدع التي نشرها حكام الضلال وهم بنو أمية آنذاك ومن بعدهم بنو العباس، والذي يتتبع الآثار المروية عن الصادقين عليهما السلام يجد أن الخط التربوي الذي انتهجه الأئمة عليهم السلام كان يتجه نحو تنشئة الحالة الشيعية الفتية على ما يمكن تسميته (ثقافة التسليم) وهي ثقافة تنبع من عمق القرآن الكريم، تعتمد على ترسيخ مفهوم التسليم والطاعة لولاة الأمر الذين هم خلفاء الله العاملين بأمر الله لا بأمر الناس، الناطقين عن الله لا عن أنفسهم وآرائهم، الذين أوجب الله تعالى طاعتهم والرد إليهم، ومن هنا لم تكن جهود الأئمة منصبة في تصعيد الحماس والحمية بين الأتباع والمخلصين من شيعتهم لأن الحمية إذا لم تكن مؤتمرة بأمر الله تعالى، لم يكن لها نفع، وكان فسادها أكبر وشرها أعظم، لقد أضحت مفاهيم (الصبر) و(انتظار أمر الله) أو ما تسميه الروايات (الفرج)، وتصعيد مستوى الاستعداد للطاعة، ورفض الأنظمة الظالمة، وترسيخ الإخلاص لله، والاستعداد لمواجهة الفتن ومحطات الامتحان والاختبار، أضحت هي السمات البارزة للثقافة التي نشأ عليها الجيل الأوسط من أصحاب الأئمة عليهم السلام، ولم يكن سدير ـ و هو متأثر بعصر الصراعات السياسية خصوصاً في العراق ـ قد تشرب

هذه المفاهيم فكانت له مواقف يحث فيها الإمام الصادق عليه السلام على الخروج والنهوض بالأمر ظناً منه أن القضية لا تعدو كونها انقلاباً سياسياً يمكن أن يحصل إذا توافر له المال والرجال كما بقية الانقلابات التي أطاحت عواصفها بعروش العراق والشام، وقد قرأنا قبل قليل كيف اعترض سدير على صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية فنهره الإمام الباقر عليه السلام وقال: (إنه أعلم بما صنع).

روى الشيخ الكليني في الكافي ٢\٢٤٢ عن عبد الله ابن حماد الأنصاري، عن سدير الصيرفي قال: (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: والله ما يسعك القعود، فقال: ولم يا سدير؟ قلت: لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك والله لو كان لأمير المؤمنين عليه السلام ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي، فقال: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قلت: مائة ألف، قال: مائة ألف؟ قلت: نعم، ومائتي ألف قال: مائتي ألف؟ قلت: نعم ونصف الدنيا قال: فسكت عني ثم قال: يخف عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع قلت: نعم.. إلى أن قال: فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء، فقال عليه السلام: (والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود، ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر).

ولهذا كان الإمام الصادق عليه السلام يحرص على تربية سدير وأمثاله بالثقافة التي أشرنا إليها فقال له في حديث آخر: (يا سدير ألزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه واسكن ما سكن الليل والنهار فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك) (الكافي ٨\٢٦٥).

وهذا الأمر بالسكون وانتظار الأمر ليس مختصاً بسدير كما توهم البعض بل هي حالة عممها أهل البيت عليهم السلام في شيعتهم وأصبحت ثقافة راسخة في الأجيال اللاحقة.

وكان (سدير الصيرفي) و (عبد السلام بن عبد الرحمن الأزدي) مع جماعة من الشيعة قد بعثوا برسالة للإمام الصادق عليه السلام حين ظهرت المسودة في الكوفة (وهم أتباع أبي مسلم الخراساني) بحدود سنة ١٣١ للهجرة وطلبوا من الإمام أن يسمح لهم بالسيطرة على الكوفة مستغلين حالة الفراغ السياسي، فكان موقف الإمام شديداً مع تلك الرسالة لأنها لا ترسخ إلا ثقافة الاستعجال في قبالة (الصبر)، و ثقافة عدم الانضباط في قبالة (التسليم) التي أرادها أهل البيت عليهم السلام، ويبدو أن هذا الحراك السياسي لهؤلاء الشيعة أوقع سديراً وعبد السلام في سجون السلطة العباسية بعد أن اشتد عودها وقويت شوكتها في الكوفة، وقد دعا لهما الإمام الصادق عليه السلام ففرج عنهما، روى الكشي في رجاله بإسناده عن بكر بن محمد الأزدي، قال: وزعم لي زيد الشحام، قال: إني لأطوف حول الكعبة وكفي في كفّ أبي عبد الله عليه السلام ودموعه تجري على خديه، فقال: يا شحام ما رأيت ما صنع ربي إلي، ثم بكى ودعا، ثم قال لي: (يا شحام إني طلبت إلى الهي في سدير وعبد السلام بن عبد الرحمن وكانا في السجن فوهبهما لي وخلي سبيلهما) (اختيار معرفة الرجال ٢\٧٤٠).

ويرى بعض المحققين أن كلمة (سدير) المذكورة في الروايتين مصحفة من (شديد) وهو بن عبد الرحمن الأزدي شقيق عبد السلام، وكيفما كان فكل الاحتمالات تبقى قائمة.

سدير.. عصيدة بكل لون

من الروايات المشهورة عن سدير ما رواه الكشي في رجاله عن محمد بن عذافر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذُكر عنده سدير فقال: (سدير عصيدة بكل لون) (اختيار معرفة الرجال ٢\٤٦٩).

وقد اختلف الرجاليون وأصحاب التراجم في معنى هذه الجملة، وهل قيلت على سبيل المدح أم القدح، فذهب الأكثر إلى كونها من المدح وخالف البعض فعدها من روايات الذم.

والعصيدة في اللغة (لسان العرب ٣\٢٩١) هو ما يُعصد أي ما يخلط بغيره على سبيل الممازجة، وتطلق على الدقيق الذي يمزج بالدهن ويطبخ، ويعرف عندنا باللهجة العراقية (حلاوة الطحين)، أي أن سدير يتلون مع تلون المواقف واختلافها كما تتلون العصيدة بالألوان عندما تمزج معها.

وهو معنى يحتمل المدح كما الذم، ولكن بحسب ما ذكره أرباب هذا الفن فإن الغالب على الظن أنها كلمة مدح، وهذه جملة من أقوالهم:

* السيد الخوئي رحمه الله (ت١٤١١) معجم رجال الحديث ٩\٣٨ قال: (لا دلالة فيها على الذم، بل يحتمل دلالتها على المدح لاحتمال أن يراد بهذه الجملة: أن سديراً لا تتغير حقيقته بأي لون كان، فهو عصيدة على كل حال، وإن اختلفت ألوانه).

* السيد محسن الأمين (ت١٣٧١) في أعيان الشيعة ٥\١٨٥: (والعصيدة طعام معروف وفي منتهى المقال (أي انه لا يخاف عليه من المخالفين لأنه يتلون معهم بلونهم فلا يعرف نظير قولهم فلان كالإبريسم الأبيض أي كما أن الإبريسم الأبيض يقبل كل لون كذلك هو يتلون مع الناس بلونهم).

فهو نوع من المدح فيراد حسن تصرفه ومخاطبته كل قوم بحيث لا يقدرون على

إلزامه بشئ هذا هو الظاهر من هذا الخبر وهو الذي فهمناه منه قبل اطلاعنا على منتهى المقال).

* علي أكبر غفاري، محقق كتاب تحف العقول بهامش ص٣٢٥ قال: (يعنى أنه لا يخاف عليه من المخالفين ؛ لأنه يتلون معهم بلونهم تقية بحيث يخفى عليهم، ولا يعرف بالتشيع وأنه ملتزم بالتقية الواجبة).

وممن حمل هذه الكلام على الذم الشيخ المنتظري فقال في تعليقه على الرواية: (والمراد منه على الظاهر انه معقود بكل لون، وانه رجل إحساسي مزاجي غير مستقيم بحسب الفكر والدقة، لا انه ملتزم بالتقية الواجبة ويتلون عند كل فرقة بلون يحفظ به نفسه، كما في تنقيح المقال. إذ لو كان كذلك لم يكن يقع في سجن المخالفين) (دراسات في ولاية الفقيه ١\ ٢٢٩).

أقول: ليس في الروايات ما يشير إلى مزاجية سدير التي ادعاها الشيخ المنتظري، وإنما كان يدفعه فرط إخلاصه لأهل البيت عليهم السلام لاستعجال أمرهم، وقيام دولتهم، وهو حال كثير من الرواة المخلصين غيره، أما وقوعه في سجن المخالفين فلم يثبت على وجه القطع واليقين لاحتمال أن يقصد به (شديد) كما ذكرنا سابقاً، وبالجملة فإن هذه العبارة تبقى مثاراً للجدل، إلا أن المتتبع لحال سدير وعلاقته مع الإمام الصادق عليه السلام تميل نفسه إلى ترجيح كفة المدح على الذم، مهما كان المعنى المقصود من المدح أهو الالتزام بالتقية أو ثبات حقيقته بكل لون أو شيء آخر.

سدير في كتب الرجال

عرف سدير الصيرفي بالوثاقة وحسن الحديث حتى عند رجال أهل السنة ومحدثيهم، وقد طعن عليه بعضهم لا لشائبة فيه إلا التشيع الذي يعد جرماً في موازينهم الرجالية العرجاء.

وهذه جملة من أقوالهم بحق سدير:

١ـ ضعفاء العقيلي (ت٣٢٢) ٢\ ١٧٩: (سدير الصيرفي وكان ممن يغلو في الرفض).

٢ـ ابن حبان (ت٣٥٤) في كتاب المجروحين ١\ ٣٤٥: (منكر الحديث جداً على قلة روايته).

٣ـ ابن عدي (ت٣٦٥) في الكامل ٣\ ٣٤٣: (ولسدير بن حكيم الصيرفي أحاديث يرويها أهل الكوفة عنه قليل وقد ذكر عنه إفراط في التشيع، وأما في الحديث فإني أرجو أن مقدار ما يرويه لا بأس به).

٤ـ الذهبي (ت٧٤٨) في ميزان الاعتدال ٢\ ١١٦: (سدير بن حكيم الصيرفي الكوفي. صالح الحديث. وقال الجوزجاني: مذموم المذهب. وروى أحمد بن أبي مريم عن يحيى: ثقة. وقال ابن الجوزي: قال ابن عيينة: كان يكذب. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الدارقطني: متروك).

وقد تتبع ابن حجر (ت٨٥٢) ما نقله ابن الجوزي فتبين أنه صحف كلمة (يحدث) إلى (يكذب)، قال في لسان الميزان ٣\ ٩: (قال ابن عيينة رأيته يحدث بكذا، في نسخة معتمدة، بصيغة الفعل المضارع عن التحديث، فصحفها ابن الجوزي بيكذب).

٥ـ الذهبي في تاريخ الإسلام ٨\ ٤٣٦: (قال أبو حاتم: صالح الحديث).

أما في كتب الشيعة فقد اتفقت كلمة المحققين على وثاقته، وحسن عقيدته، وعلو مرتبته، وهذه جملة من أقوالهم:

١ـ ابن شهر آشوب مناقبه ٣\٣١٢: عده من خواص أصحاب الصادق عليه السلام.

٢ـ مستدركات علم رجال الحديث ١٢\٤ قال بعد أن ذكر مجموعة من رواياته: (ومن ذلك كله ظهر حسنه وكماله ووثاقته مضافا إلى وقوعه في طريق ابن قولويه في كامل الزيارة باب ٤٩ ، وعلي بن إبراهيم في تفسيره في المائدة).

٣ـ أعيان الشيعة ٥\١٨٥: (وبالجملة يظهر من الروايات كونه من أكابر الشيعة مضافاً إلى ما فيه من كثرة الرواية ورواية الأجلة ومن أجمعت العصابة كابن مسكان عنه).

٤ـ المصطفى والعترة للحاج حسين الشاكري ٨\٤٣٥: (وقال المامقاني (تنقيح المقال): إن سديراً إمامي ممدوح محبوب لله تعالى، محب لأهل البيت عليهم السلام قلباً وقالباً، ومن بطانتهم والعارف منهم كلماتهم وألحانهم. وقد عد الرجل في الوجيزة (للمجلسي) ممدوحاً. وذكره العلامة [الحلي] في القسم الأول المعد للثقات والممدوحين).

٥ـ السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ٩\٣٩: حكم بوثاقته لشهادة علي بن إبراهيم القمي بذلك في تفسيره.

٦ـ جاء في (موسوعة أصحاب الفقهاء) ٢\٢٢٩: (وكان من كبار رجال الشيعة، فاضلاً، من خواص أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وكان يسعى في أواخر الدولة الأموية إلى جعل زمام قيادة العالم الإسلامي بيده عليه السلام).

طبقته في الحديث

يعد سدير من الطبقة الرابعة أو (من صغار الثالثة) في الحديث لأنه من أصحاب السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، وقد روى عنهم جميعاً خصوصاً عن الصادقين عليهما السلام، علاوة على ذلك يروي سدير عن جملة من الرواة والتابعين منهم:

والده حُكيم بن صُهيب، حُكيم بن جُبير الأسدي، أبو خالد الكابلي، الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عكرمة.

أما من روى عنه فخلق كثير منهم: أبناؤه حنان والحسين وجميل، وإسحاق بن جرير، وبكر بن محمد (وهو الأزدي)، وجميل بن صالح، والحسين بن نعيم الصحاف، وعبد الله بن حماد الأنصاري، وعبد الله بن مسكان، وهاشم بن المثنى، هشام بن الحكم، و إبراهيم بن أبي البلاد، والحارث بن حريز، والحسن بن محبوب، عبد الرحمن بن الحجاج، عمرو بن أبي نصر الأنماطي، داود بن سرحان، والعلاء بن رزين، وعلي بن رئاب، وفضالة بن أيوب، والفضل بن دكين، عائذ بن حبيب، وسفيان الثوري وابن عيينة، وشريك بن عبد الله، وهريم بن سفيان والحسن بن صالح، شريس الوابشي، وخالد بن عمار (أو عمارة)، والخطاب بن مصعب، وزُريق بن الزبير، الخطاب الكوفي ومصعب بن عبد الله الكوفي.

وفاته

لم يرد ذكر وفاته في كل المصادر التي تحدثت عنه، بيد أنه كان حياً حتى سنة ١٣٨ حيث روى في هذا التاريخ رواية عن الصادق عليه السلام كما ذكر ذلك الكشي في رجاله (اختيار معرفة الرجال ٢\٥٨٤)، ولم تعهد له رواية عن الإمام الكاظم عليه السلام، لذا فالراجح أنه توفي في زمن الصادق عليه السلام أي بين سنة ١٣٨ و ١٤٨ ■

طروحات عامة

دور المكتبة الافتراضية في تطوير مهارات التفكير والتعليم الجامعي

أ. د. محمد باقر فخر الدين •

معهد أبحاث الأجنة وعلاج العقم/ جامعة النهرين

ينابيع

قال تعالى: (**يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير**). . سورة المجادلة، الآية (١١).

إن معظم الإنجازات العلمية والتكنولوجية التي حققتها البشرية في القرن العشرين هي نتاج أفكار المبدعين، ولكن العلم في الماضي كان يصمم لعالم مستقر، أما الآن فإن مجتمعنا يعيش في عالم سريع التغير تحيطه تحديات محلية وعالمية لعل من أهمها الانفجار المعرفي والتطور التكنولوجي والانفتاح على العالم الكبير نتيجة سرعة الاتصالات والمواصلات حتى أصبح العالم قرية

صغيرة. ويشير عددا من الباحثين بأنه لم توجد تقنية حولت وجه الحياة بالسرعة والقوة التي حول بها (الانترنت) مجريات حياتنا. فهذه الشبكة الترابطية بكل ما تضمه من خدمات قد صبغت تسعينيات القرن الماضي وبدايات القرن الحادي والعشرين بصبغتها ونقلت مسيرة الحضارة من مرحلة (عصر المعلومات) إلى ما يمكن الإشارة إليه اليوم بعصر الشبكة. إن المكتبة الافتراضية أو الرقمية معنية بالتواصل و سبر أغوار العالم الرقمي حيث المصدر الثري للمعلومة على مستوى العالم. هي ليست مكتبة رقمية فحسب وإنما معنية أيضاً بكل ما هو تقني للوصول إلى المعرفة مثل النصوص الإلكترونية ومكتبة الفيديو الرقمي والصوتيات وجميع أنواع الوسائط المتعددة والبرمجيات التعليمية المنتقاة والمصنفة لدعم العملية التعليمية.

وساعدت التكنولوجيا الرقمية في تطوير المكتبات الرقمية وامتدت لتشمل التعليم والبحث في مختلف العلوم التطبيقية والانسانية في عدة مجالات ومن أهمها: سهولة تطويرها وتحويلها، وتعديلها بما يتفق مع متغيرات العصر، ومناسبتها لمختلف المجالات العلمية: الطبية، والصناعية، والإقتصادية، والتجارية، وسهولة تداولها، وسرعة معالجتها للمعلومات، مع إمكانية تحويلها من شكل إلى أخر، وساعدت على إيجاد بيئات تعليمية جديدة مثل الفصول الافتراضية والجامعات الافتراضية، ووفرت وسائل الاتصال التزامني واللاتزامني بين المعلم والمتعلمين، وبين المتعلمين وبعضهم البعض، وأتاحت فرص تبادل الآراء والأفكار والخبرات بين المتخصصين والخبراء من مختلف دول العالم ؛ مما يجعل

المعرفة متجددة ومتطورة باستمرار.

وتعتبر الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) من التقنيات الحديثة التي ساعدت على سرعة انتشار وسائل الاتصال ومن المهم على الأمة الإسلامية الاستفادة منها ، وتسخيرها بما يعود على الفرد والمجتمع بالنفع والفائدة. ويؤكد عدداً من المتخصصين أن ما يقدم للمتلقي العربي ليس كامل المعرفة، في زمن تتسارع معلوماته وتتدافع، لذا فإنه يجب على بقية المهتمين استكمال عمله نظرا لاحتياج الثقافة العربية إلى تطوير الجوانب المتعددة في تكنولوجيا المعلومات. وهو مما يدعو إلى الإسراع بتعريب الأدوات والبرامج بما يدعم اللغة العربية كالترجمة الآلية والتدقيق الإملائي والنحوي والتحليل الصرفي وإمكانية التعرف على الكلام وتحويله إلى نصوص والتعرف الضوئي على النصوص.

١ـ المقدمة

قال تعالى: (**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) .. سورة الزمر، الآية (٩).

ودعاء المسلمين بقوله تعالى: (**وقل ربي زدني علماً**) .. سورة طه، الآية (١١٤). وتنويه الله جل جلاله بالعلم وأهله قال تعالى: (**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**) .. سورة آل عمران، الآية (١٨).

شهد الانسان على مر العصور الكثير من الثورات: الصناعية، والتكنولوجية، والمعرفية، وأصبحنا الآن نشهد الثورة الرقمية، حيث انتشر استخدام التكنولوجيا الرقمية في كل مجال من مجالات الحياة، وأصبحت المعلومات الرقمية تحيط بنا من كل جانب، ونتيجة للثورة الرقمية تبدلت أهداف التربية وتطورت، وتغير شكل مؤسساتها التعليمية، فأصبحت تسعى نحو تحقيق الأهداف التي تساعد الأفراد على التكيف والتجاوب مع متغيرات وتطورات هذا العصر، والبحث عن تنمية مهارات التفكير لدى المتعلمين ليكونوا شركاء في هذا التطور السريع والمذهل. ولقد أدرك المسلمون منذ بزوغ شمس الإسلام أهمية المعلومات ، حيث قاموا بتشكيل قاعدة معلوماتية ضخمة لجمع ونشر العلوم ، حينما قاموا بنقل وترجمة بعض العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية ، وبعد أن أخذت التقنية الرقمية تشق طريقها في هذا العصر ، وتتبوأ مقعدها في هذا الزمان متزامنة مع الانفجار المعرفي ، كان لا بد أن يأخذ المسلمون نصيبهم في هذا المضمار.

فيما مضى اعتمدت المكتبات التقليدية، وبحكم العادة، أن تقدم ضرباً من المعلومات ليس من اليسير بمكان توفرها في مكان آخر. وكان أمناء المكتبات هم الوسطاء بين المعلومات المرصوفة وقارىء الكتب. ومن واقع هذه المكتبة التقليدية جاءت المكتبة الافتراضية الرقمية التي يؤدي فيها الشارح الإلكتروني دور أمين المكتبة الوسيط. وبالطبع جاء عصر المعلومات بالكثير من مستحدثات الأمور في هذا الميدان فجعل القارىء مستثمراً والإنترنت وبواباتها صفحات كتاب في المفهوم الاستهلاكي، وبالطبع فإن توفر المواد المتنوعة وغزارة الفيض الكبير من التعددية الفكرية والاقتصادية هي من خصال المكتبة الافتراضية الرقمية، كما

أن الربح والفوائد الأكثر هي أيضاً من خصال المكتبة الافتراضية الرقمية، وذلك لأن المكتبة الافتراضية قد ضاعفت من وجود الخدمات التي عجزت عنها المكتبة التقليدية من جهة أخرى، وتراجع الاهتمام بالمكتبة التقليدية التي كانت تتخذ من الأحياء السكنية مقراً لها فتواجه العديد من الصعوبات في أداء خدمة تقديم معلومات فورية ومستمرة لاتنقطع. أما الآن وبعد بزوغ فجر المكتبة الافتراضية، فقد بات وجودها مؤمناً بين يدي مستهلكها فدخلت غرفته عبر الحاسوب، وصار المستهلك (القارئ المستفيد) قادراً على الولوج إلى ما يريد من فروع قراءاته؛ فهي تؤمن سُبُلَ الاتصال مع المعلومات على مدار أربع وعشرين ساعة. وعلى أي حال، في منتصف القرن الماضي ظهر تحول آخر وهو بدء تحول بعض المجتمعات التى ما يعرف بالمجتمعات المعلوماتية. ويمكن أن تعتبر هذه المرحلة امتداد للمرحلة الصناعية مع الفارق أن الاقتصاد في المجتمعات المعلوماتية يعتمد بنسبة متزايدة على الصناعات المعلوماتية وليس الصناعات الثقيلة التقليدية. وبجانب لهذا التطور ومحاصرة المعلومات للانسان كما ذكرنا من قبل، هناك تحديات جديدة تقف أمام المجتمع الانساني وهو بصدد التحول إلى المجتمع الرقمي أو المجتمع المعلوماتي.

تعد المكتبة الافتراضية الرقمية بوابة الباحثين والمهتمين إلى العلم والمعرفة وهي عبارة عن: تكتل علمي ضخم للجامعات ومؤسسات التعليم العالي، وتتميز بتقديم خدمات تفاعلية متطورة، وكمّ هائل من المصادر الرقمية في مختلف مجالات المعرفة البشرية، بالإضافة إلى مصادر معلومات متعددة الأشكال (كتب، ودوريات، ورسائل جامعية، وأعمال المؤتمرات والندوات) متاحة بصيغ رقمية، وفق بحث سريع ومتقدم حسب التخصصات.

٢ـ تعريف المكتبة الافتراضية الرقمية

المكتبة الافتراضية عبارة عن تنظيم وإدارة مجموعة من مصادر وخدمات المعلومات المتاحة والمتوفرة إلكترونياً عبر شبكة الإنترنت. ويشتمل ذلك على دمج المصادر والخدمات وتقديمها من خلال منفذ واحد ألا وهو شبكة الإنترنت. كذلك فإن المكتبة الافتراضية تشمل إتاحة وتوفير خدمات ومحتويات المكتبات عن بعد ولأماكن بعيدة. والربط والجمع ما بين إتاحة كافة أنواع مصادر المعلومات المتواجدة في المكتبة والتي يكثر الطلب عليها وبين المصادر الإلكترونية وتقديمها من خلال شبكة إلكترونية. لذا فان المكتبة الافتراضية أو ما تسمى ايضا (بالمكتبات الرقمية) لا يتطلب وجودها مباني انشائية. ولعل بداية ظهور المكتبات الرقمية جاءت نتيجة تعدد استخدام تطبيقات التكنولوجيات الحديثة في مجال المكتبات والمعلومات، وابرزها تكنولوجيا الاتصال التي تأتي في مقدمتها شبكة الانترنت التي أحدثت تغييرات وتطورات في إجراء العمل الفني في المكتبات وفي نوعية الخدمات التي تقدمها للمستفيدين.

هذا وقد تعددت تعريفات المكتبات الافتراضية الرقمية فقد بلغت أهم التعريفات التي أمكن رصدها لهذا المصطلح ما ناهز العشرين تعريفا و من بين هذه التعريفات، انها (رؤية مستقبلية

لشكل متطور من المكتبات الحالية فهي مجموعات منظمة من المعلومات الرقمية، تجمع بين التركيب والتجميع الذي كانت المكتبات تقوم به دائما مع التمثيل الرقمي الذي جعله الحاسوب ممكناً). كذلك هنالك تعريفا آخر (بانها عبارة عن تكنولوجيا حديثة ظهرت في المكتبات في اواخر القرن العشرين تعتمد على الاندماج بين المصادر الالكترونية للمعلومات وتكنولوجية الاتصالات الحديثة وشبكة الانترنت، وما نتج عن ذلك من تغيرات في عالم صناعة المعلومات، والانتشار الواسع لشبكات الحاسوب وسرعة استرجاع البيانات بواسطة البيئة العنكبوتية المتشعبة في الانترنت).

لذا فان هذا المصطلح يشير إلى المكتبات التي توفر مداخل أو نقاط وصول إلى المعلومات الرقمية وذلك باستخدام العديد من الشبكات ومنها شبكة للانترنت العلمية. ولو امعنا النظر والتفكير نلاحظ ان هذا المصطلح قد يكون مرادفا للمكتبات الرقمية وفقا لما تراه المؤسسة الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة الامريكية (National Science) وجمعية المكتبات الحديثة (Association of Research Libraries)، كما ركز عدداً من المتخصصين في هذا المجال على المحددات والصفات التي ينبغي توافرها في المكتبة الافتراضية الرقمية بدلا من تبنى تعريف بعينة والتي تشابهت إلى حد التطابق مع التعريف، والذي تبنته جمعية مكتبات البحث الامريكية (ARL) والتي تتضمن:

١ـ المكتبة الرقمية ليست كيان منفردا.

٢ـ تحتاج المكتبة الرقمية للتكنولوجيا لربط مصادر عديدة من المكتبات وخدمات المعلومات.

٣ـ يعرض المستفيد النهائي الروابط بين عديد من المكتبات الرقمية وخدمات المعلومات.

٤ـ هدف المكتبة الرقمية هو الاتاحة العالمية للمكتبات الرقمية وخدمات المعلومات.

٥ـ المكتبات الرقمية غير مقيدة ببدائل الوثائق، وانما إلى المصادر الرقمية التي لا يمكن توزيعها أو تقديمها في اشكال مطبوعة.

ولابد لنا أن ننوه إلى تطور مفهوم هذه المكتبة الافتراضية مع الزمن المتسارع في عصر المعلومات فأتاحت للمستخدمين عن بعد إمكانية التشاطر بالأفكار والاتجاهات المعلوماتية، وأضحت تخول المستخدم بيع مالديه من معلومات أو المقايضة بغيرها، وأمور كثيرة أخرى لامجال لذكرها. لذا فإن المكتبة الافتراضية هي مكتبة عالمية متاحة إلكترونياً، وإنها المكتبة التي تسهل على المستفيد الوصول إلى كم هائل من المعلومات حال الطلب وفي الوقت الذي يجده مناسباً وبدون أي تأخير وتضع هذه المعلومات أمامه وهو جالس في مكتبه. إضافة إلى تقديم خدمة التوعية المعلوماتية، وتوفير دخول موحد للمكتبة الرقمية، وإتاحة الخدمة لجميع المستخدمين، وإتاحة البحث في المعلومات البيبلوغرافية للمكتبة الرقمية للمستخدمين، وإتاحة النص الكامل للكتب الالكترونية، من أي مكان وفي أي وقت، والبحث في بعض أو كل المصادر المتاحة. ومن فوائدها أيضاً الملكية الدائمة لمصادر المعلومات الإلكترونية التي تم اقتناؤها،

وتحميل الكتب المفضلة من المكتب أو أي مكان آخر، وسهولة استخدام المصادر الإلكترونية، مع إمكانية بحث تتيح للمهتمين تحديد المعلومات بسرعة فائقة. ولذا قد يكون من الصعب الوقوف على تعريف محدد خاص بالمكتبة الرقمية يتفق عليه جميع المتخصصين المرتبطين من قريب أو من بعيد، ويرجع ذلك إلى تنوع وتباين وجهات النظر المعالجة لهذه الاشكالية حيث ان تلك التعريفات المتنوعة للمكتبات الافتراضية الرقمية معطاة في الاساس بواسطة العديد من المتخصصين والهيئات والمنظمات وكل منهم يرى مفهوم المكتبة الافتراضية الرقمية من منظور تخصصه سواء العام أو الخاص. وأهم ما يميز هذا النوع من المكتبات الاتي:

١- توفير المعلومات المدونة رقميا سواء للكتب أو المراجع أو البحوث أو الدراسات أو الورقات العلمية أو الدوريات المتخصصة أو ملخصات المحاضرات أو غير ذلك.

٢- توفير العناوين والملخصات وقوائم المحتويات واسماء المؤلفين والتي تساهم بشكل كبير في تحديد المطلوب البحث عنه.

٣- مناسبة التصميم لاخراج اشكال ونوعيات وكميات المحتوى المعرفي وبما يتوافق مع متطلبات الطالب والباحث.

٤- التنظيم والاعداد والتهيئة بطرق يسهل معها البحث والاسترجاع والتصفح والطباعة وفي كثير من الاحيان النسخ.

٥- إمكانية التصفح والاطلاع في جميع الاوقات ومن اماكن التواجد سواء بداخل المؤسسة أو البيت أو اي مكان اخر.

٦- توفير فهرس إلكتروني وفقا لنظم

المكتبات
ا لعا لمية
مما يسهل
ويسرع عمليات البحث.

٧- وجود بيانات ومعلومات حول كيفية الدخول ومتطلبات الحصول والوصول إلى اي معلومة متوفرة بقاعدة
بيانات المكتبة (بعض المكتبات بها معلومات ذات خصوصية وتكون بمقابل مالي).

٨- توفير عناوين مكتبات رقمية محلية وعالمية وتقديم إرشادات لكيفية الدخول ومتطلبات ذلك.

٣- تأسيس المكتبة الافتراضية

قد لا تتسع رفوف المكتبة المنزلية لمئات الكتب والمجلات، وبالتأكيد كلفة شراء الكتب غالبا ما ترهق جيوب المحتاجين إليها فضلا عن مشاق البحث عن كتاب أو مجلة معينة ضمن مكان وزمان محددين، إذن فالاستغناء عن كل ما ورد آنفا يعد نعمة من نعم الثورة المعلوماتية التي أشرقت على العالم كله دون استثناء. كما أدت سلسلة الاختراعات البشرية على

مـدار هذا التاريخ إلى انفجـار مايعرف بـ (عصـر المعلومـات) الذي هـو حلقة من سلسـلة من ميـزة التغيير المسـتمر، أما مـن حيث التأثير فقد سـبق زمـن انفجار المعلومـات الذي نحيا سـوابقه الابتكارية فـي هذا المجـال، ففي ظل ثـورة انفجار المعلومـات صـار التغييـر جذريـاً ومس الجوهر قبل الشكل، وكان التغيير متسارع الخطـى ويتبـدل كل يـوم بأشـكال تقنية وهندسـية لاحصـر لها؟ فابتـكار الراديو والتلفـاز قاد إلـى إبتكار أجهـزة التحويل وأنظمـة التشـفير الرقمـي فالحاسـوب الشـخصي الصغير والحواسـيب العملاقة مروراً بحواسـيب الربط الشبكي والأقمار الصناعيـة وثورة انفجـار الاتصالات التي تمثلـت مؤخراً بشـبكة الإنترنـت والبريد الإلكترونـي والهاتف الجوال وما إلى ذلك. ويوضح عدداً من الباحثين أن هناك أسباب تفوق حد الإقناع لبذل الجهود على تأسيس تكنولوجيا المعلومات الحديثة وتعليمها في مؤسسـاتنا التعليمية لعل على رأسها تأثير التكنولوجيا في المناهج والتعليم.

ولو نظرنا نظرة متأنية لتاريخ المكتبات الافتراضية الرقمية نرى أنها تؤكد على أنه هـو نفس تاريخ تطور اسـتخدام التقنيات فـي مرافـق المعلومـات المختلفـة لكافة مستوياتها ذلك أن المكتبات الرقمية كمثل ذروة المكتبـات المعتمدة علـى التقنية في الوقت الحالي وبخاصة تقنيات الحاسـبات والشـبكات . ومـن الممكـن رصـد ثلاث توجهـات للإنتـاج الفكـري حـول تاريخ المكتبات الرقمية. أولها فلسـفي يظهر من خلال عرض التنبؤات والـرؤى التي ادت إلـى ظهور المفهـوم ثم التطبيـق. والثاني تمهيدي هو للتسـهيل في ظهـور التقنيات التـي مهـدت الطريـق لظهـور المكتبات الرقمية. والثالث تطبيقـي وهو بدء تاريخ المكتبـات الافتراضيـة الرقمية منذ ظهور مبادرة المكتبات الرقميـة ثم التفصيل في المشـروعات التي ظهرت منذ ذلك الحين في كافة أنواع المكتبات الرقمية. وينقسـم مشـروع بناء المكتبـة الافتراضية الرقمية إلى عـدة مراحـل: أولهـا توفيـر الكتاب الالكترونـي الأجنبـي، والمرحلـة الثانية مايتعلـق بالدوريـات، والمرحلـة الثالثـة للرسـائل الجامعيـة، وإنتاج أعضـاء هيئة التدريس فـي الجامعات، وأيضا سـيكون الوصول لها متاح لكافة المخولين للدخول إليها من منتسـبي الجامعات العراقية سواء حكومية أو أهلية.

تأتي الشـبكة الافتراضيـة العلمية إذن لتكون معيناً للدارسـين والباحثين وسـط هذا التدفـق المعلوماتي الهائل، الذي بات معروفـا بأنـه نتاج يتشـكل مـن الظواهر والحقائـق المحسوسـة أي البيانات، ومن التعليمـات المطلوبـة لفهمـا وتفسـيرها وإعطائهـا معنى، وأمام الانفجار الواسـع النطاق فـي الكم والنـوع للمعلومات التي يجري توليدهـا وتوظيفها بلا انقطاع على مدار السـاعة بل على مـدار الدقائق. إنها المعلومات ما تلبث أن تتكامل بشكل حيوي متصل في الحياة اليومية للإنسـان /الفرد، ومـن ثم المجموعة والمؤسسـة والمجتمع ككل، الأمـر الـذي يقـود البشـرية إلـى عصر مذهل تُمارس فيه الحياة من أبسـط أشـكالها إلى أعلى مسـتويات التعقيد بناءً على معلوماتية قائمة على اسـتقاء البيانات من حركـة الأحداث والظواهـر والحقائق وتحويلها إلـى معلومـات، وتوظيفها على الفـور. وهنالـك عـدداً من الاسـعدادات

الفنيــة والادارية التي تؤثر فــي اداء مهام المكتبة الافتراضية الرقمية:

١ـ تبني التقنية: ممــا واجه المكتبات من عقبات كانــت إجــراءات التحويل إلى واقــع إلكترونــي افتراضي، حيث انســاق العديد وراء ضرورة التحويل الإلكتروني في عصر المعلومات، وسار الجميع مهرولين نحو تطبيقات مؤتمتة (رقمية) ولاسيما في مجال المكتبات لما لهذا القطاع من ضخامة حقيقية في حجــم المعلومات فــي العلوم والفنون والآداب والآثار والتقنيات وما إلى ذلك، ولهــذا فإن الإعــدادات نحو الأتمتة (الرقميــة) جعلــت من المــوارد المكتباتية أشــبه بالجــزر العائمة على بحــرٍ مترامي الأطراف تسمى بالإنترنت. فالأتمتة هي من الإعدادات الضروريــة جداً، لما تؤديه من دور في اختصار الوقت أمام المســتثمر، وهي الخطــوة الإجرائية الأولى التي يتعين علــى المتخصصيــن أن يعيروهــا الأهمية القصوى كظاهرة حضاريــة متطورة تكفل الوصول إلى مكتبة افتراضية حديثة الشكل عميقة المضمون وعصرية في الأداء.

٢ـ المستهلك جســر تواصل: إن أول الدوافــع التي دعت الواقــع المكتباتي إلى ضرورة الأتمتة الإلكترونية هو المســتهلك الــذي أدى دور الوســيط المتواصــل، حيــث تم الاعتمــاد على أفــكاره الإبداعية وعلــى تصوراتــه مــن أجل إرســاء قواعد المكتبــة الافتراضيــة الرقميــة. وقد وجد بعضهــم أن العلاقــة التي تربــط بين فكر المســتهلك والمكتبة الافتراضيــة إنما هي علاقــة هامــة، لابل حقل علمــي تقدم في شروحه وتفسيراته البحوث الأكاديمية التي تــدرس كيفية التواصل بين الفرد ككتلة من الأحاســيس والأفــكار والكمبيوتر(الجهاز التطبيقي) الذي يخدم أفكار الفرد وينميها.

٣ـ التقنيــة: أمــا التقنيــة التــي يتعين انتقاؤهــا في عصر المكتبــات الافتراضية الرقميــة أدت إلــى تســارع فــي تطويــر الابتكارات التي من شــأنها أن تؤدي دوراً وطيــداً فــي انتشــار المكتبــة الافتراضية حيــث غزت الأقــراص الليزرية التي تنقل جميع مواد المكتبات الافتراضية بســرعة من خــلال بثها عبر الإنترنــت، وبرز دور التقنيــات الأخرى مثل الأقــراص الرقمية ومازال المســتقبل يخبئ لنــا الكثير. إلا أن الإنســان بوصفه المستفيد ســيظل محور أي ابتــكارات جديــدة تنقلــه إلــى المكتبة الافتراضيــة الرقمية بأســرع وقت ممكن ودون عناء. ومما يزيد من أهمية التطبيقات هي تلــك الإمكانية التي حباهــا المبتكرون للفــرد فــي اســتخدام جميــع التطبيقات البرمجية اللازمة لتشــغيل شبكة الإنترنت فضــلاً عن القدرة الخلاقة على الولوج إلى الملفات الثريــة بمعلوماتها الثرة وجداولها وإحصاءاتها.

ولانشــاء المكتبة الافتراضيــة الرقمية هنالك عدداً من القواعد والاسس الواجب توفرها وكما يلي:

١- اعتمــاد نســق موحــد للمعلومات، ٢- أســلوب النفاذ إلى المكتبة الرقمية، ٣- الأمــان والتحقق من هوية المســتخدمين، ٤- برمجيــات حمايــة حقــوق الملكيــة الفكريــة، ٥- البنية التحتية للمشــروع من برمجيــات وقواعد بيانات ومــدى قدرتها على التوسع واســتيعاب الإعداد المتزايدة مــن المســتخدمين، ٦- محــرك البحــث المســتخدم، ٧- وســائط التخزين وحفظ البيانات وقدرتها على التوســع وأســاليب التخزين الاحتياطي التي تعتمدها، وأخيراً

٨- العالميــة العاملــة في مجــال المكتبات الافتراضية الرقمية.

وهنالك العديد من الاسباب وراء انشاء المكتبــة الافتراضية الرقمية، وســنتطرق إلى أهمها:

١- الحاجــة إلــى تطويــر الخدمــات وتقديمها بشــكل أسرع وأفضل ، ٢- وجود تقنية مناســبة وبتكاليف مناسبة ، ٣- وجود العديد من أوعية المعلومات بشــكل رقمي ومتاح تجاريا ، وأخيراً ٤- انتشار الانترنت وتوفره لدى الكثيرمن المستفيدين.

ومن الأبعاد المعرفية والمعلوماتية التي تصبو إليها المكتبــة الافتراضية الرقمية ما يلي:

تطوير بيئة فاعلة للتعلم والبحث العلمي.

دعــم الطالــب وتزويــده بالخبــرات التعليمية الاكاديمية والتطبيقية.

تمكين الطلبة من أدوات البحث العلمي واكتشاف مجتمع المعرفة.

الاســتغلال الأمثــل للمصــادر النادرة للمعرفة.

تطويــر دور المكتبــة الرقميــة لتتبنى الدور الوظيفي المتكامل في خدمة المعرفة لجميع كادر الجامعة.

دعــم المكتبييــن من أهــل التخصص بتطوير قدراتهم.

٤- مميزات المكتبة الافتراضية الرقمية

لقــد بــات اســتخدام الإنترنــت فــي التعليــم هو الامتــداد الطبيعــي والمتوقع في المؤسســات التعليميــة وعليه ارتبطت عمليات التطوير فمن الضروري استخدام الإنترنــت لمــا لــه مــن فاعلية فــي تنمية التحصيل الدراسي. فالأهمية الإستراتيجية التي يضعها الباحث، هي الطريق السحري الموصــل نحــو المعلومات، ومــن أهمها: تحديد الموضوع، وتدقيق كلماته، واختيار محرك البحث المناســب، والبدء بالمواقع المعروفة، واستخدام البوابات المقترحة، واســتعمال محركات عدة للبحــث. كما أن برامج محــركات البحث تتيح للمســتخدِم النبــش عــن مفــردات محــددة وذلك من خــلال إدخال الكلمــات المفتاحيــة الدالة

على موضوع محـدد للبحث ضمن مصادر الإنترنت المختلفة، قـد تصل إلى ملايين المواقـع، وبالتالي تعد الوسـيلة المريحة والسريعة للبحث عن المعلومات وترتيبها.

وتتطلـع المكتبـة الافتراضيـة الرقمية بالجامعـة إلـى التأثيـر النوعـي المميـز لمخرجـات التعليـم بالجامعـة فـي جميع مجالاتهـا التعليميـة والبحثيـة مـع تجاوز سـلبيات المفاهيم القديمة عـن المكتبات الجامعيـة، ويتـم تحقيق ذلـك بجملة من الإجراءات منها ما يلي:

١ـ تجـاوز معوقـات المـكان والزمان باسـتخدام تقنيات التواصل خارج أسـوار الجامعة.

٢ـ التوسع: التوسـع العمودي والأفقي للمصـادر المعرفيـة مـع تجـاوز جميـع المعوقات بأتمتـة المعرفة وجعل التقنيات مزامنة لمصادر التعلم.

٣ـ الإثـراء: ترافق التقنيـة مع المعرفة الرقمية تسعى المكتبة الافتراضية الرقمية إلـى إثراء الجوانب المعرفيـة بالمزيد من التوظيف للوسـائط المتعـددة والمتنوعة بإضافات جديدة مثل الموسوعات الرقمية المفتوحة على الإنترنت.

٤ـ المرونة: عبر الفهرسة المتبعة تسعى المكتبة الافتراضية الرقمية إلى المزيد من المرونة في التوصل إلـى مصدر المعلومة من جميـع أطرافها وتناول الحـزم التقنية للفئـات بالإضافـة إلى الإسـناد التوافقي لخدمة مميزة.

٥ـ المشـاركة والتواصـل: يمكن لجميع المشـاركين والمسـتفيدين مـن التواصل المتزامن والمشـاركة الفعلية للمعلومة في آن واحد مـن خلال الوسـائل الإلكترونية المتاحة.

ومما لا شك فيه أن المكتبة الافتراضية الرقمية تتميز عن المكتبة التقليدية وتنفرد بخصائصها وفوائدها ومنها:

١ـ تكون السيطرة على أوعية المعلومات الالكترونية سـهلة وأكثر دقـة وفاعلية من حيث تنظيم البيانات والمعلومات وتخزينها وحفظها وتحديثها .

٢ـ يستفيد الباحث من إمكانات المكتبة الالكترونيـة عنـد اسـتخدامه لبرامجيات معالجـة النصوص. ولبرامجيـات الترجمة الآلية عنـد توافرها ، والبرامج الإحصائية فضلا عن الإفادة من إمكانيات نظام النص المترابط والوسائط المتعددة.

٣ـ إمكانيـة الحصول علـى المعلومات والخدمـة عن بعد تخطى الحواجز المكانية والحـدود بين الـدول وللأقاليم واختصار الجهـد والوقـت ، وبإمـكان الباحـث أن يحصل على ذلك وهو في مسكنه أو مكتبته الخاصة.

٤ـ يمكن البحث والاستعارة منها في كل الأوقات ومن على بعد.

٥ـ إمكانيـة الاسـتفادة مـن الموضوع ومطالعتـه من قبل عدد كبيـر من الباحثين في وقت واحد.

٦ـ تسـاعد في نشـر الوعـي الثقافي الرقمي وتشـجيع الباحثين والمؤلفين على الاستفادة من الوسائط المتعددة .

٧ـ مواكبـة التقـدم الفنـي فـي العالم واستغلال وجود تسـهيلات اكبر للوصول إلى شبكات المعلومات .

٨ـ الخدمـة ذاتية وبالتالـي يقلل العب على المكتبة.

٩ـ أنها أقل تكلفة.

هذا وقد أطلقت اليونيسكو من خلال (المكتبة الرقميـة الافتراضيـة العالمية)

نشر القيم التي تدافع عنها كالتنوع اللغوي والفهم بين الثقافات وأيضاً تقليص الهوة الرقمية بين الشعوب، وتوفر المكتبة الجديدة إمكانات للبحث والتصفح عبر الإنترنت من خلال سبع لغات (الإنجليزية والعربية والصينية والإسبانية والفرنسية والبرتغالية والروسية)، كما تقترح مواضيع ومحتويات بحثية في لغات عديدة أخرى. وعمل فريق من (مكتبة الكونغرس) على تطوير هذا المشروع بمساعدة تقنية من مكتبة الإسكندرية في مصر، فيما حثت اليونيسكو أعضاءها على توفير محفوظات من تراثهم الثقافي، وبينت سكرتارية اليونيسكو أن (المحتويات المتوافرة ليست حصرية للمكتبة الرقمية العالمية. وفي وسع المنظمات المشاركة تقديمها هي نفسها إلى مكتبات أخرى، على أن تبقى هي المالكة لهذه المعلومات). وتعتبر الدوريات شرياناً هاماً من شرايين المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات وخاصة المكتبات الأكاديمية التي تولي اهتماما خاصا للدوريات العلمية في مختلف مجالات المعرفة. ولقد ظلت الدوريات المطبوعة هي السائدة في مقتنيات المكتبات الأكاديمية حتى قبيل نهايات القرن الماضي وقبل التحول الجذري في وسائل نقل المعلومات إلى الوسيط الآلي الذي يزداد دوره يوما بعد يوم. ومنذ بضع سنوات تسارعت خطى النشر الإلكتروني حتى أصبحت نسبة كثيرة من الدوريات العلمية تنشر إلكترونيا بجانب النشر الورقي مما أدى إلى صدور الكثير من الدوريات المتخصصة في مجالات مختلفة في وسيط إلكتروني فقط مما سهل عملية إصدار هذه الدوريات المتخصصة وخفض تكلفة النشر والإصدار وليس هذا فحسب بل سهل أيضا عملية توزيع هذه الدوريات ووصولها إلى المهتمين بها.

بينما باتت فكرة المكتبة الافتراضية الرقمية واقعاً ملموساً في أنحاء العالم، أصبح للطلبة الباحثين أن يبحروا عبر المواقع الإلكترونية للجامعات ومراكز البحث المتخصصة. وذلك لما تتمتع به المكتبة الافتراضية الرقمية من مزايا أهمها: الإمكانات غير المحدودة للبحث في البيبلوغرافيات، وتعدد بدائل البحث وتوفره من أي مكان في العالم باستمرار مستفيدين من ميزة إلغاء عنصري الزمن والمكان، وإمكانية تخزين المعلومات واسترجاعها. هذا وقد قدم مجتمع المعلوماتية للعالم ما يختص بتوسيع دائرة حرية التفكير والتعبير ولعله من المميزات الكبرى لتكنولوجيا الاتصال الحديث واهمها شبكة الانترنت التي سمحت لملايين البشر من المتعاملين معها ان يمارسوا حق حرية التفكير والتعبير. وتعد الجامعات الأكثر حاجة لمصادر المعلومات في أرقى أشكال مصادرها لكي تلبي الحاجة التعليمية وتساند العملية التدريسية فيها. وتبرز انطلاقا من ذلك أهمية بناء المكتبة الرقمية لتقتني الكتب ومصادر المعلومات الرقمية، وتتيحها بشكلها الإلكتروني للمستفيدين منها في الجامعات والكليات باعتبارها الشكل الأحدث والأقدر على تقديم مصادر المعلومات الإلكترونية، وإتاحتها على شبكة الانترنت للمستفيدين منها في شتى بقاع الدنيا، بما يحقق لهم سرعة الوصول للمعلومة.

٥- مساوئ المكتبة الافتراضية الرقمية ومشكلاتها

رَصد عصر المعلومات الذي انفجرت فيه خدمات الابتكارات التكنولوجية آثار ابتكارات التاريخ الإنساني عبر مسيرة الزمن. فالابتكارات كانت في السابق عملاً يتطلب جهداً فائقاً نظراً لقلة الإمكانيات المتاحة سابقاً. ومع هذا فقد كان لكل ابتكار سلاحه الذي واجه المجتمعات الإنسانية سواء بالخير أو بالشر. أما ما شرع به عصر المعلومات من إرساء لقواعد ابتكارات فقد وصلت حد الترف لدى دول المبتكرات فقد كان لها أداءً سلبياً على بعض الشعوب الفقيرة فكان الفارق بأن انقسم العالم على نفسه فكرياً واقتصادياً. ومع ظهور وجه الإنترنت كانت التغيرات الحقيقية، إذ أن سبل الحياة المختلفة أفرزت متغيرات كثيرة فيها من المساوئ بقدر ما فيها من حسنات. فقد أدى ظهور التجارة الإلكترونية إلى اختصار دور الوسيط، وانتفى أيضاً دور المكتبة التقليدية التي كانت في السابق مركز اشعاع.

ومما لا شك فيه أن المكتبات تواجه مشاكل عديدة عند التحول من مكتبات تقليدية إلى مكتبات افتراضية رقمية، بعضها يتعلق بأمور تقنية وأخرى قانونية. وقد اجمع الكثيرون من المهتمين بالمكتبات الافتراضية الرقمية على أن تقنيات حماية وإدارة حقوق الملكية الفكرية الخاصة بالمحتوى الرقمي لم تحقق بعد مستوى للأمن المطلوب ، حيث لا زال من السهل كسر التشفير الخاص من هذه الأدوات. اضافة إلى ذلك قد ظهرت بعض المشكلات والتي تعد بمثابة عيوب لها ومن تلك المشاكل:

١- التكاليف المادية المرتفعة لمصادر المعلومات الرقمية.

٢- التكاليف الباهظة للتجهيزات التقنية اللازمة التحول.

٣- الصياغة القانونية للعقود مع مزودي المعلومات عند اقتناء قواعد البيانات.

٤- حماية حقوق النشر والملكية الفكرية، وهنا نتوقف لحظة لنركز على النقطة الأخيرة فهي محور حديثنا فعلى الرغم من التطورات الكبيرة في مجال تقنيات الكتب والمكتبات الرقمية فما زالت أمامها شوطا بعيداً لابد أن تقطعه لتحقيق الانتشار الكامل.

ولابد لنا من تساؤل يطرح نفسه . . هل ستبقى خدمات المكتبة الرقمية دون مستوى تطلعات المسؤولين والمهتمين؟ ما لم يواكب ذلك تدريب على استخدامها والبحث فيها من قبل عمادات المكتبات والبحث العلمي والتعلم الإلكتروني وتطوير المهارات في الجامعات، لكي يكون الاستخدام بالحجم الذي نطمح إليه، كما أن المرحلة الأولى من إطلاق خدمات المكتبة الرقمية قد لا يشاهد فيها إقبال كبير من منتسبي الجامعات على استخدام المكتبة والبحث في كنوزها، وهو أمر طبيعي في البداية، ولكن يتوقع المتخصصين أن تتحسن الأمور وتزداد نسبة الاستخدام من قبل المستفيدين في جامعاتنا بشكل متسارع انسجاما مع توجه وزارة التعليم العالي والجامعات العراقية لتفعيل استخدام التقنية ونشر ثقافة البحث العلمي بشكل أكبر ما هي عليه ما سيزيد من نسبة مرتادي المكتبة الافتراضية

الرقمية العراقية والاستفادة منها.

٦- المكتبة العلمية الافتراضية العراقية

تعد المكتبة الافتراضية الرقمية العراقية أحد المشاريع الرائدة، والرامية إلى الارتقاء بالعملية التعليمية في العراق من خلال دعم منظومة التعلم بصورة عامة، والتعليم الإلكتروني بصفة خاصة، والوفاء بمتطلبات البحث العلمي، بالإضافة إلى تعزيز المهارات وبناء مجتمع معرفي، كما يبرز دور المكتبة في حفظ الوقت والجهد، فيما يتعلق بعملية التعلم والتعليم والبحث العلمي. ومشروع المكتبة الرقمية يعد من أبرز الصور الداعمة للجامعات العراقية، والتي تعد من أهم التكتلات العلمية على المستوى الوطني، حيث يعمل على توفير خدمات معلوماتية متطورة، إضافة إلى إتاحة مصادر المعلومات الرقمية بمختلف أشكالها (الكتب والدوريات والرسائل الجامعية وأعمال المؤتمرات والندوات وغيرها من مصادر المعلومات) وجعلها في متناول أعضاء هيئة التدريس والباحثين والطلبة في مرحلتي الدراسات الأولية والعليا بالجامعات، وبقية مؤسسات التعليم العالي عبر بوابة المكتبة الالكترونية على الانترنت.

وباعتبار المكتبة والجامعة الاساس الذي تقوم عليه العملية التعليمية وبرامج التأهيل والبحث العلمي داخل مجتمعها المحلي ومن هنا فان جامعاتنا مدعوة اليوم وأكثر من أي وقت إلى تجسيد هذه الأفكار في إطار مشروع وطني كبير وواعد في مكتباتها تتمثل بايجاد شبكة اكاديمية للبحث الا وهي المكتبة الافتراضية الرقمية العراقية الذي يمثل بدوره حلقة من حلقات استكمال النظام الوطني للمعلومات في مكتباتنا الجامعية والذي يمكن في المستقبل من ربط البلد بالشبكات الاقليمية والدولية، ويمثل هذا المشروع في اساسه الهيكل العام لبرنامج الانشطة الرامية إلى تثمين وتطوير خدمات الاتاحة وتبادل المعلومات بين الجامعات ومراكز البحوث ومختلف المؤسسات ذات الطابع التقني والعلمي في اطار مكتبة افتراضية رقمية تستغل كل ما تتيحه التكنولوجيا الحديثة للمعلومات والاتصال في تفعيل العمل والنشاط الوثائقي بين المكتبات الجامعية في كل الميادين. ولعل آفاق تطبيق هذا المشروع الآنية والمستقبلية ستنعكس على مختلف قطاعات النشاط الاقتصادي الوطني بصورة عامة وعلى النشاط الجامعي بصورة خاصة بغض النظر عن دوره في تعزيز النظام الوطني للمعلومات وارساء دعائم مجتمع المعرفة في العراق. ولايفوتنا أن نذكر أن مثل هذا المشروع لابد أنه يشكل الارضية التي يمكن ان تنطلق منها مشاريع المكتبات الرقمية في الجامعات العراقية الاخرى.

فالمكتبة الافتراضية العلمية في العراق واحدة من أدوات الدعم العلمي التي سعت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إلى تحقيقها عبر التعاون المثمر مع منظمة (CRDF) الجهة المانحة للدعم المادي من اجل انجاح هذا المشروع المنبثق من حاجة الباحثين والأساتذة والطلبة العراقيين وغيرهم للاطلاع على المنشورات العلمية الحديثة. وقد وفرت المكتبة الافتراضية العراقية اكثر من (٦٠٠٠) عنوان لمجلات وكتب علمية رصينة من دور نشر عالمية

الأمر الذي فتح شهية الاكاديميين والباحثين العراقيين للإسراع في الاشتراك من خلال شبكة الإنترنت حيث بلغ عدد المشتركين اكثر من (٨٠٠٠) مشترك وتم سحب عشرات الآلاف من البحوث والكتب وسط حاجة ملحة للانفتاح السريع على التطور المعلوماتي في البلدان المتقدمة. وتجدر الإشارة إلى أنّ شركة فيتاليكت الأمريكية المتخصصة بالتعليم عبر الشبكة الإلكترونية، والتي تتخذ من ولاية كالفورنيا الأمريكية مقرا لها، كانت من المؤسسات التي ساهمت في هذه المكتبة الإفتراضية وشركة سيمبرتول للمعلومات الدنماركية كذلك.

إنّ المكتبة العلمية الافتراضية العراقية (IVSL) هي موقع على شبكة الانترنت يمكن الباحثين من اساتذة وتدريسين وطلبة في الجامعات ومراكز البحوث العراقية من الوصول إلى مجموعة مميزة من ملايين المقالات الكاملة المنشورة في أكثر من ٢٠،٠٠٠ مجلة علمية وهندسية بارزة وأرشيفاتها، بالإضافة إلى محتواها التقني ومصادرها التعليمية. و يمكن لأي شخص الآن الدخول وبسهولة إلى موقع المكتبة العلمية الافتراضية العراقية على شبكة الانترنت على عنوانها التالي (www.ivsl.org). وتعهد المسؤولين والمشرفين على المكتبة الافتراضية العراقية بجعل المكتبة متاحة لجميع المهتمين والباحثين والدارسين في مجالات العلوم والتكنولوجيا في العراق. وتشير المعلومات الإحصائية المتوفرة عند منتصف عام ٢٠٠٨ بأن عدد المشتركين من الجامعات العراقية السبع المرتبطة حاليا بمشروع المكتبة الافتراضية حاليا هو حوالي (٢٥٠٠) مشترك في العام ٢٠٠٦، قاموا بسحب أكثر من (١٤٠) ألف بحث، وبلغ عدد المشتركين للخمسة أشهر الأولى من٢٠٠٧ حوالي (١٤٠٠) مشترك قاموا بسحب ما يقرب من (٧٢) ألف بحث.

إن الجامعات العراقية فعلت العمل حالياً بالمكتبة الافتراضية التي توفر اكثر من (١٧) الف مصدر علمي حديث بهدف تمكين الباحث العراقي من التواصل المعرفي مع اقرانه من دول العالم وهذا المشروع يتمثل بموقع على شبكة الانترنت تستطيع الجامعات ومراكز البحوث العراقية من خلاله الوصول إلى مجموعة مميزة من ملايين المقالات الكاملة المنشورة في اكثر من (١٧) الف مجلة علمية وهندسية بارزة وارشفتها. ان هذه المكتبة من شانها اعادة البنية التحتية التربوية والعلمية في العراق، وصولا إلى هدف نهائي يتمثل بتحويل المشروع من مرحلته التجريبية الحالية إلى مشروع طويل الأمد يتم تبنّيه ودعمه كليًا من قبل العراق، حيث سيتم تزويد الجامعات والمؤسسات المستفيدة بمجموعة من برامج الكمبيوتر ذات العلاقة وتدريبهم في مجال تقنية المعلومات وكذلك تزويدهم ببعض الأجهزة والمعدات بهدف تسهيل وتسريع عملية التحويل. ويقوم فريق عراقي متخصص من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي حاليا بإدارة عملية نقل الملكية والتكنولوجيا الخاصة بالمكتبة الافتراضية بالتعاون مع مؤسسة البحوث المدنية وشركة صن مايكروسيستمز، حيث تم انجاز تدريب تخصصي لتشغيل وإدارة أجهزة الكومبيوتر الخادمة لمهندسين من سبعة جامعات مستفيدة من المكتبة بالإضافة إلى تدريب للمكتبين، فضلا عن

توقيع اتفاقية لغرض تسلم المنحة الخاصة بأجهزة الكومبيوتر الخادمة المقدمة من شركة صن مايكروسيستمز والتي ستوزع على الجامعات المستفيدة.

وقد تولت الحكومة العراقية مسؤولية إدارة المكتبة الإلكترونية، والتي كانت مؤسسات أمريكية قد أنشأتها منذ أربعة أعوام لمساعدة الباحثين والعلماء العراقيين في الوصول إلى آخر البحوث والدراسات في مجالات الكيمياء والهندسة والرياضيات والفيزياء. والمكتبة الإفتراضية العلمية العراقية كانت قد أنشأت في عام ٢٠٠٦ بشراكة بين الخارجية الأمريكية ووزارة الدفاع الأمريكية، وتمّت إدراتها من قبل المؤسسات الأكاديمية الوطنية الأمريكية وأشرفت عليها مؤسسة البحوث والتطوير المدنية الأمريكية. وهي اليوم تقدم خدماتها لـ ٩٠٪ من طلاب ومدرسي وباحثي الجامعات العراقية، وأيضا لتسعة من الوزارات الحكومية العراقية. وتضم قائمة شركاء المكتبة العلمية الافتراضية العراقية المؤسسات العراقية التالية:

* وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة العلوم والتكنولوجيا.
* سبع جامعات عراقية تغطّي العراق من شماله إلى جنوبه (الموصل والسليمانية وبغداد والنهرين والمستنصرية والتكنولوجيا والبصرة).
* الاكاديمية الوطنية العراقية للعلوم والاكاديمية العراقية للعلوم.
* المركز الدولي العراقي للعلوم والصناعة (AACSA).

والهيئات والمنظمات العلمية التي شاركت في هذه المكتبة هي: دار نشر سبرنجر ومؤسسة ثومسون رويترز للبحوث ودارنشر معهد مهندسي الكهرباء والإلكترونيات العالمي ومؤسسة مجتمع الكيميائيين الأمريكي، وكذلك مؤسسة مجتمع مهندسي الهندسة الميكانيكية الأمريكي والمعهد الأمريكي للفيزياء ومؤسسة المجتمع الأمريكي للمختصين بعلوم الرياضيات ومؤسسة مجتمع مهندسي الهندسة المدنية الأمريكي ورابطة مكائن الحوسبة ودار إليسفير للنشر ومنظمة أرشفة وحفظ المجلات والبحوث الأكاديمية ومؤسسات ومنظمات أخرى. كما يدعم المكتبة الإفتراضية الإلكترونية شركاء آخرون من القطاع العام والخاص الأمريكي مثل وزارة الدفاع الأمريكية ووزارة الخارجية ووزارة الزراعة ووزارة الطاقة، إلى جانب وكالة المحيطات والغلاف الجوي الوطنية وفيلق مهندسي الجيش الأمريكي. وتدعم بعض الجامعات الأمريكية هذه المكتبة الإلكترونية، مثل جامعة ماري لاند وجامعة كورنيل وجامعة ييل ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا والكلية الوطنية للعلوم بالإضافة إلى المركز الوطني العراقي للعلوم والصناعة. وكذلك تدعمها دور نشر خاصة مثل دار صن مايكروسيستمز.

٧- الخاتمة

تعد المكتبات الرقمية إحدى المزايا المهمة التي وفرتها شبكة الإنترنت، وتعد إحدى المصادر الأساسية في التعليم والتعلم والبحث العلمي، حيث عملت على توفير وقت وجهد الباحثين من خلال الخدمات البحثية التي توفرها للحصول على المعلومات في أسرع وقت وأقل جهد، وتيسر لهم الاطلاع على كل ما هو جديد في تخصصاتهم المختلفة. كما

وفرت مئات المواقع للمجلات الإلكترونية في التخصصات المختلفة، والتي تتضمن مقالات وبحوث ودراسات في كل فرع من فروع العلم منها ما هو مجاني ومنها ما هو مدفوع الأجر. كما سهلت الحصول على الكتب الإلكترونية النصية والمسموعة عبر شبكة الإنترنت في مختلف الموضوعات العلمية، وفي مختلف المجالات، وأصبحت مصدراً رئيساً من مصادر الحصول على المعرفة. و لابد لنا من الاشارة إلى ان المؤسسات الافتراضية هي مؤسسات تتوفر فيها خصائص وصفات المؤسسات التقليدية غير أنها موجودة على شبكة الإنترنت، ويتم إداراتها من خلال نظم الإدارة الإلكترونية، وتبث برامجها و مناهجها عبر شبكة الإنترنت، كما توفر فرص متعددة للاتصال بين المتعلمين والمعلمين، والمؤسسة التعليمية ككل. هذا وقد اثرت المكتبة الافتراضية الرقمية مجالات التفكير والتعليم المتنوعة بالكثير ونذكر منها ما يلي:

١- وفرت مصادر معلومات واسعة ومتنوعة مثل: الكتب الإلكترونية المكتوبة والمنطوقة، والمكتبات الرقمية، والمعامل الإلكترونية، ٢- تنمي لدى المتعلمين التفكير الناقد فيما يعرض عليهم من آراء وأفكار ومصادر علمية عبر شبكة الإنترنت، كما تنمي لديهم المسؤولية الذاتية في التعلم، ٣- تعمل على تنمية مهارات التعلم الذاتي وتشجع على الاستقلالية والاعتماد على النفس في البحث عن المعرفة والحصول على مصادر التعلم المختلفة، وأخيراً ٤- توفر الوقت والجهد والتكلفة في كثير من مهام التعلم وأنشطته.

والرؤية التي انطلقت منها المكتبة الافتراضية العراقية هي: بناء مكتبة رقمية ضخمة ومتطورة في شتى التخصصات لدعم العملية التعليمية، وتلبية احتياجات المستفيدين في مؤسسات التعليم العالي في العراق، كما أنها تحمل رسالة واضحة المعالم وهي توفير وإتاحة وتنظيم مصادر المعلومات الإلكترونية، وتسهيل سبل الإفادة منها من قبل أعضاء هيئة التدريس والباحثين والطلاب والمتخصصين العاملين في مؤسسات التعليم العالي من خلال واجهة بحث واسترجاع إلكترونية موحدة، وقد تكون هذه المكتبة عامل أساس في دعم العملية التعليمية في الجامعات العراقية، ودعم التعليم الالكتروني والتعلم عن بعد.

أن المكتبة الرقمية ستسهم مستقبلاً في مساندة منظومة التعليم الجامعي وخدمة منتسبي الجامعات العراقية والباحثين والمختصين، وبناء بيئة رقمية تواكب التطورات التقنية في صناعة النشر الإلكتروني وتزيد من سرعة التواصل بين العاملين في مجال الإنتاج والنشر العلمي مما يوفر جهد أعضاء هيئة التدريس والباحثين وغيرهم فيما يخص البحث عن المعلومات والوصول إليها في البيئة الرقمية، بالإضافة إلى دورها في اقتناء الكتب الرقمية التي أنتجتها الجامعات المرموقة في العالم، وكذلك التي أنتجت من قبل ناشرين تجاريين عالميين في مختلف التخصصات. ومن المعروف والذي لا يختلف عليه اثنين، ان شبكة الانترنت جعلت خدمات المكتبات الرقمية أسرع وأكثر كفاءة، كما يساعد الانترنت المكتبات على أن تصبح أكثر فعالية وهذا من خلال توفير خدمات خلاقة للمتعاملين معها وتستثمرها المكتبة كأداة فاعلة لتقديم خدماتها ■

طروحات عامة

مدرسة النجف

الوسطية والاعتدال

" قراءة في الخطاب "

د. حيدر نزار السيد سلمان ●

الكلية الإسلامية الجامعة

ينابيع

تمثل المدرسة النجفية (المرجعية الدينية العليا والحوزة العلمية وما يلحق بها من دراسات حوزوية علمية ومدارس دينية) المدرسة الأم لما تفرع من مدارس خاصة بتدريس العلوم الإسلامية وفق مذهب أهل البيت عليهم السلام وهي تعد الامتداد الحقيقي والتاريخي لأصالة هذا المذهب وثرائه الفكري العلمي بل إن هذه المدرسة تشكل العمود الفقري للبناء العقائدي وقوته الإبداعية وعلى هذا الحال لا يمكن تحقيق تصور عن مذهب أهل البيت عليهم السلام وعلومهم المتنوعة دون الاقتران بالمدرسة النجفية التي عكست حقيقة هذا الفكر وأظهرت صفاته ومبادئه وجوهره إلى العالم إنتاجاً وإبداعاً وتطوراً مستمراً بالاعتماد على الثوابت والركائز الأساسية بالإضافة إلى

قوة الهيبة والرصانة والسمعة الطيبة والمكانة المرموقة التي تحتلها هذه المدرسة والتي تشكلت على مدى فترات تاريخية متعاقبة ومتنوعة في ظروفها السياسية والاقتصادية والثقافية حتى إذا اتسمت الإشارة إلى تاريخ الشيعة وعقائدهم تنبثق التصورات في ذهنية المتلقي والمتابع عن النجف الأشرف ومدرستها وتقاليدها الدراسية والعلمية.

وعلى هذا الأساس فقد تميزت هذه المدرسة ذات التاريخ العريق والتراث الكبير بالفرادة والتميز والرصانة وقوة الاستجابة لعظيم التحديات فتكونت لديها ونتيجة للظروف المختلفة والتجارب الطويلة المتنوعة خبرات وتقاليد وأعراف خاصة والحقيقة إن هذا ما يميز الجامعات والمدارس الكبرى في التاريخ إذ تتكون لديها تقاليد وأعراف علمية متميزة خاصة بها تنبع من ظروفها وما مر عليها من أحداث وتجارب وما تراكم من تراث وفي هذا الإطار فإن المدرسة النجفية وأكاديميتها بشرت بثقافة اتسمت بالوسيطة والاعتدال والوقوف من المختلفات من المواضيع والمواقف والأمور بروح شفافة وحذر وعقلانية فانتشرت هذه الثقافة العقلانية المعتدلة القائمة أصلاً على فكر أهل البيت عليهم السلام والنهج الذي وضعوه هادياً ومرشداً من الأخطاء والزلل إذ نرى الاتزان والتوازن وحساب المصلحة العامة هو المثبت للمواقف والباعث للآراء بعيداً عن روح التعصب والانعزال والتحجر ولعلنا سنرى النماذج المقتبسة من فتاوى ومواقف وآراء مراجع النجف الأشرف الماضين والمعاصرين من المستجدات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الفنية مما يؤكد هذه الصورة وحقيقة النهج العقلاني الذي اختطته هذه المدرسة وحاولت الترويج له سلوكاً وعملاً مما لم تدركه أو

تفهمه الأطـراف المتشـددة المتطرفة التي حاولت وبفترات مختلفة الخروج عن الإطار العـام والنسـق الكلـي للأعـراف والتقاليد النجفيـة المرتبطة بالبنـاء الثقافي والفكري لهذه المدرسة.

وقد جاءت محاولات هؤلاء في خروجهم عن السـياق العام بحثاً عـن المكانة وجذب الأتبـاع عـن طريـق الغرائبية فـي المنطق والسـلوك وربما كانـت المدرسـة النجفية قـادرة وهو ما معروف تاريخيـاً احتواء مثل هذه التحركات والسـير حثيثـاً على الدرب الذي وضعـه البناة الأوائـل إذ بقي الصحيح المستند على العقل والمنطق والوسطية فيما انتهى التشدد والغلو والتطرف كما هو الحال مـع ظهـور المدرسـة الإخبارية فـي القرن الثامن عشـر الميلادي وما أحدثته من صدى لتنتهي وتبقى مدرسـة النجف الأشرف قامة باسقة ومقتدرة على التعامل مع المستجدات والتطـورات بمنهـج عقلـي ورؤيـة ثاقبـة وواضحة ومنفتحة.

كانت الفتوى من أبرز الوسـائل المؤثرة التـي اعتمدتهـا المدرسـة النجفيـة للتعبير عـن مواقفها ورؤيتها للأوضـاع العامة ولكل العالـم الإسـلامي وإذا حاولنـا التدقيق في الشـروط التي تصدر فيها الفتـوى لوجدنا من المحددات والضوابط القاسية والصارمة التي يراعيهـا المرجع المجتهـد في إصدار فتواه وهذا بالتأكيد يمنـح قدرة على معرفة مدى الوسطية والاعتدال والاتزان في فتاوى النجف على مدى تاريخها الطويل إذ لا يمكن إيجاد فتوى طويلة ومبهمة وغامضة تدعو إلى التساؤل والشـروحات الطويلة فكل الفتاوى واضحة للدرجـات المعرفيـة المتتالية فهي ليسـت موجهة لنخبة خاصة أو صفوة مختارة بـل هي للجميـع يفهمهـا ويهضـم عباراتها بسـهولة وكل ذلـك يجـري وفق الشـروط الصارمة المشـار إليها سـابقاً ومنها القدرة العقليـة والمنطقية والابتعاد عن الشـخصنة والمـرض والاعياء والتعب والحالة النفسـية والمزاجيـة العصبيـة لأن ذلـك وهـذه هي الحقيقة التي تؤكدها العلوم الحديثة تؤثر في الفحوى للفتوى وتأثيرها.

ثـم يأتي الأمـر الآخر في هـذا المجال باعتمـاد الحـق مهمـا كان ولأي طرف يقف فعلى سـبيل المثـال للدلالة علـى الاعتدال والوسـطية فان مرجعاً كبيراً كالشيخ محمد كاظـم الأخونـد الخراسـاني لم يتـوان عن نصرة المسيحيين عندما تعرضوا للاضطهاد والقمع على يـد العثمانيين في موقف واضح مع الحق أينما يكون ويحل.

ولدينا مثال آخر للدلالة على رجاحة العقل والابتعاد عن العصبية والتشنج وهو ما يمكن ملاحظتـه مـن المواقف المهمـة والعقلانية للسـيد كاظم اليزدي المرجع الكبير الذي لم يفهمه معاصروه ويستمر البعض لحد الآن في ظلمه وهذا يحتاج إلى موضوع خاص لكشف الحقائق عـن خفاياه بدراسـة علمية تنصف هذا العالم الجليل.

لو أجرينا جـرداً علمياً وموضوعياً يتتبع الفتـاوى المتنوعـة الأهداف الصـادرة عن مدرسـة النجف والتي تعد عاملاً أساسياً في تشـكيل الرأي العـام وصياغته موقف موحد من القضايا المثيرة والجدالية لأمكن للباحث أن يعثر على خطاب تنويري معتدل بعيد عن التكفير والإقصاء وهذه الحقيقة أعطت لهذه المدرسـة صلابتهـا وقوتهـا إزاء التحديات المصيرية الكبرى التي مرت عليها بالإضافة إلى صناعة سمعتها الطيبة والمحترمة من كل الاتجاهات.

وللدلالـة على تلـك المواقف الوسـطية

فإن سجلات التاريخ تقدم كماً متصاعداً من الدروس والعبر والتصرفات المنطقية فعلى سبيل المثال كان لهذه المدرسة أثراً مهماً في تحقيق الوحدة والتضامن الإسلامي عبر المشاركات الفعالة والنشطة في المؤتمرات والندوات والاجتماعات الداعية للوحدة ونبذ الخلافات والصراعات الطائفية والمذهبية ويمكن لنا ملاحظة ذلك من مؤتمر النجف الذي عقد في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي لتحقيق التقارب الإسلامي واستمراراً لهذا الخط التوحيدي كان لمدرسة النجف صوت قوي وأثر واضح في لقاءات التقارب والوحدة في بدايات القرن العشرين وبشكل مستمر لحد الآن. وكان للمفكر السيد محمد تقي الحكيم دوره البارز في ذلك.

وجاءت هذه الروحية والوحدوية من جانب المدرسة النجفية على الرغم من التشويش والتشنيع الذي مورس ضد المذهب الشيعي لكن السمة العقلانية هي التي تحركت بروح الانفتاح والرغبة في الحوار والجدال المفضي إلى نتائج إيجابية وبالفعل فإن هذه المدرسة وبجهود رجالها استطاعت الحصول على اعتراف الأزهر بأحقية المذهب الشيعي وتدريس فقهه في جامعة الأزهر وللإنصاف فإن ذلك لم يأتي من فراغ بل بالجهود المبذولة لإفهام الآخر المشوش فكرياً نتيجة ثقافة سائدة ومرسخة لتصورات خاطئة في الذهنية المقابلة فبعد أن كشفت الحقائق كانت الاستجابة والقبول وهكذا استطاع الخطاب الهادئ المستنير إزاحة ما يقف في الطريق من حواجز ومعرقلات ليدخل العقل بيسر ومقبولية عالية وهذا لا يقتصر على العالم الإسلامي فحسب بل امتد بتأثيره إلى كل العالم إذ وجدنا الدراسات والبحوث والكتابات الأكاديمية لكتاب ومفكرين أوربيين وغيرهم على سبيل المثال تبرز الجوانب العقلانية والوسيطة لمدرسة النجف بإشادة مقارنة بين فكر هذه المدرسة والمدارس الأخرى حتى أضفى ذلك كل على النجف المهيبة والمكانة الموقرة فهي لم تقف من التطورات العلمية والاجتماعية والسياسية موقف الرافض من منطلق التحجر والتشدد بل كان لها موقفها العلمي الصريح النابع من المصلحة العليا للمسلمين وبتأكيدها على القبول بالتجديد مادام غير متعارض مع العقيدة الإسلامية وربطها بين العلوم والإسلام وليس العكس كما يحاول البعض إيجاد تناقض بين العلم والإسلام فهي أي المدرسة النجفية منفتحة وقادرة على الاستيعاب والبحث عن البدائل في حالة الرفض.

وفي الفترة الأخيرة المعاصرة استحوذت مواقف مدرسة النجف وآراءها على إعجاب العالم والدالة على التسامح والاعتدال فقد وجدنا عشرات الكتاب والصحفيين الغربيين والعرب ومن هؤلاء كتاب لهم اتجاههم العلماني الخالص أثارتهم مواقف مدرسة النجف ومرجعيتها العليا فكتبوا باحترام وتقدير عاليين لهذه الحكمة وسيادة روح المنطق والعقل والقدرات على التوجيه والإرشاد ففي المجال السياسي شجعت هذه المدرسة مشاركة الجمهور بصورة واسعة وكثيفة في العمل السياسي عبر الانتخابات والتفاصيل السياسية الأخرى من غير تشدد أو تحامل على طرف من الأطراف وهي بذلك تؤكد مرة أخرى على ما تملكه من روح عصرية لها القابلية على التعامل مع أحداث العصر بإيجابية.

ولم يتحدد الموقف من الجانب السياسي بل تعداه إلى المواقف الإنسانية الشمولية

المتجذرة في تعاليم هذه المدرسة المتأصلة في جذورها إلى الفكر العلوي الذي طرحه إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام في مواقفه الإنسانية الشاملة فهذه المدرسة واستناداً على تراثها وتاريخها وقفت تدافع عن أبناء الديانات الأخرى بقوة وصلابة رافضاً ما تعرض له هؤلاء من اعتداءات داعية الحكومة إلى توفير الحماية لهم والدفاع عن أرواحهم وممتلكاتهم واتسع نشاطها لتقييم العلاقات الطيبة مع زعماء وقادة الأقليات الدينية الروحانيين والسياسيين إذ دائماً ما يتردد هؤلاء على النجف ولقاء مراجعها للحوار وتبادل وجهات النظر وهذا ما يعيد التذكير بالصلات القوية التي تربط بين مدرسة النجف وزعماء الطوائف الأخرى من غير المسلمين.

ولدينا في هذا السياق مثال عن مدى الاحترام والتبجيل الذي كان يكنه زعماء الطوائف غير المسلمة لمراجع النجف يتمثل بالمشاركة الواسعة في التشييع الكبير للمرجع الديني الأعلى السيد محسن الحكيم بوفاته عام (١٩٧٠م) إذ شارك كل الرؤساء الروحانيين بمراسيم التشييع ومجالس العزاء المقامة في هذه المناسبة والحقيقة إن ذلك يظهر لنا بجلاء المكانة المرموقة لمدرسة النجف ورموزها الحقيقيين الذين صنعوا مجدها وتاريخها منذ فترات تاريخية طويلة ولم يكن هذا المجد والرفعة لتتحقق لو لم تكن الروحية والثقافة السائدة في هذه المدرسة تتصف بالتسامح والاعتدال والوسطية والابتعاد عن القوة والإكراه والعنف في فرض الآراء بل هي الحكمة والموعظة الحسنة التي قام عليها خطاب النجف الخالص من العصبية والاندفاعات غير المبررة.

وعندما نتحدث عن الاتزان والتسامح فلدينا في ذلك مثالين رائعين لحكمة هذه المدرسة ونبوغها الفكري والمثالين يتعلقان بمرجعية السيد محسن الحكيم المتفردة إذ كان هذا المرجع الكبير على دراية عميقة بالتطورات السياسية العربية والإسلامية وله قدرة على الفرز بين الأشياء وحكمة في النظر إلى الأمور تعتمد على العقل والمنطق ففي بداية الستينات من القرن العشرين وعندما زار وفداً كبيراً من قيادات جبهة التحرير الوطنية الجزائرية التي قادت المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي واستطاعت تحقيق الاستقلال عام (١٩٦٢م) زار هذا الوفد برئاسة الرئيس الجزائري هواري بومدين المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم كانت النصيحة الأبرز والأهم التي أسدها المرجع الكبير إلى هذا الوفد تتمحور حول ضرورة التسامح وعدم الانتقام من الآخرين الذين لم يكونوا مع جبهة التحرير الوطنية وتغليب لغة العقل والسلام بدل لغة الدم والقوة حفاظاً على الشعب الجزائري من الانقسام والتشرذم وشيوع الصراع والتطلع نحو المستقبل بدل البقاء في الماضي والحقيقة إننا أمام استنارة وتسامح يبعث على التأمل في هذه الروحية المتسامحة والبعيدة النظر والعقلانية في التعامل مع المواضيع الخطيرة والوسطية في اتخاذ المواقف بل إنها قراءة واقعية وعصرية للواقع الجزائري باعتماد التحليل والاستنتاج وإشاعة روح التسامح بغية الخروج من حالة الحرب إلى حالة السلم والبناء والانطلاق نحو مستقبل جديد فيه من التماسك الاجتماعي والتعاون أكثر ما فيه من التناحر والتباغض الذي يقود إلى الخراب بل إن المطلع يستطيع القول إن ذلك يمثل قمة الروعة في الخطاب النجفي المتزن

الوسطي.

يأتـي المثال الآخر الذي يشـير إلـى بعد النظر والابتعاد عـن الفوضوية والـروح العصبية المتطرفة المفضيـة إلى الدمـار عندمـا زار وفد مـن منظمة التحرير الفلسـطينية فـي نهاية عقد السـتينات من القرن العشرين المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم للحصول على مباركته ودعمه للقضية الفلسطينية وهو ما كانت تقوم به المدرسـة النجفيـة إذ كانت الفتوى التي أصدرها المرجـع الأعلى واضحة لا تقبل اللبس أو الخروج عن المجددات الموضوعة للعمل الجهادي المقـام هذه الفتـوى يمكن عدها كوثيقـة مهمة لمن يتصـدى لهذا العمل والالتزام بالشـروط الشـرعية والضوابط والمحددات فالجهاد عند السيد الحكيم لا يعني الفوضى والاسـتهتار بأرواح الأبرياء باستغلال يافطة الجهاد والمقاومة.

فقـد أوضح السـيد الحكيـم منطلقاً مـن أصالة المدرسـة النجفية وعقلانيتها إن الجهاد إذا كان يلحق ضرراً بالعدو أكبر مما يلحق بالناس الأبرياء هو عمل شـرعي أما إذا كان يلحق الأضـرار بالأبرياء ويدمر البـلاد والعبـاد ولا يتأثر بـه العدو فهو ليـس جهاداً وبقراءة متأنية نرى أن هـذه المنطقية والعقلانية في الفتوى والخطـاب النجفي تحاول الفـرز بين العمل الحقيقي الشرعي المستند إلى المصلحة العامة والعمل الفوضـوي التدميري المسـتغل من أطـراف متعددة وأعتقـد إن هذا مـا حصل في أماكـن مختلفة أصبح استغلال الجهاد بلا ضوابط وبالاً عليها، والحقيقة إن لدينا سـجلاً مليئاً بالأمثلة والوقائع الدالة على سيادة الوسطية والاعتدال في مدرسة النجف وهذا جزء من تكوينهـا الفكري والثقافي إذ يبقى خطابها يحمل هذه السمات على الرغم من كل التحديات والزوابع وهذا هو ما جعل هذه المدرسـة تحظى بمكانتها ويحسـب لها حسـابها ولعل في الخطاب الـذي يطلقه المراجع الحقيقيين في النجف الآن دليلاً على هذه الوسـطية وهـذا الاعتـدال وهو مـا يحتاج إلى دراسـة مفصلة وطويلة تظهر ذلك ولفترات زمنية طويلة ■

طروحات عامة

تزكية النفس في موسم الحج

حسين جودي كاظم الجبوري •

ينابيع

هذه الأسطر كتبتها في توضيح الألفاظ الواردة في حديث الإمام علي بن الحسين عليه السلام حول مناسك الحج والعبرة الروحية وبيان الأخلاق والوجه المعنوي الباطني لتلك المناسك، فقد روي أنه لما رجع مولانا زين العابدين عليه السلام من الحج استقبله الشبلي أحد المعاصرين للإمام عليه السلام، فبدأ عليه السلام يسأله عن أعمال الحج، وما كان ينبغي للحاج أن يقصد بقلبه تزامناً مع تلك الأعمال الظاهرية، فنحن في هذا الحديث نقف على محطات روحية تذكرنا بحركتنا الإيمانية عن التوجه إليه تعالى، ومن أين نبتدئ وماذا علينا أن نفعل، نحن لم نتبع جميع الأفعال

بل اخترنا ما ينفعنا.

قال الإمام عليه السلام للشبلي: (حججت يا شبلي قال نعم يا بن رسول الله، فقال عليه السلام: أنزلت الميقات وتجردت عن مخيط الثياب واغتسلت؟ قال: نعم فحين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟).

قوله عليه السلام: (نويت) المعروف من النية عند الفقهاء هي القصد إلى فعل معين تقرباً إليه تعالى، والقربة هي غاية الفعل المتعبد، وهي قرب الشوق لا الزمان والمكان لتنزه تعالى عنهما، والقصد يتوقف على تعين المقصود ليمكن التوجه إليه (انظر: الشهيد الثاني، شرح اللمعة، ج١ ص٧٤-٧٥).

أي أننا بإزاء فعل معين وسلوك معين، وهو يحتاج إلى إرادة وقصد لمن لديه عقل وهم أهل التكليف، وتحديد الغاية التي من أجلها يتم إيقاع الفعل وهي عبادة الله عز وجل والتقرب إليه، والفعل الذي نحن نعمله يكون ما بين الإرادة والغاية. وخلاصة الكلام أن النية أمر نفسي لعل بعض الفقهاء عبر عنها بالاستحضار من قبيل استحضار الصلاة كما في الشرائع في باب الصلاة أو كما نقلنا قبل قليل هي القصد إلى فعل معين، وبالتالي فإن قول الإمام عليه السلام هنا (نويت) التي يكررها في الرواية عند ذكر كل فعل من المناسك تشير إلى أن الحج كعبادة فيها عمل خارجي وظاهري وعمل معنوي، أو فعل باطني كالفعل الخارجي.

أما قوله عليه السلام: (خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة)، الخلع الظاهري هو خلع الثوب الذي غطى البدن وكأن الحاج عندما يخلع لباسه هنا عليه أن يلتفت إلى شيء وهو خلع لباس المعصية والانتقال إلى حالة جديدة ومسار جديد بحلة جديدة

وهو لباس الطاعة وفيه هنا:

١ـ إطلاق كلمة (ثوب) وإضافتها إلى المعصية لعله من تقريب المجردات والمعنويات إلى التقرير الحسي من باب الاستعارة والله العالم، يقول الإمام عليه السلام نفسه في مناجاة التائبين: (إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلتي). وثوب المعصية هو ثوب الذلة والفقر والحاجة، وثوب الطاعة عند المقابلة مع المعصية يكون هو ثوب العزة والقوة والطمأنينة والرحمة.

٢ـ قوله عليه السلام: (لبست ثوب الطاعة) فإن الطاعة والالتزام والتقوى تحتاج إلى منهج لتلك الطاعة وصراط مستقيم، ومعرفة بداية ذلك الصراط، وأوله تنوير العقل لمعرفة صاحب الطاعة أي لمن نطيع، ولماذا نطيع!؟

إذن البداية هنا هو ترك المعاصي والتوجه إلى طاعة رب العزة لأن المعصية هو خطأ وجرم وانحراف فيه دلالة على قلة الالتزام أو عدم معرفته وجهله، والذي ينطلق في رحاب مسيره إلى الله تعالى عليه أن لا يغفل عن المعصية فهي تنافي القربة.

ومن هنا نلاحظ التركيز على طهارة الروح والدوام عليها هي أو الطريق في العبادة والتقرب، فنلاحظ بعد هذا المقطع قوله عليه السلام: (فحين تجردت عن مخيط ثيابك نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق وللدخول في الشبهات)، في قبال هذا التجرد الحسي هناك تجرد باطني بقرينة (مخيط الثياب) وهي ظاهرة للعيان وذكر (الرياء والنفاق والدخول في الشبهات) فهي أشياء غير محسوسة تمثل النوع الثاني من التجرد، ولعل الإمام عليه السلام ذكر هذه الثلاثة بالخصوص ما للتنبيه إلى الجانب الأخلاقي النفسي. فلا فاصلة عندئذ بين جميع الأمور الأخلاقية كانت هذه الثلاثة من باب ضرب المثال، أو تم ذكر هذه في الرواية لخصوصيتها وشدة الابتلاء بها والله تعالى العالم، على أنه سوف يذكر الغيبة بعد قليل.

والملاحظ أن هذه الأمور تجعل الباطن للإنسان يضطرب وتكشف عن عدم استقراره في طاعته إليه تعالى فالرياء هو الشرك الأصغر والنفاق مرض أخلاقي وكذلك عدم التورع عن الشبهات، فالمؤمن عليه أن يراقب نفسه حتى في الشبهات وإلا لماذا الإمام عليه السلام يشير إلى الابتعاد عن الدخول فيها.

وقال عليه السلام: (فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب) هنا يذكر الإمام عليه السلام الغسل للإحرام وآلية الاغتسال ليس مجرد صب الماء لإزالة أثر معين على البدن عند نجاسته أو لتنظيفه من أدران معينة، بل هناك أثر نفسي لتلك المعاصي لا نراه بعين الباصرة، أرشدنا إلى هذا المعنى اللطيف هو لفظة (الغسل) الواردة في الرواية فقد ورد من هذا القبيل كما في بعض الروايات قول النبي صلى الله عليه وآله: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات) فكما أن النهر الجاري يغتسل بمائه لأجل نظافة البدن فكذا الصلاة بنفس أثر التنظيف خاصة الروح فكانت الرواية فيها تشبيه والتشبيه كما تعلمون هو بيان حقيقة أمر مجهول بأمر أخر معلوم، وقوله عليه السلام: (من الخطايا) فالحرف (من) هو للبيان.

ولو لاحظنا سياق وتركيب العبارات السابقة حيث أن الإمام عليه السلام ذكر أول الأمر ترك المعصية ولبس ثوب الطاعة

ومن ثم الاغتسال وما بينهما ذكر التجرد مشيراً إلى بعض القضايا الأخلاقية أو الأمراض الباطنية، وأن لهذه الانحرافات أسباباً أي أن بقاء آفة النفس وأمراضها لا يجدي نفع فالذي يتوجه إلى الطاعة عليه أن يزيل تلك الجذور والعادات والأخلاقيات السيئة وتحل محلها أخلاقاً جديدة ربانية وهذا من خلال التجرد أو عبر تخلية النفس من تلك الأخلاق الرذيلة ومن ثم تحليتها بالفضائل وتطهير النفس من الآثار وهذا هو المعين على الطاعة والتسليم وإلا فإن الإنسان يعيش صراعاً نفسياً عند وجود أسباب الانحراف فيغلبه هواه وينقاد لطاعة الشيطان والعياذ بالله.

ومما يؤيد ذلك ورد في أعمال الحج دعاء عند الغسل وفيه: (... اللهم طهرني وطهر قلبي واشرح لي صدري واجر على لساني محبتك ومدحتك والثناء عليك فإنه لا قوة لي إلا بك وقد علمت أن قوام ديني التسليم لك والإتباع لسنة نبيك صلواتك عليه وآله).

أما قوله عليه السلام: (فحين تنظفت وأحرمت وعقدت الحج نويت أنك تنظفت بنور التوبة الخالصة لله تعالى) يظهر أن هذا المقطع وما بعده يشير إلى التوبة من المعاصي والذنوب

مع مناسبة الإحرام وفك وحل كل عقدة مع غير الله تعالى والمتوجه إلى الله تعالى يحتاج إلى أمور تعينه في السلوك وتحرم عليه أمور، وأول هذه الأمور هو الإخلاص له تعالى ثم ترك المحرمات لذا قال عليه السلام: (فحين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرم حرمه الله) وهذا شبيه بتكبيرة الإحرام في الصلاة فالخروج والهجرة من باطن النفس إلى الله عز وجل مثل التوحيد وإنارة القلب يحتاج إلى ترك عالم الدنيا وتجاوز حب النفس، لارتباط الرغبات مع عالم الدنيا فيضعف أمامها الإنسان ويقع في الانحراف.

وقوله عليه السلام: (فحين صليت الركعتين نويت أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة وأكبر حسنات العباد؟) لعله يفهم قوله عليه السلام: (أنك تقربت إلى الله بخير الأعمال من الصلاة) إن العبد بعد توجهه إلى الله تعالى عليه التقرب إليه بأداء الأعمال أي أن العمل الجزء المهم من رسالة وحركة الإنسان المؤمن وكانت عبارة (من الصلاة) هي مصداق بارز من مصاديق خير الأعمال، نقل الشيخ البهائي في كتابه مفتاح الفلاح ص٤٤ باللفظة: (ومعنى حي على خير العمل أقبل على عمل هو أفضل الأعمال أعني الصلاة وقد روى ... في الكافي ... عن معاوية بن وهب قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عز وجل ما هو؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة).

ولعل التأكيد على الجانب الأخلاقي والالتزام ومدى إخلاص الإنسان يتضح من بعض عبارات الحديث كما هو ظاهر فبعد أن يذكر الإمام عليه السلام بقوله: (بنور التوبة الخالصة لله تعالى) وعدم فعل الآثام ويحرم على نفسه ما حرمه الله عز وجل نلاحظ هذا المعنى جلياً عند قوله عليه السلام للشبلي عند دخوله الحرم المكي: (نويت أنك حرمت على نفسك كل غيبة تستغيبها المسلمين من أهل ملة الإسلام)، وقوله عليه السلام في السعي: (فحين سعيت نويت أنك هربت إلى الله وعرف منك ذلك علام الغيوب) فقوله: (علام الغيوب) قرينة تشير إلى أن الله سبحانه يطلع على أحوال العباد ومدى إخلاصهم أو ما يقترفونه من محرم وهذا يتطلب مقداراً من الالتزام والطاعة ويدل عليه أيضاً ما يأتي من قوله عليه السلام في مصافحة الحجر الأسود: (فانظر يا مسكين لا تضع أجر ما عظمت حرمته وتنقص المصافحة بالمخالفة وقبض الحرام نظير أهل الآثام).

أما قوله عليه السلام في الصلاة في مقام إبراهيم عليه السلام: (فحين صليت فيه ركعتين نويت أنك صليت بصلاة إبراهيم عليه السلام وأرغمت بصلاتك أنف الشيطان؟)، لعل المقصود من صلاة إبراهيم عليه السلام هي صلاة الموحد الذي وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وهو ليس من المشركين بقرينة (أنف الشيطان) لأن أهل التوحيد الذي عاشوا الهجرة إليه تعالى توكلوا عليه واستعانوا به وابتعدوا عن هذه العوالم الدنيوية فعندما يصلون تتجسد هذه العلاقة بينهم وبين الله تعالى في صلاتهم، وكأن المعراج الحقيقي لأرواحهم الطاهرة صعوداً نحو الكمال المطلق، فالشيطان هو الذي حاول إبعاد إبراهيم عليه السلام عن ذبح ابنه ورماه عليه السلام بالحجارة، فعلينا تحطيم الأصنام التي نعكف عليها عابدين في أنفسنا وإبعادها

عن طريق الحق، فالشيطان يقطع طريق العبادة والطاعة على الإنسان ويخذله، وخصوصاً في الصلوة، واعلم أن صلاة كل إنسان هي مصداق التوحيدية أولاً وبالذات فتكون صلاتك حاكية عن الحال الذي أنت عليه وقد جاء عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (إن الرجلين من أمتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن بين صلاتيهما مثل ما بين السماء والأرض) وطوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء فلم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره. (انظر: من الخلق إلى الحق ص٧٨).

وقوله عليه السلام: (أسعيت بين الصفا والمروة ومشيت وترددت بينهما؟ قال نعم، قال له: نويت أنك بين الرجاء والخوف) حال المؤمنين المشتغلين في أنفسهم وأعمالهم قاصدين وجهه الكريم يعيشون حالة بين الخوف والرجاء الخوف من العقاب والعذاب ورجاء رحمته التي وسعت كل شيء وكلما ازدادوا معرفة وقناعة ازداد قلقهم وخوفهم من مصيرهم بين يدي الله تعالى فكانت رحمته هي الأمل فكل ما صدر منه وبلطفه حتى هذه العبادات هي من تعليم الأنبياء لنا لأجل اللطف بالعباد فأي جزيل نستحق من تلك العبادة فيلطفه، ومن منا لا يشعر بالتقصير في أداء الواجبات وترك المحرمات حتى يستحق تمام العوض والمثوبة، وسيأتي بعدها قوله عليه السلام: (نويت بطلوعك جبل الرحمة، أن الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة ويتولى كل مسلم ومسلمة)، وسيأتي أيضاً قوله عليه السلام: (فعندما صليت في مسجد الخيف نويت أنك لا تخاف إلا الله عز وجل وذنبك ولا ترجو إلا رحمة الله تعالى).

وقوله عليه السلام: (فعندما مشيت بمزدلفة ولقطت منها الحصى نويت أنك رفعت عنك كل معصية وجهل وثبت كل علم وعمل) هنا لعله توجد إشارة إلى أن المعصية والجهل في جانب واحد فالعالم والعارف يكون على بصيرة من أمره أي أن العلم وسيلة نافعة للوصول ونجد في قبال هذا العلم والعمل به لأن العلم بدون عمل لا يكفي فالعلم يهتف بالعمل إن أجاب وإلا ارتحل.

قبل قليل ذكر الإمام عليه السلام مسألة الخوف والرجاء وهنا ذكر الخوف أيضاً بقوله: (فعندما مررت بالمشعر الحرام نويت أنك أشعرت قلبك إشعار أهل التقوى والخوف لله عز وجل) من الأمور المفيدة للمؤمنين هي ذكر الموت وأحوال القبر والحشر والنار، ولا يصل الإنسان إلى معنى العبودية إلا بعد حصوله على تصديقه بالتقصير والإسراف على نفسه، ولا يحصل له ذلك إلا بعد تيقنه بالعقاب وأنه هالك من كثرة جرائره (انظر: السير إلى الله العلامة الشيخ ميرزا جواد الملكي التبريزي، ص٢٤ ملخصاً).

وقوله عليه السلام: (فعندما رميت الجمار نويت أنك رميت عدوك إبليس وغضبته بتمام حجك النفيس) الشيطان عدو للإنسان بصريح القرآن، وهو يحسد ابن آدم على طاعته فيحاول صرفه عن ذلك، وما يحدث للحاج في مسيرته وعروجه في منازل التوحيد، والالتزام في العمل والطاعة، والإخلاص، هو نصير على الشيطان ولعل قول الإمام عليه السلام: (وغضبته بتام حجك النفيس) إشارة إلى ذلك والله العالم. والحمد لله رب العالمين ■

طروحات عامة

استراتيجية الإصلاح والتنمية الإدارية في العراق

فلاح شفيع •
محاسب قانوني/ لندن

ينابيع

تتصف عمليات التنمية الاقتصادية كونها شاملة ومتعددة الجوانب والأبعاد تمثل التنمية الإدارية حلقة أساسية ضمن استراتيجيتها، فهنالك علاقة وثيقة بين التنمية الإدارية والتنمية الاقتصادية الشاملة، سنحاول في هذه الدراسة المختصرة توضيح ذلك.

أن دراسة واقع الاقتصاد العراقي وعملية النهوض التنموي له تتم ضمن محورين أساسيين هما:

أولاً: الجانب المادي المتمثل بالقدرة الإنتاجية السلعية والخدمية لمؤسسات الدولة العراقية للقطاع (العام والخاص)، والبنى القاعدية الأساسية التي تخدم جميع

الانشطة.

ثانياً: الجانب المعنوي المتمثل بنوعية علاقات العمل السائدة، ونماذج أنظمة العمل المطبقة، وطبيعة السلوكيات السائدة ومستوى أداء المؤسسات والعاملين فيها،

فتنفيذ أي خطة تنموية ناجحة يجب أن تتم من خلال حصول تطور مهم في هذين المحورين.

فالتجارب التنموية الناجحة التي حققتها الدول المتقدمة حصلت بفضل متانة خططها التنموية وبفضل إدارتها الكفوءة الواعية.

سنتناول في هذه الدراسة بحث تفاصيل المحور الثاني من خلال توضيح أهم مظاهره وأسبابه وتحديد حجم تأثيره على العملية التنموية الاقتصادية، وبيان أهم المعالجات الإصلاحية له.

مؤسسات الدولة العراقية

وهي تشمل..

اولا: الدوائر والمؤسسات الحكومية التابعة للحكومة المركزية والمحلية الممولة من الخزينة المركزية أو موازنات مستقلة. لهذه المؤسسات والدوائر أهمية كبيرة لكونها تمثل الأداة الاساسية تستطيع من خلالها الحكومة في تنفيذ سياساتها وخططها التنموية والإعمارية، وعن طريقها تستطيع الحكومة تقديم مختلف خدماتها إلى القطاعات الاقتصادية وإلى أفراد المجتمع العراقي، فهي تعكس الوجه الحضاري للبلد.

وثانياً: الوحدات الاقتصادية الإنتاجية

(السلعية والخدمية) العاملة في النشاط الاقتصادي،ضمن نطاق القطاع العام أو الخاص، فهي تمثل القدرة الإنتاجية في البلد، ويمثل مجموع إنتاجها العمود الفقري للناتج الإجمالي العام للبلد.

الفساد المالي والإداري

تشير مختلف المؤشرات والمعايير العالمية المختصة بقياس هذه الظاهرة إلى انتشارها وشمولها مختلف المستويات الإدارية في مؤسسات الدولة العراقية وأصبحت هذه الظاهرة متعارف عليها في المجتمع العراقي.

يمكن تفسير ظاهرة الفساد الإداري والمالي بحصول خلل أو انحراف عند ممارسة الوظائف الإدارية، من خلال استخدام الموظف الفاسد صلاحياته الوظيفية لتحقيق مكسب مالي أو معنوي له، فالفساد الإداري يسبق الفساد المالي وهو يمثل نتيجة حتمية له.

عملية الإصلاح والتنمية الإدارية

تتم عملية إصلاح وتطوير الأجهزة الإدارية ضمن مرحلتين أساسيتين متكاملتين ومتداخلتين مع بعضهما، كما يلي:

أولاً: مرحلة التنظير الفكري للظاهرة:

تقترن المعالجة السليمة والحلول الناجعة لأي مشكلة بالتحليل العلمي الدقيق لها.

تتم عملية التنظير من خلال دراسة الواقع الميداني للظاهرة وإجراء التحليل العلمي لأبعادها الفلسفية وتحديد أهم العوامل المرتبطة بها وتوضيح طبيعة العلاقة التبادلية بينهما.

يمكن تحديد أربعة محاور أساسية لنشوء هذه الظاهرة هي البعد السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي والإداري، وتمثل هذه المحاور الابعاد الفلسفية لأسباب نشوئها.

١ـ البعد السياسي:

التأثير المباشر لهذا البعد يتمثل بتدخل السياسين في إدارة الأجهزة الإدارية والمالية في البلد بعيداً عن الجانب المهني، وتأثير غير مباشر ناتج من الانعكاس السلبي للاحداث السياسية الجارية في البلد على مختلف الانشطة منها الأجهزة الإدارية.

في زمن النظام السابق تم شغل المناصب الحكومية في مؤسسات الدولة والقطاع العام وفق رغبات قيادة النظام دون مراعاة للجوانب المهنية والسلوكية، كما واتسمت سلوكياته بعدم المسؤولة تمثلت بحروبه العبثية والأحداث السياسية التي رافقت حكمه.

بعد عملية التغيير السياسي في العراق استمر نفس الأسلوب من خلال التطبيق السيئ لأسلوب المحاصصة السياسية الذي اعتمد كحلّ توافقي للوضع السياسي السائد في حينه، توسع تطبيق هذا الأسلوب بشكل افقي وعمودي تم بموجبه شغل الأعضاء المنتمين للكيانات السياسية مناصب وظيفية دون اعتبار لمبدئي الكفاءة والنزاهة.

وتمثل حالة الصراع البيني للكيانات السياسية عوامل أساسية ساهمت بشكل كبير في تأجيج الهوة وتعميق حالة الانقسام بين مكونات المجتمع العراقي

وتردي الحالة المعنوية لهما وفقدان الدافع الوطني دوره في الحالة المعنوية للعاملين. ساهمت هذه العوامل على تدني مستوى الأداء العام وعدم كفاءة الانشطة الحكومية وفشل الخطط التنموية.

نرى ضرورة إيجاد آلية فعالة لمراقبة عمل الأحزاب السياسية وتفعيل أهدافها الوطنية وإلزامهم على صياغة خطاب سياسي منسجم مع المنطلقات الفكرية لمفاهيم المواطنة واحترام حقوق الآخرين ومبدأ سيادة القانون، بما يضمن مصالح جميع أفراد الشعب وتحفيز الروح الوطنية لديهم لضمان مشاركة الجميع في العمليات التنموية وبناء مواطن مكتمل الشخصية في الجوانب المهنية والسلوكية يكون مفيداً لنفسه ولمجتمعه.

٢ـ البعد الاجتماعي:

يمثل البعد الاجتماعي في منظومة القيم الاجتماعية ونماذج السلوكيات الأخلاقية السائدة في المجتمع العراقي، يعتمد تحديد هذا البعد على جرد المفاهيم الاجتماعية السائدة بغرض تحديد المفاهيم الايجابية والسلبية، ليتم على ضوئها اعتماد استراتيجية وطنية شاملة تشترك فيها جميع أجهزة ومؤسسات الدولة بالتنسيق مع مؤسسات المجتمع المدني والأجهزة الاعلامية لتعزيز المفاهيم الأخلاقية الإيجابية وإشاعتها لدى أفراد المجتمع العراقي.

إن الخطوات التنموية سيصيبها الفشل والتلكؤ ما لم تتخذ الخطوات العملية في هذا الجانب. فالتجارب التنموية الناجحة التي نفذتها المجتمعات العالمية المتقدمة ابتدأت أولاً بأجراء تغييرات مهمة في الجانب الاجتماعي والثقافي. لأن الرداع الاجتماعي في بعض الاحيان أكثر فعالية وأهمية من الرادع القانوني والديني.

٣ـ البعد الاقتصادي:

ويتمثل بإجراء الموازنة بين مستويات أجور العاملين مع مستويات الأسعار السائدة في السوق الوطنية، فيجب الحفاظ على هذه الموازنة وجعلها ضمن المؤشرات والمعايير الدولية المقبولة، لأن حصول أي خلل فيها يشجع العاملين على الانحراف السلوكي وقبولهم الرشوة.

إن زيادة الأجور النقدية للعاملين وعدم تطبيق سياسات مالية واقتصادية للسيطرة على معدل التضخم يؤدي إلى تآكل القدرة الشرائية للعاملين ويخلل بالموازنة المذكورة.

٤ـ البعد الإداري:

يتكون هذا البعد من الفقرات والمقومات التالية:

أ ـ مستوى كفاءة أنظمة العمل المعمول بها.

ب ـ نوعية (التقنيات) المعمول بها في الأجهزة الإدارية والمالية للدولة العراقية.

ج ـ مستوى كفاءة ومتانة (إجراءات الرقابة والضبط الداخليتين) المعمول بهما.

د ـ وأخيراً مستوى كفاءة أداء أجهزة التدقيق قبل وبعد الصرف في الدوائر العراقية.

هـ ـ مسار سير الأوامر الإدارية، ومستوى الحزم الإداري.

بعد عملية التغيير السياسي جرى تطبيق أفكار نظرية اقتصاد السوق كأسلوب بديل في إدارة الأنشطة الاقتصادية، تم بموجبه

اعتماد استراتيجيات جديدة حصل بموجبها إجراء تعديل جوهري في الهياكل التنظيمية للأجهزة الحكومية والوحدات الاقتصادية من الناحية التنظيمية والوظيفية انسجاماً مع هذا التغيير. اعتمد مثلا تطبيق أسلوب (النظام اللامركزي) ضمن التقسيم الهيكلي الإداري والمالي لأجهزة الدولة وللمحافظات والأقاليم العراقية، منحت بموجبه الوحدات الإدارية صلاحيات واسعة في التعاقد والصرف.

من الملاحظ أن التغيير الهيكلي الذي جرى وفق أفكار نظرية اقتصاد السوق في إدارة الانشطة الاقتصادية والإدارية لم يتم التهيئة والتحضير الجيدين لتنفيذه ولم يتم تهيئة الوسائل والاليات المناسبة لضمان حسن تطبيقها.

لذلك فقد جاءت نتائج التطبيق غير منضبطة ولم تحقق المزايا والفوائد المرجوه منه، نرى من الضروري اعتماد المعايير والاليات العلمية وتهيئة الظروف المناسبة لتطبيقه.

ثانياً: مرحلة التطبيق العملي:

بعد دراسة الظاهرة وتحديد أبعادها والعوامل المتعلقة والمرتبطة بها،ننتقل إلى مرحلة التطبيق العملي من خلال اعتماد مجموعة السياسات والبرامج العملية.

إن التوقف عند مرحلة التنظير سيخدم أغراض البحث العلمي الأكاديمي فقط، فلأجل الاستفادة الحقيقية من البحث العلمي يجب أن تقترن الدراسة البحثية بخطوات وبرامج عملية لتنفيذها.

يجب تمتع الجهة المكلفة بعملية التنفيذ بمؤهلات وخبرات مهنية تراكمية تؤهلها إنجاز عملها.

أهمية إصلاح وتنمية الأجهزة المالية والإدارية في العراق

لا يمكن تحقيق تنمية حقيقية ناجحة في البلد دون وجود مؤسسات حكومية متطورة ونشطة تستطيع مواكبة عمليات التنمية المنشودة. إن عملية الإصلاح المنشودة تحقق هدفين هما معالجة حالة التدني في مستوى الأداء، وتقليل حالات الفساد إلى أدنى مستوى ممكن.

لذلك تسعى الوحدات الاقتصادية في المجتمعات المتحضرة بصورة دورية ومستمرة في اجراء عملية تطوير وتحديث لانظمة عملها والآليات المعمول بها في الأجهزة الإدارية، بغرض تحقيق مزايا عديدة في التكاليف وفي سرعة ودقة الإنجاز.

كما وتقوم حكومات الدول المتقدمة بصورة دورية بتطوير أجهزتها الإدارية والمالية لتحديثها وجعلها أكثر حيوية، وتكون عملية الإصلاح للأجهزة الحكومية ضرورية جدا عند حصول أحد الحالات التالية:

عند حصول عملية تغيير جذرية للنظام السياسي في البلد، أو عند حصول حروب داخلية، أو عند حصول أزمات اقتصادية أو مالية أو حالات فساد مالي وإداري خطيرة في البلد.

يلاحظ أن العوامل الثلاث مجتمعة قد حصلت فعلا بشكل معين في العراق، لذلك فإن عملية الإصلاح والتنمية اضحت مهمة اساسية وحيوية لاتحتمل التأجيل وبدونها لا يمكن تحقيق أي نجاح في العمليات التنموية في الجوانب الاقتصادية أو السياسية او الاجتماعية... الخ.

الاضرار الناتجة من ظاهرة الفساد وانخفاض مستوى اداء الأجهزة الحكومية

يمكن قياس حجم الأضرار ضمن جانبين أساسين هما:

أولاً: الجانب المادي، ويتم قياسه بحجم المبالغ المهدورة نتيجة ظاهرة الفساد وانخفاض مستوى الاداء.

وثانياً: الجانب المعنوي المتمثل بمعانات المراجعين والحالة النفسية لهم نتيجة الروتين الحكومي المعقد المسبب للملل وضياع الوقت للمواطنين والعاملين في دوائر الحكومية. من الصعوبة التوصل إلى معايير دقيقية لقياس حجم الاضرار الحاصل في هذين الجانبين لعدم توفر المعايير الدقيقة لقياسهما.

لكن على العموم يمكن تحديد أهم تلك الأضرار في الجوانب التالية:

١- حجم المبالغ المهدورة من خزينة الدولة نتيجة الفساد الإداري والمالي.

٢- ضياع فرص تنموية نتيجة عدم تمكن أجهزة الدولة بتنفيذ الاعتمادات الحكومية المخصصة للمشاريع التنموية والاعمارية، ومن الاستفادة الحقيقية من المنح والائتمانات التي قدمتها دول العالم للحكومة العراقية ضمن المؤتمرات العالمية.

٣- عدم تمكن الأجهزة الحكومية بتقديم أفضل الخدمات بالمستوى اللائق

للمواطنين.

٤- عدم دقة نتائج التنفيذ، مما أفقد الأجهزة التخطيطة والتنفيذية من الوصول إلى البيانات والمعلومات الضرورية الدقيقة لأغراض عملية التخطيط والمراقبة الفعالة.

٥- عرقلة سياسة جذب الاستثمارات المحلية والخارجية لتنفيذ مشاريع استثمارية في البلد، حيث تحتسب الشركات الاستثمارية مبالغ إضافية تتوقع تحملها نتيجة فساد وعدم كفاءة الأجهزة الإدارية الحكومية وتضيف تلك التكاليف إلى كلفة المشاريع المراد تنفيذها.

٦- عرقلة في حركة انسيابية سير إنجاز المعاملات داخل الدوائر الحكومية.

مقومات عملية الإصلاح والتنمية الإدارية

تجري عملية الإصلاح ضمن خطوات علمية متسلسلة متكاملة ومتداخلة مع بعضها وبشكل متلائم مع الظروف والمتغيرات السائدة في المجتمع العراقي وفي العالم.

يمكن تحديد ثلاث محاور أساسية يتم من خلالها اجراء عملية الإصلاح والتنمية الإدارية:

١- تطوير كفاءة المؤسسات، من خلال أعادة هيكلتها من الناحية التنظيمية والوظيفية، ومن خلال تطوير (انظمة العمل ومستوى التقنيات المعمول) بهما.

أ - أنظمة العمل: يقصد بمفهوم (انظمة العمل) الفقرات التالية:

١- مجموعة التشريعات (القوانيين والانظمة) الناظمة لتنفيذ الأعمال في مختلف الانشطة الإدارية (المالية، التسويقية، إدارة الافراد، إدارة الانتاج، إدارة المخازن، .... الخ)،

٢- الهيكل التنظيمي والوظيفي، يحدد الهيكل التنظيمي الترتيب الإداري للمؤسسة طبقا لاهداف الدائرة اوالوحدة، وبموجبه يتحدد مسار الصلاحيات والمسؤوليات على مستوى الفرد والقسم، ومسار الاوامر الإدارية وطبيعة تنفيذها.

٣- الاجراءات الروتينية التي تحدد خطوات ومسار إنجاز الأعمال داخل الدائرة او الوحدة.

٤- الوثائق المطلوبة من قبل صاحب المعاملة.

٥- النماذج والمستندات (الدورة المستندية) وهي مجموعة المستندات المستخدمة في الدائرة لإنجاز الأعمال.

٦- أنظمة واجراءات الرقابة والضبط الداخليتين المعتمدة التطبيق في الدائرة اوالشركة،

ب - التقنيات: وهي تشمل عنصرين اساسين هما مجموعة الأجهزة والاليات المستخدمة لتنفيذ العمليات الإدارية، والأسلوب او الطريقة المتبعة لتنفيذ الأعمال.

تشكل هاتين المجموعتين العناصر الاساسية لانظمة العمل، يلتزم مجموع العاملين بمختلف المستويات الإدارية بتطبيقها ضمن نطاق عملهم، فهي توضح كيفية إنجازهم للأعمال، وعلى اساسها تشكل الانظمة المعمول بها في المؤسسة (النظام المخزني، نظام التسويق، نظام إدارة الافراد، نظام إدارة الانتاج، النظام المحاسبي والمالي.... الخ)،

وهي تحدد مستوى ونوعية المقدرة

الانتاجية للمؤسسات وقدرتها التنافسية في تقديم افضل انتاجها (السلعي اوالخدمي) بأقل التكاليف وبافضل النوعيات وبالوقت المناسب.

ضمن قوانين العولمة وقرارات منظمة التجارة العالمية اصبحت الاسواق العالمية مفتوحة الغيت بموجبها جميع قوانين واحكام الحماية والدعم الحكوميين للقطاعات والمؤسسات الانتاجية والخدمية الوطنية، انصبت مجالات المنافسة بينهما على الجهة التي تملك وتطبق افضل انواع التقنيات وانظمة العمل المتطورة في المجال الإداري والتكنولوجي، لتتمكن بموجبهما في منافسة منتجات الاخرين في السوق المحلية والعالمية. لذلك فقد اهتمت المؤسسات العالمية وخصصت ميزانيات كبيرة لهذا الغرض، وهي تجري باستمرار مراجعة دورية لفحص انظمة عملها لتطويره.

تتصف أنظمة العمل المطبقة في الدول النامية ومنها العراق بالبدائية والمتقادمة، نتيجة عدم تفهم القيادات السياسية والإدارية لاهمية الإصلاح والتنمية الإدارية، لذلك لم نشاهد وجود جهة او مؤسسة مختصة تتكلف دوريا بمهمة (إصلاح وفحص وتطوير) انظمة العمل المطبقة في الأجهزة الحكومية.

إن تردي مستوى اداء الأجهزة الإدارية تمثل ظروف ملائمة ومرتع جيد لنمو وتعاظم حالات الفساد المالي والإداري،وهي تمثل اهم عقبة تحول دون تحقيق تنمية حقيقية، وستزيد من حجم الهدر والاسراف في الطاقات وسيتعاظم بموجبها حجم الانفاق دون ان يقابله زيادة مماثلة في القدرة الانتاجية. يجب تحديث وتطوير انظمة العمل والتقنيات المعمول بها حاليا لكونها متقادمة لم يجر لها اي تطوير او تحسين خلال العقود الماضية.

وضرورة تقوية انظمة الرقابة واجراءات الضبط الداخليتين لرفع مستوى كفاءتها، وتفعيل أجهزة التدقيق قبل الصرف للحد من حالات الفساد المالي والإداري.

ان حجم الاضرار الناتج من انخفاض كفاءة اداء الأعمال يفوق بكثير حجم الاضرار الناتجة من الفساد المالي،الفرق بينهما الاول مصان لانه اتبع التعليمات والقوانيين النافذة في حين يمثل الفساد المالي تصرف ارادي مخالف للانظمة والقوانيين يحقق بها مصلحة خاصة به.

٢ـ المحور الثاني: المؤهلات العلمية والمهنية للكادر الوظيفي:

ان مستوى التأهيل الذي يجب ان يتمتع به الكادر له اهمية عظمى، فطبيعة وطريقة اداءه للأعمال الموكله اليه ومبادرته في إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل التي تعترض عمله تعتمد بشكل كبيرعلى مستوى تأهيله وقابلياته الذهنية ومستوى وافق تفكيره، فالموظف القدير يتمتع بمقدرة وكفاءة عالية على معالجة الامور بمهنية وموضوعية لصالح العمل، يحقق بموجبها فوائد ومزايا عديدة في المال والوقت تؤدي في النهاية إلى تحسين مستوى الاداء العام.

ان الخبرة المهنية للعاملين تتكون من مصدرين اساسين هما: التأهيل العلمي ومستوى ونوعية الخبرات العملية التي اكتسبها من ممارسته عمله في خدماته العملية.

٣ـ المحور الثالث: المؤهلات السلوكية والاخلاقية للكادر الوظيفي:

تعتمد استراتيجية التنمية على ثلاث اركان اساسية هي (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) ويجب ان تكون هذه الاركان متجانسة ومترابطة فيما بينها.

ان العامل الاقتصادي عامل وسيط واساسي لاجراء التنمية ولكن يجب ان يسبقه العامل الاجتماعي والثقافي فالخطط الاقتصادية مهما كانت متقنة فانها غير مضمونة النتائج مالم تكن قادرة على التفاعل الايجابي مع ثقافة المجتمع.

لذا يجب أجراء جرد كمي ونوعي للمفاهيم والعادات الاجتماعية والثقافية السائدة حاليا في المجتمع، بغرض اعادة تقويمها.

تتم عملية الفرز النوعي للمفاهيم بغرض تحديد القيم الوظيفية المفيدة عن القيم اللاوظيفية

على ضوئها يتم وضع الخطط والبرامج لتعزيز القيم الوظيفية المفيدة والتخلص قدر الامكان من القيم اللاوظيفية.من خلال ذلك يتم الترشيد القيمي للمفاهيم واشاعة النموذج الاخلاقي السليم بين افراد المجتمع، ويجب ان تنسجم القيم الوظيفية المفروزه مع العقائد والاعراف السائدة في المجتمع، لان اي ثقافة او ايدلوجية يتم تطبيقها بالاكراه والتي

لاتنسجم مع الفطرة الانسانية ومع المعتقدات الاساسية للمجتمع سيصيبها الفشل والاضمحلال.

مؤسسة الإصلاح والتنمية الإدارية

لاجراء الإصلاح والتنمية بشكلها العلمي السليم نرى من الضرورة احداث مؤسسة مستقلة تختص بعملية إصلاح الأجهزة المالية والإدارية وتنمية الموارد البشرية للكادر الوظيفي، تتبع هذه المؤسسة من الناحية الإدارية رئاسة مجلس الوزراء يرأسها احد نوابه، ويتكون كادرها الفني والإداري من اعضاء متفرغين يتمتعون بمؤهلات مهنية عالية وبخبرة عملية واسعة، وإدارية كافية في إدارة مختلف الانشطة والوظائف الإدارية. ومن اعضاء يتم تنسيبهم من الوزارات والهيئات العراقية المختصة،

ينظم قانون تأسيسها اهدافها وطبيعة إنجاز أعمالها وهيكلها التنظيمي.

يجب منحها صلاحيات واسعة،وتقديم الدعم المطلوب ماديا ومعنويا، لتتمكن من تنفيذ اهدافها بأحسن وجه وفق المعايير العلمية المعتمدة عالميا.

وعليها الاستعانة بالكفاءات والكوادر العراقية والاجنبية المختصة حسب الحاجة، ويجب تنفيذ أعمالها بالتنسيق والتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني والجامعات والمراكز العلمية والمهنية المختصة المحلية والخارجية.

اهداف المؤسسة وكيفية تنفيذ أعمالها

تتلخص اهم اهداف هذه المؤسسة بدراسة وتقييم وفحص مختلف انظمة العمل المطبقة في مؤسسات ودوائر الدولة، واقتراح الانظمة البديلة او تطوير الموجود منها، بما يحقق انسيابية كبيرة في الإنجاز، واقتراح التوسع في استخدام التقنيات المتطورة والادوات ووسائل الاتصالات السريعة، وتقديم التوصيات والمعالجات المناسبة لمختلف المشاكل والعقبات التي تعترض العمل، وبما يضمن في تقوية انظمة الرقابة الداخلية واجراءات الضبط والتدقيق الداخليين قبل وبعد الصرف لتقليل حالات الفساد المالي والإداري إلى اقل مستوى، واحكام السيطرة وانضباط العمل والعاملين ضمن المعايير والمقاييس العالمية.

تختلف طبيعة المعالجات حسب وضع الدائرة المراد إصلاحها وتأهيلها،منها ما يتطلب اعادة هيكلتها بشكل كامل، ومنها يتطلب اجراء إصلاحات جزئية في جوانب معينة لانشطتها.

العوامل التي تساهم في تنفيذ الإصلاح والتطوير الإداري

١ـ تنسيب الكوادر المهنية الكفوءة والنزيهة لإدارة المؤسسات والدوائر، تمثل هذه الفقرة العامل الرئيسي والحيوي لتحقيق تقدم في باقي الخطوات اللاحقة.

٢ـ اعداد الدورات التدريبة المستمرة للعاملين لرفع مستوى كفاءتهم المهنية،

مثال ذلك: نقترح القيام بحملة كبيرة لاشراك جميع الخريجين العاطلين عن العمل في دورات تدريبية تطبيقية لزيادة مهاراتهم وتأهيلهم للخبرات الحديثة المتطورة في جميع المهن والاختصاصات، تشترك في تنفيذ هذه الحملة جميع

الجهات المختصة بالتنسيق مع منظمات المجتمع المدني مثل النقابات المهنية، ويمنح الشخص المشترك راتب ملائم، ان القيام بهذا المشروع يحقق غايات متعددة اجتماعية واقتصادية وامنية، بموجبه سيتم تحويل العاطلين إلى كادر متدرب من السهل إشراكه في تنفيذ المشاريع التنموية المزمع تنفيذها لاحقا.

٣ـ الابتعاد عن أسلوب المحاصصة بكل انواعه، وابعاد كل التدخلات الخارجية في إدارات المؤسسات، وتحفيز الكيانات السياسية العاملة على تضمين خطابها السياسي لمبادىء الوطنية التي تجمع المواطنين وفق مبدىء تكافىء الفرص بينهم وسيادة القانون .

٤ـ تطوير الانظمة المعمول بها، كما يلي:

- اعتماد وسائل متعددة لتحسين فعالية الدورات المستندية المعمول بها.
- تفعيل الانظمة المالية والمحاسبية، وتقوية اجراءات الضبط والرقابة الداخليتين المطبقة حاليا،من خلال اعتماد برامج وخطط مدروسة طبقا للمعايير العالمية بعد تطويرها وتهيئة الظروف الملائمة للمجتمع العراقي،
- توفير المناخات والظروف المناسبة لتحقيق الفوائد المرجوه من تطبيقه الأسلوب اللامركزي الذي اعتمد تطبيقه في إدارة الاقاليم والمحافظات وتعديل النصوص التشريعة بما يضمن ازالة الارباك الناتج من التفسيرات المتعددة للقوانين.
- العمل على تحديث انماط العمل المتبعة في مختلف الانشطة، لتحسين اداء العاملين.
- التحديد السليم لمسار سير الصلاحيات وربطها بشكل واضح مع مسار المسؤوليات لتسهيل عملية التقييم ومعالجة مواقع الانحراف بدقة، وتحديد المسؤوليات عند الإنجاز ليتم بموجبها مجازات الكفوء ومحاسبة المقصر بشكل عادل.
- تحديد مسار سير الاوامر بوضوح بما يحقق مركزية القرار لاعطاء القرارات الصادرة القوة والحزم المطلوبين للتنفيذ.

٥ـ تقويم انشطة الدولة:

القيام بدراسة الانشطة الاقتصادية والمالية والتجارية التي تضطلع بها الحكومة حاليا، تتخلص بموجبها من عبىء إدارتها للمؤسسات التي لا تنسجم مع مقدرتها اوطبيعة عملها، من خلال تنفيذ مايلي:

أ ـ خصخصت بعض المؤسسات الانتاجية.

ب ـ تنفيذ أسلوب الوكالات، بتخويل مؤسسات عائدة إلى القطاع الخاص في أدارة بعض الأعمال الخدمية التي تقوم بأداءها الأجهزة الحكومية، تتقاضى الوكالة مقابلها اجور معينة.

ج ـ تغيير طريقة وأسلوب إدارتها لبعض الانشطة الخدمية باستخدام طرق واساليب اكثر تطوراً تحقق بموجبها اقتصاد في الجهد والكلفة.

٦ـ التخفيف قدر الإمكان من الكثافة البيروقراطية، يتم ذلك بعدة طرق اهمها:

وضع خطة متوسطة الامد لتقليل حالة البطالة المقنعة المرتفعة في دوائر الدولة ومؤسسات القطاع العام، واعتماد مناهج موضوعية لاعادة تأهيلهم لتشغيلهم في

اماكن اخرى.

٧- الاستفادة من التقنيات والأجهزة الحديثة مثل التوسع في استخدام برامج متطورة للكمبيوتر وتطبيق نموذج الإدارة الالكترونية كأسلوب متطور في إنجاز المعاملات.

واتباع سياسات فعالة لنقل وتوطين التقنية الحديثة.

٨- اعادة هيكلة الأجهزة الرقابية، واجراء ربط فني بين عمل اقسام التدقيق قبل الصرف مع الأجهزة الرقابية بعد الصرف ليكونا حلقة رقابية متصلة ومتكاملة مع بعضهما.

وتقوية وحماية أجهزة التدقيق والرقابة قبل الصرف لتتمكن من إنجاز أعمالها بموضوعية وحيادية كاملة وجعلها مسؤولة عن المخالفات التي تحصل ضمن نطاق عملها.

٩- دعم الأجهزة القضائية، وتعزيز استقلالها وتفعيل دورها القضائي في اصدار القرارت الجزائية بالسرعة للاشخاص المحالين اليها كمتهمين ليكونوا عبرة للاخرين.

ان تعزيز سلطات وفعالية الأجهزة الرقابية والقضائية يحقق هدفين أساسيين هما:

أ - يمثلان عاملا رادعا للاخرين، والتزام العملين بتنفيذ واجباتهم بشكل منضبط وسليم.

ب - تعزيز سلطة وهيبة الدولة امام العاملين والمواطنيين جميعا.

١٠- تطوير عمل مؤسسات المجتمع المدني والأجهزة الاعلامية لتقوم بدورها المهم في تغير منظومة القيم الاجتماعية والثقافية في المجتمع كما بينا انفا، فالجمعيات والنقابات المهنية مثلا لها دور هام في تحسين المستوى المهني والوظيفي لاعضائها، من خلال اقامة الدورات التأهيلية لتحسين مهاراتهم المهنية،ومن خلال مراقبة ادائهم المهني والسلوكي طبقا للمعايير المعتمدة والمتعارف عليها بينهم والمنصوص عليها في انظمتهم الداخلية.

١١- تطوير مناهج التعليم خصوصا للمرحلة الثانوية لتثقيف الطالب على تعزيز المفاهيم والقيم الوظيفية وتركيزها في ذهنيه الطالب.

١٢- دعم مراكز البحث العلمي والتدريب المهني والإداري، وإيجاد الية فعالة للربط الفني والمهني مع الشركات الإنتاجية، لإيجاد تطور في اداء العاملين من جهة وتحويل النظريات العلمية والإدارية إلى تقنيات قابلة للتطبيق في دوائر ومؤسسات الدولة الانتاجية والخدمية.

١٣- احداث مراكز دراسات اقتصادية ومالية مستقلة لاعداد الدراسات الخاصة عن الوضع الاقتصادي والمالي والإداري في الدولة العراقية بصورة دورية.

يجب تمتع هذه المراكز بالاستقلالية لإنجاز عملها بالموضوعية العلمية والشفافية المطلوبة ليمكن الوثوق إلى المعلومات والمؤشرات التي تصدرها، ان وجود هذه المراكز مهم جدا في الدول النامية، لان القيادات السياسية تحاول اخفاء أو فبركة بعض البيانات والمعلومات المتحققة لاغراض سياسية تتعلق بمركزها السياسي الذاتي اتجاه ناخبيها واتجاه الاخرين تتجاوز في ذلك مصالح البلد الوطنية ■

طروحات عامة

التأثير السلبي للأخطاء الإملائية في المرحلة الابتدائية

أ. م. نجم عبد الله الموسوي •
كلية التربية/ جامعة ميسان

ينابيع

الكتابة ركيزة أساسية إرتكزت عليها لغات العالم كافة ومنها اللغة العربية وهي عبارة عن رموز يسجل بها الإنسان تجاربه ومعارفه وحضارته، وأنها أداة مهمة من أدوات الاتصال البشري، فبها تميز الإنسان عن بقية المخلوقات والكائنات الحية، وتعد عملية ضرورية بالنسبة للفرد والمجتمع لأنه من خلالها يعبر الفرد عن أفكاره وأراءه وتطلعاته ويحفظ المجتمع حضارته وعاداته وتقاليده وطريقة تفاعله وتعامله مع الشعوب والأمم والمجتمعات الأخرى.

وإنَّ من أهم الأهداف التي تسعى المدرسة الإبتدائية إلى تحقيقها هو

إكساب التلاميذ المهارات اللازمة في القراءة والكتابة والإهتمام بسلامتها وإكتشاف الإستعدادات والمواهب لتنميتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة بما يكفل للمتعلمين الإنتفاع بها في حياتهم الإجتماعية والثقافية والمهنية (مرسي ١٩٧٤ ص ١٩٦)، وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا من خلال درس الإملاء.

والإملاء هو الرسم الصحيح للكلمات، والكتابة الصحيحة التي تكتسب بالتدريب والمراس المنظم ورؤية الكلمات والإنتباه إلى صورها وملاحظة حروفها ملاحظة دقيقة،وإستعمال أكثر من حاسة في تعليم الإملاء لتنطبع صور الكلمات في الذهن ويصبح عند التلميذ مهارة في كتابة الكلمات بالشكل المطلوب، ويعدّ الإملاء مقياساً دقيقاً لمعرفة المستوى الذي وصل إليه الصغار في التعلم (عاشور ٢٠٠٣ ص١٢٧).

ومن خلال الإملاء نستطيع أنْ نحكم بكل سهولة ويسر على المستوى العلمي للتلميذ بعد أنْ ننظر في كراسته التي يكتب فيها القطع الإملائية التي يمليها عليه المعلم.

وإنَّ درس الإملاء من الدروس المهمة جداً في المرحلة الإبتدائية، لذاً يجب أنْ يأخذ حقه ومستحقه من ناحية الوقت والحصص الكافية بعيداً عن تأثير فروع اللغة العربية الأخرى، وأن لا يجعله المعلم درساً تعويضياً للدروس الأخرى مثل القراءة، وقواعد اللغة العربية، والتعبير، وأنْ يكون الإهتمام به نابعاً من الضرورة الملحة التي تدعو إليه.

وتبرز مشكلة ضعف تلاميذ المرحلة

الإبتدائيــة في مادة الإمــلاء ووقوعهم في الأخطاء الإملائية بشــكل واضــح للعيان، إذ تتضح مظاهر هذا الضعف في شــكوى المعلميــن وأولياء أمــور التلاميذ من عدم قدرة أبنائهم علــى الكتابة بصورة صحيحة ومفهومة إذ لايصلون خلال دراســتهم في المرحلــه الإبتدائية الى ما هو مطلوب من الدراســة أنْ تحققــه في تعليمهــم القراءة والكتابة وهو الهدف الأساس من أهدافها، وأنَّ الواقع الملموس الذي نعيشه يشير إلى تدني المســتوى العلمــي للتلاميذ في مادة الإملاء.

وعليه إنَّ وقوع تلاميذ المرحلة الإبتدائية في الخطأ الإملائي يجعل كتاباتهم لا تعطي معنــى، وإنهــا تعطــي تصــوراً عن ضعف العمليــة التعليمية، وتقلل مــن دور المعلم وتضعف مكانته وتجعــل المتعلمين يصلون إلى مرحلة دراسية أخرى متقدمة من غير قدرة على الكتابة، الأمر الذي يشكل ضعفاً في إعدادهم العلمي واللغوي.

ويعــد الخطأ الإملائي مشــوّهاً للكتابة ويعيــق فهــم الجملة، فإذا كانــت القواعد النحوية وســيلة لتقويم القلم واللســان من الإعوجــاج والزلل فــإن القواعد الإملائية وســيلة لتقويم القلــم وصحــة الكتابة من الخطأ وأن هنــاك علاقة وطيدة بين صحة الكتابــة وفهم المقروء وإســتيعاب النص، ولكــي يفهــم القــارئ مــا كتب لابــد أنْ تكون الكتابة ســليمة مــن الأخطاء النحوية والإملائية على حد ســواء (عاشــور ٢٠٠٣ ص ١٢٧).

وبناءً على ما سبق نوصي بما يأتي:

١ـ الاهتمام بــدرس مادة الإملاء وعدم تفريط المعلم به أســوةً ببقيــة فروع اللغة العربية الأخــرى.

٢ـ جعل درس مخصص أو مجموعة من الحصص الدراســية الخاصة بمادة الإملاء لتعليــم كل موضــوع على حده مثــلا كتابة الهمــزة بأنواعها أوالتــاء المربوطة والتاء المبسوطة ومواضع كتابة كل منها.

٣ـ إعداد دليل خاص لمعلمي مادة اللغة العربيــة ومعلماتهــا يوضح أنــواع الإملاء وكيفية تدريس كل نوع وأساليب التصحيح المناســبة وطريقة التدريس التي يجب أن تتبع في كل أسلوب.

٤ـ الإكثــار مــن إســتعمال الوســائل التعليمية فــي درس الإمــلاء، لأنها تجعل التلاميذ أكثر اســتعداداً لإستيعاب المادة العلمية.

٥ـ العمل على ربط درس الإملاء ببقية دروس اللغــة العربيــة من قواعــد وتعبير ومطالعة.

٦ـ علــى المعلم عــدم التغاضي عن أي خطأ إملائي يقع فيــه التلاميذ بل عليه أن يصححــه بصورة واضحة ويناقش التلاميذ فيه.

٧ـ تأكيــد مراقبة التلاميــذ ومتابعتهم وأنْ يشعرهم بوجوده دائماً.

٨ـ كثــرة التدريب والمــران والتركيز علــى طريقــة تهجــي الحــروف بصــورة صحيحة.

٩ـ علــى المعلم أن يتجنب التركيز على الدرجــة بل يجــب أن يركز علــى المتعلم وعلى اتقانه للكتابه بوصفه الهدف الأول ■

المصادر:

(١) عاشــور، راتب قاســم ومحمد فؤاد الحوامدة : أســاليب تدريــس اللغة العربيــة بين النظرية والتطبيق، ط١، دار المســيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ٢٠٠٣ م.

(٢) مرســي، محمد منير : التعليــم العام في البلاد العربية ، ط٢، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٤ م.

قصة وعبرة

كان رجل يسير في أدغال أفريقيا حيث الطبيعة الخلابة وحيث تنبت الأشجار الطويلة، بحكم موقعها في خط الاستواء، وكان يتمتع بمنظر الأشجار وهي تحجب أشعة الشمس من شدة كثافتها، ويستمتع بتغريد العصافير ويستنشق عبير الزهور التي التي تنتج منها الروائح الزكية .

وبينما هو يتأمل تلك المناظر سمع صوت عدو سريع والصوت في ازدياد ووضوح فالتفت الرجل إلى الخلف وإذا به يرى أسداً ضخم الجثة منطلقاً بسرعة خيالية نحوه.

ومن شدة الجوع الذي ألم بالأسد أصبح خصره ضامر بشكل واضح. أخذ الرجل يجري بسرعة والأسد وراءه وعندما أخذ الأسد يقترب منه رأى الرجل بئراً.. ففقز الرجل قفزة قوية فإذا هو في البئر، وأمسك بحبل البئر الذي يسحب به الماء وأخذ الرجل يتمايل داخل البئر.

وعندما أخذ أنفاسه وهدأ روعه وسكن زئير الأسد وإذا به يسمع صوت فحيح ثعبان ضخم الرأس عريض الطول بجوف البئر.. وفيما هو يفكر بطريقة يتخلص منها من الأسد والثعبان إذا بفأرين أسود والآخر أبيض يصعدان إلى أعلى الحبل، وبدءا يقرضان الحبل. وهلع الرجل خوفاً وأخذ يهز الحبل بيديه بغية أن يذهب الفأرين وأخذ يزيد عملية الهز حتى أصبح يتمرجح يميناً وشمالاً بداخل البئر وأخذ يصدم بجوانب البئر.

وفيما هو يصطدم أحس بشيء رطب ولزج ضرب بمرفقه وإذا به عسل للنحل التي تبني بيوتها في الجبال وعلى الأشجار وكذلك في الكهوف.

فقام الرجل بالتذوق منه فأخذ لعقة وكرر ذلك، ومن شدة حلاوة العسل نسي الموقف الذي هو فيه.. وفجأة استيقظ الرجل من النوم، فقد كان حلماً مزعجاً!!

وقرر الرجل أن يذهب الى شخص يفسر له الحلم، وذهب إلى عالم وأخبره بالحلم فضحك الشيخ وقال : ألم تعرف تفسيره؟! قال الرجل: لا .

قال له: الأسد الذي يجري وراءك هو ملك الموت، والبئر الذي به الثعبان هو قبرك، والحبل الذي تتعلق به هو عمرك، والفأرين الأسود والأبيض هما الليل والنهار يقصون من عمرك .

قال: والعسل يا شيخ؟

قال: هي الدنيا من حلاوتها أنستك أن وراءك موت وحساب...

أجوبة مسابقة العدد (٣٧) وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب. محمد بن الفرج

السـؤال الثـاني: أ. الجامعة الرجبية

السـؤال الثالـث: أ. زُبالة

السـؤال الرابـع: ج. السيد الحميري

السؤال الخامس: ج. واحد

السؤال السادس: أ. اثنان

السـؤال السـابع: أ. منهاج البراعة

السـؤال الثامـن: ب. أحجار الزيت

السـؤال التاسـع: ب. محمد بن علي بن بابويه

الفائز بالجائزة الأولى: عباس شمخي الصافي/ بغداد ـ م الصدر ـ قطاع٨.

الفائز بالجائزة الثانية: علي جاسم شكاره/ بغداد ـ الحرية.

الفائز بالجائزة الثالثة: باسم عبد الرزاق حمود/ النجف الأشرف ـ الكوفة.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العددين (٣٩ـ٤٠)

١ «**كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي**» حديث معروف بحديث سلسلة الذهب يسنده الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه الأطهار عليهم السلام. في أي مدينة تحدث به؟

أ ـ سبزوار ب ـ نيشابور

ج ـ مرو

٢ جمال الدين الحسن بن الشهيد الثاني، ولد في جبع سنة ٩٥٩هـ، ألّف كتاب (**معالم الدين**) وبه اشتهر. فكم كان عمره يوم استشهاد أبيه؟

أ ـ ٧ سنوات ب ـ ١٠ سنوات

ج ـ ١٢ سنة

٣ زينب بن خزيمة أم المؤمنين تزوجها النبي صلى الله عليه وآله على رأس واحد وثلاثين شهراً من الهجرة، توفيت في حياته صلى الله عليه وآله وكانت تلقب بما يدلّ على إحسانها وكرمها. فما لقبها؟

أ ـ أم المساكين ب ـ أم الأيتام

ج ـ أم الجود

٤ أنصار الإمام الحسين عليه السلام فازوا بالمجد والخلود في الدنيا والآخرة، منهم من قاتل ولم يستشهد في كربلاء، فكم كان عددهم من غير العلويين؟

أ ـ اثنان ب ـ ثلاثة

ج ـ أربعة

ينابيع ٣٩ ٤٠

كوبون المسابقة

جواب السؤال الأول	جواب السؤال الثاني	جواب السؤال الثالث	جواب السؤال الرابع
أ	أ	أ	أ
ب	ب	ب	ب
ج	ج	ج	ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار.
الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه (مسابقة مجلة ينابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ربيع ١٤٣٢هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

٥ «**أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلة ولا قلة، ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر**» من خطبة للإمام الحسن عليه السلام، فمتى ألقاها؟

أ ـ قبيل استشهاده ب ـ بعد الصلح

ج ـ بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين

٦ لما توفي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله باشر الإمام علي عليه السلام بتغسيله بوصية منه صلى الله عليه وآله، فمن أي مصدر كان ماء التغسيل؟

أ ـ بئر زمزم ب ـ بئر غرس

ج ـ عين البغيبغة

٧ جعفر الصادق عليه السلام، الإمام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام، سمّاه والده بجعفر. فما معنى هذا الاسم؟

أ ـ وِرْد من أوراد السنة

ب ـ فارس من فرسان المعركة

ج ـ نهر من أنهار الجنة

٨ «**إن حزننا عليه على قدر سرورهم به ألا إنهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً**» من قول للإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما بلغه مقتل أحد أصحابه. فمن هو؟

أ ـ مالك الأشتر ب ـ محمد بن أبي بكر

ج ـ عمار بن ياسر

٩ سنة الفقهاء، سنة مات فيها عدد من فقهاء المدينة وعلى رأسهم إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فمن هو؟

أ ـ الإمام علي السجاد عليه السلام ب ـ الإمام محمد الباقر عليه السلام

ج ـ الإمام جعفر الصادق عليه السلام